# أفكار
# AFKAR

شباط 2025 | العدد 433
ثقافية شهرية -تصدر عن وزارة الثقافة منذ 1966
المملكة الأردنية الهاشمية

## ملف العدد

المؤرخُ د. محمد عدنان البخيت؛ مسيرةٌ حافلةٌ بالبحث والعطاء

من مواد الملف:

جهودُ د. محمد عدنان البخيت بالتأريخ للقدس

الإشراقُ الثقافيُّ في جامعة مؤتة زمن البخيت

433

أفكار . العدد 433 - شباط 2025
AFKAR

تأمل هيئة تحرير المجلة من الكتّاب مراعاة ما يلي:

• ترسل المادة المطبوعة ألكترونياً مشفوعة بصورة للهوية الشخصية، أو لجواز السّفر لغير الأردنيين على عنوان البريد الإلكتروني للمجلة.

• أن لا تكون المادة قد نشرت سابقًا.

• ألا يتجاوز عدد كلمات المادة 2500 كلمة وألا يقل عن 1500 كلمة في حده الأقصى.

• الصور المرسلة للمادة يجب أن تكون عالية الدقة والوضوح على أن لا تقل عن 1 ميجا بايت.

• هيئة التحرير هي الجهة المخوّلة بقبول المادة للنشر أو الاعتذار عن عدم نشرها.

• تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تنشرها ويشمل هذا الحق الطباعةالورقية والنشر الإلكتروني، ولا يجوز إعادة نشر مواد مجلة «أفكار» دون إذن مسبق من هيئة تحرير المجلة.

• هيئة التحرير غير ملزمة بإبداء أسباب الاعتذار عن عدم النشر.

• يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطنّي (للكتّاب الأردنيين)، ونبذة عن سيرته الذاتية (للمرة الأولى فقط).

• يرفق مع المواد المترجمة نبذة عن سيرة مؤلّف النص المترجَم، ويُشار إلى المصدر المترجَم عنه.

• يخضع ترتيب المواد المنشورة لاعتبارات موضوعية وفنية.

# مجلة أفكار


## مجلة شهرية ثقافية
## تصدر عن وزارة الثقافة
## المملكة الأردنية الهاشمية

## 433 / شباط 2025


• بخصوص التوثيق في المقالات والدراسات المرسلة للمجلة أن تكون الهوامش في الصفحة الأخيرة منها.


الموقع الإلكتروني لمجلة أفكار:

http://www.afkar.jo

كما يمكن تصفّح المجلة على موقع الوزارة:

www.culture.gov.jo

المراسلات باسم رئيس التحرير:

E.mail: afkar@culture.gov.jo

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة:

(1090) 2010 / د

العنوان البريدي:

الأردن - عمّان ص.ب: 6140

الرمز البريدي: 11118

رئيس التحرير / أ. سميحة خريس
مدير التحرير / د. مخلد بركات
سكرتيرة التحرير / أ. منال حمدي

هيئة التحرير / د. إبراهيم بدران
/ د. إبراهيم خليل
/ أ. أكرم الزعبي
/ د. راشد عيسى
/ د. هاشم مناع

الإخراج الفنّي / حنان الطوس

لوحتا الغلافين الأمامي والخلفي/ الشاعر والفنان التشكيلي حسين نشوان/الأردن

## ملف العدد

**المؤرخُ د. محمد عدنان البخيت؛ مسيرةٌ حافلةٌ بالبحث والعطاء**

إعداد وتقديم:
د. هند أبو الشعر

## مفتتح 4

4 "أشياءُ لا تُشترى" / سميحة خريس

## ملف العدد 6

7 تقديم: د. محمد عدنان البخيت أستاذاً وباحثاً ومؤسساً/ د. هند أبو الشعر

10 د. محمّد عدنان البخيت مَجْمعيًّا رئاسة المَجْمع؛ تتويجٌ لمسيرةٍ حافلة/ د. هُمام غَصيب

16 د. محمد عدنان البخيت مؤسساً لجامعة آل البيت/ د. حسين محمد القهواتي

23 الإشراقُ الثقافيُّ في جامعة مؤتة زمن البخيت/ د. فايز القيسي

29 مدرسةُ البخيت التاريخيّة في الدراسات الشامية/ العثمانية/ المهدي الرواضية

38 جهودُ د. محمد عدنان البخيت بالتأريخ للقدس/ د. عصام عقلة

42 المناشطُ الثقافيّةُ في جامعة آل البيت خلال مرحلة التأسيس/ د. عليان الجالودي

المواد المنشورة في هذا العدد تعبّر عن آراء كتّابها،
ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزراة الثقافة الأردنية.

# المحتويات


## مقالات ودراسات 50

51 "معوّقاتُ التعليم وإشكاليةُ التحوّلات الحضارية في العالم العربي"/ قراءةٌ في كتاب د. إبراهيم بدران / مجدي ممدوح

55 "فَتْحُ المُغَلَّقَاتِ لِأَبْيَاتِ السَّبْعِ المُعَلَّقَات" لزين الدين بن أحمد الفاكهي/د. عدنان محمود عبيدات

61 المدينة بما هي مشي الهوينى/ إبراهيم غرايبة

77 اغتراب الذات في رواية "البحر الأسود المتوسط" لهزاع البراري/ سعيد بوعيطة

72 "من أوراق الموريسكي" للشاعر العراقي حميد سعيد/ عِذاب الركابي

77 تجلّيات الحنينِ في "المشكال" لإيمان عبد الهادي/ مراد رفيق البياري

83 الربابةُ والناي: آلتان موسيقيتان شرقيتان / هشام إسماعيل عدرة

88 البوذيةُ والروحانيات الجديدة/ سمر الفوالجة

94 تنميقاتٌ على زي الحرف العربي/ محمد أبو عزيز

97 نحو نظريةٍ فلسفيّةٍ في مواجهة التطرف والعنف والإرهاب / د. أماني غازي جرار

102 رسائل بين: "هانا أرينت ومارتن هيدجر"/ جميلة عمايرة

105 قلقُ المنفى في "عزاءات المنفى" لتيسير أبو عودة/ ابتسام الحسبان

## إبـــــــداع 108

109 السابعُ الميمونُ/ عبدالحكيم أبو جاموس

110 بينَ لؤلؤةٍ ولؤلؤةٍ...أراكْ/ مازن شديد

111 الألوانُ ثقيلةُ الظل/ صهيب العوضات

112 المعجزة/ماري لؤيسه كاشنيتس/ ترجمة: علي عودة

115 الحوارُ مع الموتى لا يُجدي/ حنان باشا

116 بعد فواتِ الأوان/ حسام الرشيد

118 "نظرةٌ عابرةٌ"/ إيزابيل بروم/ترجمة: محمد زين العابدين

## نوافذ ثقافية: محمد سلام جميعان 120

## مدارات البوح: د. محمد مقدادي 124

مفتتح

# "أشياءُ لا تُشترى"

سميحة خريس *

كان جـدّي فلاحاً على هـذه الأرض، يحملُ وثيقةً عثمانيّـةً، ولم يعنِ له هذا التفصيلُ حيرةً أو يسـبب لـه ارتباكاً، ذلك أنَّه يعـرف تماماً هُويته، لا يعاني من التباسٍ في انتمائه، فانتسابه العربي والتصاقه بالأرض، مفاهيمُ لا مكان لمناقشـتها أو التشكيك فيها. تغيّرت الجغرافيـا وتعرض التاريـخ إلى انزياحات كبيرة؛ فلم تعد المنطقة العربية إثر الحـرب العالمية الأولى هي نفسـها، ولا حتى صارت تلك المنطقـة التي حلم بها العرب، ورغم أنَّ هُوية أبي باتت محكومةً بتقسيمات سلطوية وإدارية جديدة غيّرت أوراقه، إلا أنَّها لم تغيّر بتاتاً شـعوره العميق بأنَّه عربيٌّ منتسبٌ لهذه الأرض، ينطبق هذا الحال على كلِّ مواطني بلاد الشام الذين حلموا يوماً بدولة واحدة، ووجدوا أنفسـهم مفرقين دون أن يلغي هذا الواقع انتماءاتهم إلى أرضهم التي يعرفون.

كأنَّ الأرضَ "مربـطُ الفـرس"، حتـى أولئك الذين نادتهم إغـراءاتُ الحياة وفرصُ العيـش المرفّه شرقاً وغربـاً، أو طردتهـم مصاعـبُ العيش مـن أرضهم فتغيّرت هُوياتهم مراتٍ ومرات، بل تغيّرت ألسـنتهم وعاداتهـم وثقافتهم بحكم الانتماء إلى ثقافة مغايرة، حتى بـات أبناؤهم وأحفادهم مواطنين في الغرب أو في ظـلِّ حضارات بعيدة لا تشـبهنا، ظلّوا وأحفادهم الغرباء يعرفون البصمـة الوراثية لدمائهم، العروبية التي تنتسب حيث الأرض تنتسب.

(هي أشياءُ لا تُشترى)، لهذا لا أخاف على ما نحمل في قلوبنـا من محبة لأوطاننـا، ولا على فهمنا الأصيل لمعنـى الوطن، ولكن أخاف مـن الجهل، من تضييع معرفتنـا لتاريخ أرضنا وأهلنا، ولعـلَّ الروائيين الفئة التي استشـعرت هـذه المخاوف فراحـت تغوص في العمق بحثاً عن البـذور الأولى، حدث ذلك في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات فزادت الروايات التي تعالج التاريخ السـياسي والمجتمعي لـلأردن، وكأنَّنا نتحسـس بلدنـا الصغير ونقـدّم سـيرته إلى الأجيال القادمة، أسـتذكرُ أعمال:(زياد قاسم وهاشم غرايبة وأعـمالي وأعمال إلياس فركوح ومؤنس الرزاز وجمال ناجـي وآخريـن..)، ولم تكن الروايـات التي تعالج مفاصـل تاريخيـة في المنطقـة أو تلك التـي تفكّك المرويات الاجتماعيـة والفكرية للمجتمع إلا محاولة لتأصيـل الانتسـاب إلى الأرض، وإلى تلـك الحضـارة العظمى التي ننتمي إليهـا؛ رغم أنَّنا اليوم مواطنون في بلد صغير، لكنَّه كبيرٌ في عمقه وأفقه المستقبلي.

عـلى الجانب الآخر نعتـزُّ في الأردن- تحديداً -أنَّ هناك نخبةً من المؤرخين ممن عملوا على التوجّه ذاته الـذي تنبّه له الروائيون مؤخراً، فكان حراك المؤرخين مبكراً منذ نشـوء الدولة الأردنية الحديثة، ورغم أنَّ بعضهم حظوا برعاية الدولة إلا أنَّه لا يمكن تصنيفهم مؤرخين للسـلطة؛ بقـدر الحديث عنهـم كمؤرخين للوطن؛ يحظـون باحترام القيادة كما يحاطون بمحبة

* روائية أردنية، رئيس تحرير مجلة" أفكار"

واحــترام طلبتهــم ومواطنيهم، فلم نعــرف انحيازاً أو تزويراً تاريخيَّاً كما يُقال عن أسماءَ كثيرة عربية وغربية موجودة عــبر التاريــخ لمؤرخين التصقوا بالســلطات الحاكمــة، بينما أخد الروائيــون والمؤرخون في الأردن على عاتقهم حفــظَ الذاكرة التي تمثّلُ هُوية الوطن، وليــس في هــذا التوجّه انتصــارٌ لإقليميــة ضيقة كما يتهمــون سراً وعلانيةً، ولكنَّهم يقدّمون قراءةً عميقة لانتماء لا يزول للأرض والحضارة التي راكمت إنجازاتها عــبر العصور على يد الإنســان صاحب الأرض، منهم: (د. عبد الكريم غرايبة ود. هند أبو الشــعر، وسليمان المــوسى، ود. على محافظة، وصاحب الملف الذي نعتزُّ بتقديمــه في هذا العدد مــن مجلة أفــكار، د. محمد عدنان البخيت، الذي شكّل بسيرته الشخصية ومنهجه جامعةً -وحده- أثّرت في أجيال من أبناء الوطن.

مــا يقدّمه العاملون في هذا الحقل البحثي الصعب هــو دفاعٌ صلبٌ نحتاجــه إزاء ما يحيط بنا من تهديد وجــودي، ولعلّنا نكون أكثرَ وضوحــاً إذا أعلنا انتماءنا العربي الذي لا يلغي الانتماء المحلي، يكفي أن نقرأ معاً مشهد الغزّيين العائدين إلى أرضهم وهم يعلمون علم اليقــين أنَّها مدمرةٌ، لنفهم ذلــك الوعي الذي يتطلب من كل عربي التمســك بموقعه. فالوحوشُ تترصد له كي تلغيه وتحتل أرضه.

في زمــان آخر، زمان لا تشــوبه أطماع البشر، يبدو الحراكُ الاعتيادي بين مواطني الأراضي الشــامية بكلِّ مسمّياتها طبيعياً، ومقبولاً، بل مطلوباً لازدهار العمران وتمــازج المعــارف والحضــارات، وقد عاشــه أجدادنا بصورة طبيعية ودون إشــكاليات سياسية واجتماعية، فشــكّلوا شــعوباً تتشــابه في عاداتهــا وتقاليدها بل وعمرانهــا وثقافتها، ثيابهــا وطرائق الطبــخ وأغانيها وأمثالها، جذرها واحد وفروعها شــتى. ولكن في الحالة الراهنة التي يتحرك فيها وســط هذا النســيج العظيم ورمٌ سرطانيٌّ يخطّط لابتلاع الأخضر واليابس، يهدم ما بنينــا ويجرف حاضرنا، ويدفع بفئة نحو مواقع بعيدة حتى يتمدّد ويتوسع ويخنق من تبقى في حيز أضيق، عندها لا بدَّ أن يُنفخ في بوق الخطر، ولا بدَّ أن نتشبثَ بمواقعنا وبتاريخنا وندافع عن خصوصيتنا.

ماذا سيقول الروائيون عن تلك الحقبة بعد أعوام؟ ماذا ســيقول المؤرخون عنها بعد عقود؟ لعلها أوجع مراحل التصادم الحضاري بين الحق والباطل المصنوع الذي يحاول الغــرب تجميل وجهه وفرضه على تاريخ المنطقــة العربية، بعد أن طــرده من رحم حضارته في أعتى مذابح البشرية طالباً منا تحمل وزر جرائمه.

يصطفُّ المخلصون من مفكرين ومبدعين ومؤرخين في موقع المقاومة العسكرية والدبلوماسية والسياسية؛ وهم قادرون على رصد توهج طرائق المقاومة الناعمة المتمثلة بالأدب والفن والفكر، وإذا كنا مُنينا بانقطاع تيــار التفكير النهضوي الذي قــاده عددٌ من المفكرين في مطلع القرن العشرين، فإنَّنا مطالبون اليوم بإحياء تيار جديــد نهضوي يتصــدّى للمؤامــرة التي تترصد هُويتنا وأرضنا ووجودنا كعرب مســلمين ومســيحيين أصحاب مشروع حضاري بعيد في التاريخ، متطلع إلى المستقبل، يحمل في يده لواء المحبة والسلام، ولا يجوز له الانحنــاء أمام فيض الشر والتفاهة والنفاق العالمي الذي يدّعي حقوق الإنســان، ثم ينســاها على أعتاب الشرق الأوسط!!.

# ملف العدد

## المؤرخُ

## د. محمد عدنان البخيت؛ مسيرةٌ حافلةٌ بالبحث والعطاء

- د. هند أبو الشعر
- د. هُمام غَصيب
- د.حسين محمد القهواتي
- د. فايز القيسي
- المهدي الرواضية
- د. عصام عقلة
- د. عليان الجالودي

تقديم

جلالة الملك عبدالله الثاني ينعم بوسام مئوية الدولة الأردنية على د. البخيت

# محمد عدنان البخيت؛ أُستاذاً وباحثاً ومؤسساً

**د. هند أبو الشعر***

**تستوقفنا بعض الشخصيات التي تحفر عميقاً في مجريات حياتنا العامة، وغالباً ما تُسلّط الأضواء على القامات السياسيّة، أمَّا الشخصيات الفكريّة والثقافيّة، فإنَّ تأثيرها الذي يحفر في الفكر والعقل والوجدان، يأخذ زمناً ليكون مثل مجرى النبع الذي يستمر في التدفق بلا أجندات ولا برامج أو حسابات، ومثل هذه الشخصيات التي تشكّلُ فكرَ الأجيال ومنهجها تبقى ماثلةً في تجليات العقول ومنجزات الفئات التي تتتلمذ عليها، ومن هنا تأتي فكرة تكريم بعض هذه القامات الفكرية والثقافية في ملف خاص بها في مجلة الثقافة والفكر الرائدة في الوطن.**

* أكاديمية وباحثة أردنية

كرمتني "أفكار" بتكليفي بإعداد هذا الملف، وبالتأكيد فإنَّ تقديم مفاصل هذه الشخصية الفكرية وجهودها الأكاديمية الكبيرة في ملفٍ محدود، يضعُ المُعدَّ أمام صعوبة اختيار المشاركين، فكلُّ تلاميذ الدكتور عدنان البخيت يتمنون المشاركة، وهم اليوم من أصحاب القلم والفكر والمواقع الأكاديمية المعروفة، كما أنَّ اختيار المحاور التي تمثّل تجربته تحتاج لمؤلفات. وكان علينا أن نقنع بمحاور قليلة تضيء التجربة الثرة للأستاذ الذي حفر عميقاً في حياتنا الأكاديميّة والفكريّة والمنهجيّة، وأرسى قواعدَ راسخةً في العمل المؤسسي أصبحت مدرسةً في تأسيس الجامعات وإدارتها، وتميّز بتأسيس المدرسة التاريخية المعروفة بمنهجها الرفيع؛ التي امتدّت مع تلاميذه إلى كلِّ المواقع الأكاديمية حيثما عمل طلابه في جامعات الأردن وفلسطين والخليج العربي والعراق وحتى في الدول الغربية، كما أنَّ تأسيسه لمركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام يُعدُّ حالةً فارقةً في حياتنا البحثية والأكاديمية، فضلاً عن إدارته لهذا المرفق المذهل الذي نقل وثائق

ومخطوطات العالم إلى الجامعة الأردنية، وجعله محجّاً للباحثين من كلِّ أنحاء العالم حسبما نعرف ونشاهد.

اخترنا أن نتوقف في تقديم أستاذنا البخيت عند الحالات الآتية:

أولاً: مدرسته التي نجح بتأسيسها في الدراسات التاريخية الحديثة التي يبدو من خلالها فكره ومنهجه.

ثانياً: تفوقه بالحفر في تاريخ بيت المقدس من خلال نشر السجلات العثمانية المبكرة، وعلى رأسها سجلات التحرير والمفصل، ترجمةً وتحقيقاً ودراسة، كما أنَّه أشرف على تصنيف سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات ونشرها، والإشراف على رسائل تتناول تاريخ القدس، وتخصيص محور خاص بالقدس في مؤتمر بلاد الشام، فضلاً عن تحقيق كتب تتناول بيت المقدس.

ثالثاً: إدارته لجامعة مؤتة والآثار الباقية في المجال الثقافي والمنشورات التي قام بتأسيسها مع إدارته للجامعة.

رابعاً: تجربته المذهلة بتأسيس جامعة آل البيت، وهي من التجارب التي ترتبطُ بشخصية الدكتور البخيت؛ فهو المؤسسُ الذي نجح في إرساء قواعد أكاديمية وإدارية وفكرية أرست لهذه الجامعة شخصية استثنائية؛ لذا أعطينا للمشاركين في مرحلة التأسيس فرصة تقديم أكثر من ورقة. وأعترفُ هنا بأنَّني كنت أتمنى لو أنَّ المجال اتسع للحديث في جزئيات هذه التجربة الرائعة التي عاصرتها منذ يومها الأول، وشاركتُ فيها بكل طاقاتي.

خامساً: دوره المؤثر في عضوية مجمع اللغة العربية الأردني، وانتقاله اليوم لإدارته بفعالية والتزام.

وبعد؛ فإنَّني أُلزم نفسي بمساحةٍ محدودة؛ لأنَّني ألزمتُ الزملاء من المشاركين بمثلها.. وأقولُ إنَّ تقديم ملف يسلّط الضوء على شخصية استثنائية حفرت بعمق في حياتنا الفكرية والأكاديمية والإدارية والإنسانية ما هو إلا ومضة من ضوء، تقدّم للقارئ العربي شخصيةً نعتزُّ بها ونثمن جهودها، ونستضيء بنورها الذي أضاء فكر وعقل أجيالٍ وأجيال، نرجو لأستاذنا الكريم العافية والعمر المديد، ونعتزُّ بأنَّنا تتلمذنا على يديه وعملنا معه وتعلمنا منه.

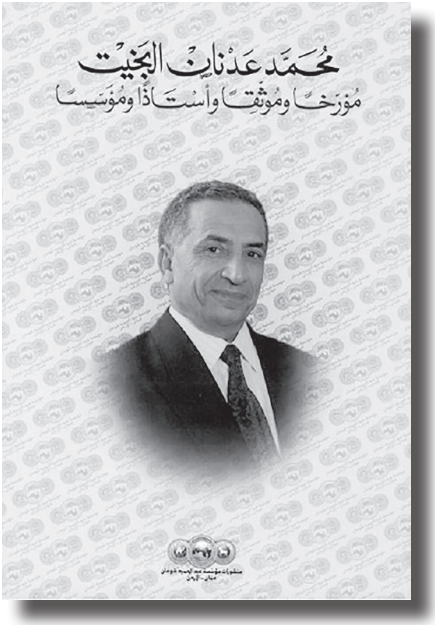


# د. محمّد عدنان البخيت مَجْمعيًّا رئاسة المَجْمع؛ تتويجٌ لمسيرةٍ حافلة

د. هُمام غَصيب*

## 1

## ما قبلَ المَجْمع

تعــودُ معرفتي بالدكتور البخيت إلى منتصِف الثمانينيّات من القرن الماضي. كان عميدًا للبحث العلميّ في الجامعة الأردنيّة. وبقي في هذا المنصب خمسَ سنواتٍ ونيّف؛ قبل أنْ تُصبحَ مدّةُ العميد القصوى - أيّ عميد - أربعَ ســنوات. كان تأثيرُه واضحًا، وصوْتُه مســموعًا. ولا عجب! فهو يتولّى، بحُكمِ منصبِه، رئاســة تحرير مجلّة الجامعة المُحكّمة "دراسات"؛ ورئاسة المجلس العلميّ في الجامعة الذي ينظرُ في دعم الباحثين ومشروعاتِهم البحثيّة، بكلّ ما يَعنيه ذلك من شــؤونٍ وشــجون؛ إضافةً إلى مركز الصدارة في لجنة التعيين والترقية المُنبثقة عن مجلس العُمداء، والإشراف على جميع منشوراتِ الجامعة الأكاديميّة.

* أكاديمي وباحث أردني، عضو عامل/ مجمع اللغة العربية الأردني

كان يُرسِلُ إليّ بانتظام مخطوطاتٍ فيزيائيّةً لتحكيمِها. وبدأتُ ألاحظُ حُسْنَ مُتابعتِه. فهو يَثِقُ بمُعاونيه ويهتمّ بشؤونهم؛ لكنّه يُتابع بنفسِه تفصيلاتِ العمل وتفصيلاتِ التفصيلات برشاقةٍ ذهنيّةٍ. وكانت عفويّتُه لافتة، بما في ذلك دُعاباتُه الذكيّة التي تُفاجئك! ولا أنسى قوّةَ مُلاحظتِه، فلا تفوته شاردة ولا واردة.

وعرفتُه أكثرَ حين عُيِّنْتُ عضوًا في مجلس البحث العلميّ لمُدّةٍ قصيرة، مُمثّلاً عن كلّيّة العلوم، ومع تسلُّم الدكتور محمود السمرة، رحمه الله، رئاسةَ الجامعة الأردنيّة. عُيّن الدكتور البخيت نائبًا لرئيس الجامعة للتخطيط وخدمةِ المُجتمع (1/9/1990-15/8/1989)، فنائبًا للرئيس للكُلّيّاتِ الإنسانيّة (15/12/1991-1/9/1990). بعد ذلك مُباشرةً، عُيّن رئيسًا لجامعة مُؤتة، بجناحيْها المدنيّ والعسكريّ (31/3/1993-16/12/1991)، فرئيسًا مُؤسِّسًا لجامعة آل البيْت (1/8/2001-1/4/1993).

أتوقّفُ قليلاً هنا، لأتأمّلَ – بكلّ موْضوعيّة – أبرزَ إنجازات الدكتور البخيت حتى تلك اللحظة، مُرتّبةً تأريخيًّا:

(1) تأسيس مركَز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنيّة عام 1972 الذي ما زال يرأس مجلسَ إدارتِه حتى اليوم؛ فهو بحقّ "أبو الوثائقِ والمخطوطات" في الأردنّ، وعنايته "الحانية" بها أشبهُ بالعنايةِ بالأبناء.

(2 ) تأسيس مُؤتمر بلاد الشام وإدارته منذ عام 1972 أيضًا؛ بكُلّ ما يَعنيهِ ذلك لمشرقِنا العربيّ على امتدادِ قرونٍ وقرون.

(3) رئاسة جامعة مُؤتة.

(4) تأسيس جامعة آل البيت ورئاستُها على أمد ثماني سنوات وأربعةِ أشهر. ولعلّ هذا الإنجازَ للدكتور البخيت هو الأبرزُ في سجلّه الحافلِ حتى هذه اللحظة. ذلك أنّ المغفورَ له الملك الحسيْن، بحكمتِه وبصيرتِه، منحَه صلاحيّاتٍ واسعةً كي تُصبحَ الجامعة الناشئة مغناطيسًا يجذب الباحثين والدارسين والطلبة من كلّ فجٍّ في العالم الإسلاميّ بأسرِه. فشمّر الرئيسُ المُؤسّسُ عن ساعديْهِ وعقلِه وقلبِه، وواصلَ الليْلَ بالنهار، ليجعلَ من الجامعةِ مركزَ إشعاعٍ عربيًّا إسلاميًّا أصيلاً ومُعاصرًا في آنٍ معًا. ليس هذا فقط؛ وإنّما كان هنالك مشروعٌ مُتكامل لتحويل موْقع الجامعةِ الصحراويّ إلى أرضٍ خضراء تُزهر وتُثمر، رغمَ شُحّ المياه في تلك الديار. مشروع هذه الجامعة بكُلّيّتِه سينال ما يستحقّه من الاهتمامِ والتحليلِ في هذا الملفّ. لكنّني وددْتُ أنْ أقفَ عنده مُتأمّلاً مُعجبًا، مع أنّني لمْ أكنْ من الباحثين أو الدارسين أو حتى الطلبةِ فيه. إنّما تسنّى لي آنذاك أنْ أزورَ الجامعةَ ثلاثَ مرّات أو أكثر؛ وكنْتُ على تواصُلٍ مع طلبةٍ سابقين لديّ وأصدقاء مُقرّبين عُيّنوا هناك. فذُهلْتُ بما رأيْتُ وسمعْت. حتى الطعامُ المُقدّمُ في مطاعم الجامعة كان لافتًا بمُستواه الرفيع، ورئيس الجامعة لا يَكلّ من التجوالِ حولَ ضيُوفِه؛ مُناديًا بصوْتٍ عالٍ: "قوِّ قلبَك يا فلان!" أي أقبل على الصحنِ أمامَك بهمّةٍ وعزيمة! وكان دائمًا يُقدّم الآخرين على نفسِه. ومنذ ذلك الحين، بدأتُ أصفه بـ "الشيْخِ ابنِ الشيْخ". فسواء اختلفْتَ معه أمْ لمْ تختلِف، كان لا بُدّ من الإعجاب بما أنجز في ذلك الركن القصيّ من شماليّ شرق الأردنّ، من بابِ الموْضوعيّةِ والإنصاف.

كانت هذه التجربــةُ الغنيّةُ للدكتور البخيت خيْرَ تمهيــدٍ لتجربتِه المَجْمعيّة. فرؤيةُ جامعتِه تتناغمُ مع رؤيةِ المجمع؛ والأهدافُ واحدة.

**التجربةُ المَجْمعيّة**

أُسّــس مَجْمعُ اللغةِ العربيّةِ الأردنيّ بإرادةٍ ملكيّةٍ ســامية عــام 1976 [عدد الجريدة الرســميّة المؤرّخ 1/7/1976م]. وبــاشر عملَه رســميًّا في 1/10/1976. وعَقــد "مجلسُــهُ" أوّلَ اجتــماعٍ له في اليــوم التالي، برئاســة وزيــر التربية والتعليم. وفي هــذا الاجتماع، انتُخــبَ المرحُومــون: الدكتور عبــد الكريم خليفة رئيسًــا للمَجْمــع، والدكتــور محمود الســمرة نائبًا للرئيــس، والدكتــور عيــسى الناعــوري أمينًــا عامًّا للمجمع. وبموجب قانون المجمع المُؤقّت رقم (40)، صدرت الإرادةُ الملكيّةُ بتعيين الدكتور خليفة رئيسًــا للمجمــع في 20/10/1976. وقد قاد مســيرةَ المجمع تســعًا وثلاثين ســنة، مُقدّمًا اســتقالتَه فــوْرَ صدور قانــون المجمــع الجديد [رقــم (19) لســنة 2015، المنشور في عدد الجريدة الرسميّة رقم 5341، بتاريخ 17/5/2015]. وبُعيْــد ذلك، انتُخــب الدكتور خالد الكركي رئيسًــا للمجمع لمُــدّة أربعِ ســنوات، وأعيد انتخابُهُ بعدها لأربعِ سنواتٍ أخرى. أمّا عهدُ الرئيسِ الثالثِ للمَجْمع، الدكتور محمّد عدنان البخيت، فقد بدأ حتى قبلَ انتخابِه رئيسًا، كما سيأتي.

لكنْ، قبلَ ذلك، أودّ أنْ أشيرَ إلى المادّة 6 من قانون المجمع التــي تنصّ على ما يأتي: "يتألّف المجمع من: أ- أعضــاء عاملــين لا يَتجاوزُ عددُهــم ثلاثين عضوًا؛ ب- أعضــاء مُؤازرين؛ ج- أعضــاء شرف." كما تنصّ المــادّةُ 9 على أنّه "يكونُ للمَجمع مجلسٌ يتألّف من جميع الأعضاء العاملين ...". أمّا مُتوسّطُ هذا العدد عبرَ الثماني والأربعين عامًا الماضية، أي منذ تأســيسِ المَجمــع، فلم يتجاوز في تقديري خمســةً وعشرين. بقــي أنْ أشــيرَ إلى المــادّةِ 8أ التي تنــصّ على الآتي: "يَنتخــب أعضاءُ المجلس العضــوَ العامل بالتصويتِ السرّيّ من بيْن المُرشّــحين للعضوية بنــاءً على تزكيةٍ خطّيّة من عُضويْن عامليْن تتضمّن ســيرتَه ومُؤهّلاتِه العلميّة ...".

بعــد هــذه الخلفيّةِ التــي لا بُدّ منهــا، أعود إلى الدكتور البخيت. فقد انتُخبَ عُضوًا عاملاً في المجمع، وَفقًا للموادّ المذكورة أعلاه التي كانت ساريةً أيضًا في القانون السابق للمجمع، وعُيّن فيه بُعيْد ذلك بإرادةٍ ملكيّةٍ ســامية في 8/5/1999 [علــمًا أنّ هذا الوضع تغــيّر منذ صــدور قانــون المجمع رقم (19) لســنة 2015؛ فاكتُفــي بانتخاب المُرشّــح بأغلبيّة المجلس، وتعيينِــه إثْرَ ذلك حُكمًا.] ولعلّ عــددًا من المُتابعين لهذه الأمــور رأوْا أنّ العضويّــةَ العاملةَ هذه جاءتْ مُتأخّرةً، وذلك بعد تأســيسِ المَجمع بثلاثٍ وعشرين ســنة! وكان هذا رأي الدكتور البخيت نفسِــه، الذي كان يُجاهرُ به صراحةً.

ولغرضِ إعطاء مسيرتِه المجمعيّةِ حقَّها من الإحاطةِ والإنصاف، سأقسّمُها إلى ثلاثِ مراحل:

(المرحلــة الأولى) منــذ تعيينِــه عضــوًا عاملاً في 8/5/1999 حتــى انتخابِــه نائبًا لرئيــسِ المجمع في 30/5/2021، وذلــك وَفقًــا للــمادّة 10ج من قانون المجمــع التي تَنصّ عــلى الآتي: "يَنتخبُ المجلس من بيْن أعضائه نائبًا للرئيس يقــومُ مقامَه عند غيابِه ... لمُدّة أربعِ سنواتٍ قابلةٍ للتجديد لمرّةٍ واحدة."

(المرحلة الثانيــة) منذ 31/5/2021 حتى انتخابِه بالإجــماع رئيسًــا للمجمــع في 22/10/2023، وَفقًا للمادّة 10أ ونصّها: "يَنتخبُ المجلسُ من بيْن الأعضاءِ العاملين بحضورِ ما لا يَقِلّ عن ثلثيّ الأعضاء رئيسًــا للمجمــع لمُدّة أربــعِ ســنوات قابلةٍ للتجديــد لمرّةٍ واحدة..."

(المرحلة الثالثة) منــذ 23/10/2023 حتى لحظة كتابةِ هذه السطور.

المرحلة الأولى: في أوّل سنتيْن من هذه المرحلة، كان الدكتور البخيت ما زال رئيسًا لجامعة آلِ البيْت. لكنّه كان حريصًــا على حضور جميــعِ اجتماعاتِ مجلسِ المجمع، والمُشاركة في مُناقشاتِه وقضاياه. كانت "فترة تأقلم" سريعة وسلسة مع أجواءِ المجمع آنذاك، وإنْ لمْ تخلُ من بعضِ الخلافات في الرأي، التي "لا تُفســد للودّ قضيّة"، مع عددٍ من "الشــخصيّاتِ المجمعيّة". وبيْن الحين والآخَر، كان يأتي مُحمّلاً بنســخ من مجلّةٍ يــرأسُ تحريرَهــا أو أي منشــورٍ آخر يُــشرف عليه: نســخة لكُلّ عضو. ولمْ تُفارقْهُ هذه العــادة المُحبّبةُ مُــذ عرفْتُه. أذكرُ في هذا المقام، مثلاً: "الندوة"، مجلّة جمعيّــةِ الشــؤونِ الدوليّة التــي رأس تحريرَها من 1988-2001 [وهو عضو مُؤسّس في هذه الجمعيّة، ودامتْ عضويّتُه من 1976-2001]؛ و"المجلّة الأردنيّة للتاريــخ والآثــار" التــي رأس هيئة تحريرِهــا لمُدّة أربع ســنوات [من 5/9/2009]؛ وسلســلة "الوثائق الهاشــميّة" [التي صدر المُجلّــد الأوّلُ منها في 1993، ومــا زالت مُســتمرّة]. ولعلّ أبــرزَ إنجازاتِه في هذه المرحلة:

(1) انتخابُه عضوًا في "المكتب التنفيذيّ للمجمع. فوَفقًــا للــمادّة 12 من قانون المجمــع: "يتولّى إدارة المجمع والإشرافِ على أعماله مكتبٌ تنفيذيّ برئاسةِ الرئيس، وعضويّة نائبِ الرئيس وثلاثة أعضاء عاملين يَنتخبُهم المجلس لمُدّة ثلاث ســنوات قابلةٍ للتجديد لمرّةٍ واحدة." فكان عضوًا في المكتب التنفيذيّ لمُدّتيْن مُتتاليتيْن انتخابًا، وبقي في عضويّتِه بعد ذلك بصفته

نائبَ الرئيس فالرئيس.

(2) أفـكاره المُؤثّرة في "لجنة المُعجمات" بالمجمع. فمثـلاً، فكّرت اللجنـة في البداية بمـشروع "مُعجم المُصطلحات الديوانيّة (الكتابيّة والإداريّة)" من مهد الدواوين حتى نهايةِ العـصرِ العثمانيّ. لكنّه أقنعها، بحُجـجٍ دامغة، أنّ العصرَ العُثمانيّ يسـتحقّ مُعجمًا مُنفصلاً لضخامةِ بياناته. وبذلك، فالأجدى أنْ يُختتمَ المُعجم الأصـليّ بالعصرِ المملـوكيّ. [والمُعجم جاهزٌ للتنفيـذ فوْرَ توافر الدعمُ المـادّيّ اللازم له!] كذلك، كان له آراء لها وزنُها في "مُعجم ألفاظ الحياةِ العامّةِ في الأردنّ"، بطبعتِـه الأولى التـي أصدرهـا المجمع بالاشتراك مع مكتبة لبنان عام 2006.

المرحلة الثانية: شاءت الأقدارُ أنْ يُنتخبَ الدكتور البخيـت لمنصب "نائـب رئيس المجمـع" في أوقاتٍ حَرِجـة. ذلك أنّ الرئيـسَ آنـذاك كان يتغيّبُ كثيرًا عن اجتماعاتِ المجلس والمكتبِ التنفيذيّ لأسـبابٍ صحّيّـة. فكان عـلى نائـبِ الرئيس أنْ يقـودَ هذه الاجتماعات بحكمةٍ واقتـدار. كان الدكتور البخيت يرى ويسـمع ويعـرف تمامًا ما يدور؛ لكنّـه أراد أنْ يسـيرَ قُدُمًا بأقلّ قدْرٍ من الضرر. وتجلّتْ حكمتُه – أكثرَ ما تجلّـت – بعد انتهاءِ ولايـةِ الدكتور الكركي. فكان إذا أشـار إليـه بعضُنـا بأنّه "رئيـس المجمع بالوكالـة"، يُصرّ بدوْره بأنّه "نائب الرئيس". والجدير بالذكـر أنّ نائـبَ رئيس المجمع لا يتقـاضى راتبًا أو مُكافأة، ولا يملك أيّ امتيازاتٍ سوى مكتبِه! ولا يُشار إليـه في قانون المجمع إلاّ في المادة 10أ المذكورةِ آنفًا، الخاصّـة بكيْفيّة انتخابه! لكنّ الدكتور البخيت أقبلَ على العمل بكلّ إخلاصٍ وحماسـة. وسُرعان ما أعاد

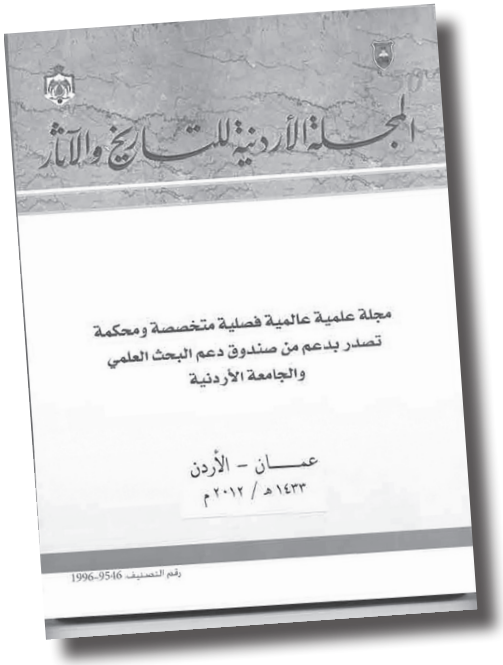


إلى قانـون المجمع هيْبتَه بالتزامِـه بأحكامِه – مثلاً، مـن حيث دعوةُ المجلس للانعقـاد مرّةً واحدةً على الأقلّ في الشـهر؛ ودعوةُ المكتب التنفيذيّ للاجتماع مرّتـيْن على الأقلّ في الشـهر. وكان مـن أوْلويّاته أنْ يَعقدَ اجتماعًا للمجلـس تلوَ اجتماع لانتخاب رئيسٍ جديـدٍ للمجمع، وَفقًا للمادّة 10أ التي مرّ ذكرُها. ... ثلاثة اجتماعـات أو أربعة لمْ يسـتطع فيها المجلسُ أنْ يَنتخبَ رئيسًـا له؛ لأنّه لم يحصلْ أيٌّ من المُرشّحين على الأغلبيّة المطلوبة، حتى أخذنا نتندّر بأنّ رئاسـة المجمع أصبحت أشبهَ برئاسة لبنان! والجدير بالذكرِ هنـا أنّ الدكتور البخيت أحجـم إحجامًا مُطلقًا عن قَبولِ الترشـيح في هذه الجـوْلات، مُتعلّـلاً بظروفِه الصحّيّـة، رغـم حَثّ بعـض الأعضاء. وأحسـبُ أنّ السببَ الحقيقيّ لهذا الإحجام كان إيمانه بأنّ "طالب الولايةِ لا يُولّى". لكنْ، بعد مرور أربعة شـهورٍ ونيّف والمجمـع دون رئيس، بدأ تيّارٌ قويّ يتولّد في المجمع

حاملاً معه تأييدًا كاسحًا لترشيح الدكتور البخيت لرئاسة المجمع. عندئذٍ فقط "رضخ" للضغوط، وانتُخبَ بالإجماع رئيسًا ثالثًا للمجمع، بعد المرحوم الدكتور عبد الكريم خليفة [مُدّة رئاسته: 39 سنة] والدكتور خالد الكركي [مُدّة رئاسته: 8 سنوات].

المرحلة الثالثة: بعبارةٍ أخرى، كان الدكتور البخيت في الخمسة شهور التي سبقتْ انتخابَه رئيسًا كأنّه "رئيس حكومة تصريف أعمال"! أمّا الآن، فقد أصبح "صاحبَ الولاية" بحقّ. وبدأ يتحرّك برشاقةٍ فائقة. فأوْلى لجانَ المجمع عنايةً خاصّة؛ لأنّ "المجمع بلجانه". وحرص على أنْ يحضرَ جانبًا من اجتماعاتها كي يَطّلعَ على جوْهرِ الأمور. وهو لا يُقْدِمُ على شيء إلّا بعد استشارةِ الأقربين إلى الموْضوع من أسرةِ المجمعِ وسواها. ويَكفي أن نُراقبَ عن كثب كيف يُدير اجتماعاتِ المكتبِ التنفيذيّ؛ فيَحتوي جميعَ الآراءِ المطروحة بحكمةٍ جليّة وصبرٍ جميل؛ ويُنجَز جدولُ الأعمال بسلاسةٍ وأريحيّة. كما أنّه يُتابعُ كلّ صغيرةٍ وكبيرة. فمثلاً، يَستمع إلى جميع برامج إذاعة المجمع، ويُبدي مُلاحظاتٍ دقيقةً وذكيّةً عليها؛ ولي تجربةٌ شخصيّةٌ في هذا الشأن. ويُتابع الإعلامَ المحلّيّ والعربيّ عمومًا المُتّصلَ بشؤون العربيّة وشجونِها. وهو مُستمعٌ ماهر. ويَفعل ما يقول. وقيادتُه من نوع "السهل المُمتنع"؛ فلا يشعر الناس أنّه يقود! وهذه فضيلةٌ كُبرى، خاصّةً في مُؤسّسةٍ كالمجمع. ويُعزّز ذلك بشمائلِه المعروفة التي جعلتني أصفُه بـ "الشيْخ ابن الشيْخ". وأهمُّها: النزاهةُ والإيثارُ والموْضوعيّة. ولا ننسى دُعاباتِه الذكيّةَ وسرعةَ بديهتِه. وأحيانًا يُفاجئنا بعبارةٍ تُذهلُنا. فمثلاً، كنّا في أحد الاجتماعات التي كُرّرت فيها الإشارة إلى "البلاد العربيّة". فعلّق بصوْتٍ خافت، قائلاً: "أنا أسمّيها (بلاد العربيّة)". حينها، لم أتمالك إلّا أنْ أشيدَ إشادةً خاصّة بهذه التسمية؛ فقد أعادَنا بجرّةِ قلم إلى أصلنا وفصلِنا وهُويّتِنا: إلى "اللسان العربيّ"! ولعلّ من أبرز المعالم منذ تولّيه رئاسةَ المجمع رعايةَ صاحبِ السمُوّ الملكيّ الأمير الحسن بن طلال المُعظّم، حفِظه الله ورعاه، لحَدثيْن بارزيْن: "اليوم العالميّ للغة العربيّة" في 18/12/2023؛ وافتتاح المؤتمرِ السنويّ للمجمع بعنوان "اللغة العربيّة في جنوبيّ شرقِ آسيا"، 28-29/8/2024.

لقد أبلى الدكتور البخيت بلاءً حسنًا منذ انتخابِه عُضوًا عاملاً في المجمع؛ وخاصّةً منذ تولّيه رئاسةَ المجمع، رغم قِصر المُدّة. وحسبُهُ توْفيرُ الأجواءِ المُعزِّزة للعملِ والإنتاج والحِوار. أقولُ ذلك بكُلّ موْضوعيّة، بناءً على تجربتي الشخصيّة. فقد تزاملْنا في عددٍ من اللجان خلالَ "المرحلة الأولى"؛ وفي المكتب التنفيذيّ خلالَ "المرحلتيْن الثانيةِ والثالثة". ونحن نتحدّث طوالَ الوقت عن أمورٍ مَجمعيّة وغيْرِها. وهو على أهبة الاستعداد لمُجابهة التحدّيات أمام المجمع. والتحدّياتُ الجِسام تستنهضُ الهِممَ الكبيرة. والتصدّي لها يَنطلق من مَجْمعنا وطُموحاتِه، إلى الوطن، فالأمّة؛ مُتوجّهينَ إلى الناطåΩقين بالعربيّة والمُقبلين على تعلُّمها في جميع أرجاءِ المعمورة.

والحديث يَطول. لكنّني أودّ أنْ أختمَ بالعوْدةِ إلى نقطة البداية: إلى وصفي رئاسةَ الدكتور البخيت للمجمع بأنّها "تتويجٌ لمسيرة حافلةٍ من العطاءِ الخيّر". فبُورك هو؛ وبُوركتْ مسيرتُه.

# د. محمد عدنان البخيت مؤسساً لجامعة آل البيت(*)

د. حسين محمد القهواتي*

" في الثامن عشر من شهر صفر من العام 1413هـ الموافق السابع من آب 1992م صدرت الإرادة الملكية السامية، من لدن جلالة الملك الحسين طيب الله ثراه، للشروع بتأسيس جامعة إسلامية عالمية في المملكة الأردنية الهاشمية، باسم "جامعة آل البيت" تسعى في مسيرتها إلى التجديد والاجتهاد في جو من الوسطية والاعتدال.

واختير لهذه المهمة الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت الذي عُرف بالكفاءة والنزاهة والتجربة منذ أن عمل في الجامعة الأردنية أستاذاً وإدارياً ناجحاً، وعند ترأسه جامعة مؤتة وتميزه في إدارتها وتطويرها وتحديثها، لذا صدرت الإرادة الملكية بتعيينه رئيساً لجامعة آل البيت في 1/4/1993م.

* أكاديمي وباحث عراقي

وفور تسلّم الأستاذ البخيت الأمر السامي بالتعيين، وضع برنامـج عمل للشروع بتأسـيس الجامعة وفق مسارات أربعة تُنفذ على نحو متوازٍ في آن واحد.

- المسـار الأول: تطوير المعسكر المخصّص للجامعة في مدينة المفرق، وتحوير مبانيه بما يتناسب ومتطلبات الجامعة وزراعة أراضيه الجرداء.

- المسار الثاني: إعداد المناهج النوعية التي تُعبر عن أهداف الجامعة الإسلامية العالمية.

- المسـار الثالث: اختيار أعضاء هيئة التدريس من الأقطار العربية والدول الإسلامية وغيرها.

- المسار الرابع: السـعي لقبول الطلبة من البلدان الإسلامية وغيرها.

ولتنفيذ هذه المسـارات اتخذ الرئيس المكلف مقراً مؤقتـاً له في جنـاح من الجمعيـة العلمية الملكية في عمان باسـم "مكتـب الارتبـاط" لحين تسـلّم مباني المعسـكر رسـمياً، واختار كادراً للسير معه في متابعة الإجراءات التمهيدية اللازمة للتأسـيس، وشكّل منهم دوائر أربع أساسـية: هـي المالية وشـؤون العاملين والعلاقات العامة والهندسة والصيانة.

هكـذا كانـت البداية لمـشروع كبـير وطموح، لا يسـتطيع أي شـخص إنجازه إلا من امتلك العزم مع الحزم، والحكمة مع الجرأة في اتّخاذ القرار، فضلاً عن التجربة.

**المسارُ الأولُ: تطويرُ المعسكر المخصّص للجامعة في مدينة المفرق، وتحوير مبانيه بما يتناسب ومتطلبات الجامعة وزراعة أراضيه الجرداء**

لقد بدأت خطوة الأسـتاذ الرئيس الأولى عند تسلّم مباني المعسـكر باسـتنفار دائرة الهندسـة والصيانة، بشعبها السـت: التصميم المعماري لإعداد التصاميم المعمارية اللازمة لمباني القاعات التدريسية والمختبرات والمراكـز والحدائـق وغيرها، وشـعبة المبـاني للقيام بالخدمات الهندسـية والفنية اللازمة للإنشـاءات في مباني الجامعة وساحاتها وأرصفتها وحدائقها. وشعبة المشاغل لتصنيع الأثاث للمكاتب والمطاعم والمختبرات وإعـداد المقاعـد والمنصّـات واللوحـات للقاعـات الدراسية، وصناعة شبك الحماية. والخزائن واليافطات وأحواض الزهور وغيرها التي تحتاجها عملية التحوير، وشـعبة الكهرباء لتركيب وحدات الإنارة ومدّ أسلاك الهاتف، وشـعبة الميكانيك لتشـغيل أجهـزة التدفئة والتكييف وشبكة مياه الشرب وصيانتها.

وفي الوقـت الـذي كان فيه الرجـل الطاقة يوجه العاملين في تلك الشـعب ويتابـع أعمالهم في تحوير مبـاني المعسـكر وتطويرهـا وتجهيزهـا، كان يرعى بحماسة وشـغف إنجازات كادر الشعبة السادسة في دائرة الهندسة المسـؤولة عن التنقيط والري ويحثهم عـلى بذل مزيد مـن الجهد في زراعـة أرض الجامعة المقفرة، بأسرع وقت، بعد أن وفرّ للعاملين في الزراعة آلافاً من شـتلات الأشجار الحرجية والزيتون والأخرى المثمـرة، كهدايا من عدد من وجوه البلد المحسـنين، بجهده الخـاص وعلاقاته الحميمـة معهم، وبخاصة عند حصوله على وعد من سـلطة المياه بزيادة حصة الجامعـة من الماء. وبعد أن اطمئن من إمكانية نجاح مشروعـه الذي أعدّه بمشـورة المهندسـين المختصّين للإفادة من ميـاه الأمطار الهاطلة على أسـطح مباني الجامعـة الواسـعة لـري الأشـجار والمزروعات عبر

شـبكة من أنابيب التنقيط أو بالصهاريج، فأحيا أرض الجامعـة الشاسـعة القاحلة وحوّلهـا إلى غابات من الأشجار النضرة، في وقت قياسي، كان العقل يعجز عن تصديقه على الرغم من أنَّ العين كانت تراه.

ومما هو جدير بالذكر، أنَّ هذا الأسـتاذ المؤسّـس بعـد أن طوّر مبـاني الجامعة وجهّزهـا وزرع أرضها وأعدّها على أحسـن حال لاسـتقبال الطلبة، وجد أنَّ مبانيها متشابهة لدرجة التطابق، مما يصعب الاهتداء إليهـا. لذا عمد إلى اختيار أسـماء مـن التراث العربي الإسـلامي، وأمر بخطها باللون الشذّري الجميل وهو لـون شـعار الجامعة، في أعـالي تلك المبـاني، وكانت الأسماء تعبّر في الغالب عن مهام شاغليها: فاختار على سـبيل المثال لمبنى كلية الدراسات الفقهية والقانونية اسـم "الإمام الغـزالي" ولمبنى كليـة الآداب والعلوم "البـيروني والبخاري" على التـوالي ولمبنى كلية الإدارة والاقتصاد "القاضي أبي يوسـف" ولمبنى معهدّي بيت الحكمة وعلوم الفلـك والفضاء "علي بن أبي طالب"، ولعـمادة شـؤون الطلبة "عثمان بن عفـان"، وأطلق على مركز الحاسـوب اسـم "الخوارزمي"، وعلى مركز اللغات "الفراهيدي"، وعلى دائرة القبول والتسـجيل "ابن خلدون"، وعلى دائرة الشؤون المالية "قدامة بن جعفر"، وعلى المتحف "سـمرقند" وعلى مرصد مراغة "أولـغ بيك" وعلى المكتبة المركزية اسـم الهاشـمية، وعلى هذا الغرار اختار لأكثر من خمسين بناية وموقع في الجامعة أسماء مناسبة.

ولم ينسَ تسـمية الشـوارع المؤدية إلى تلك المباني بأسماء دالة، فهذا شـارع دمشق وتلك شوارع بغداد وأصفهان والجزائر واستانبول وفاس والأقصى والقدس وتونـس وصنعـاء وغيرهـا الكثـير، كـما أطلق على سـاحات الجامعة أسماء جامعات إسـلامية اشتهرت في العصور الوسطى الإسـلامية، فهذه ساحة الجامعة المستنصرية وتلك السـاحات بأسماء جامعات أخرى مثل: القرويين، والنظاميـة، والأزهر الشريف، وحوزة النجف، والزيتونة، وتمبكتو، وعليكره. وسـمّى القاعة الكبرى مدرج الجامعة باسم الحسين بن علي.

ولم يغفل تسـمية جميع القاعات والورش والمراكز وسكنات الطالبات والطلاب، والمركز الصحي، والمرسم وقاعـة الموسـيقى، والملاعـب والمطاعـم والحدائق، لتوثيق مرحلة التأسيس... وكان القصد من وراء اختيار هذه الأسماء تجسيد فكرة الجامعة الإسلامية العالمية وإحيـاء رموزهـا التاريخيـة. فكان المتجـوّل في فناء الجامعة يومذاك، وكأنَّه سائحٌ من غير جواز ولا متاع، يسـافر بين مدن الإسلام وأقطاره، من كثرة ما يقرأ من أسماء مدنها وأسماء علمائها، وجامعاتها، ومتنزهاتها، وهي مدونة في واجهات المباني وعلى اليافطات الدالة عليها، ومما كان يشاهد من تنوع في جنسيات طلبتها وأساتذتها، إنَّه إنجازٌ فريدٌ وعظيمٌ لمؤسس قلّ نظيره.

كان الرئيس المؤسـس المثابر يبدأ عمله في الجامعة في ساعة مبكرة من الصباح، قادماً إليها من عمان، قبل بدء الدوام، يتجوّل بين الأشجار المزروعة حديثاً في أرجاء واسعة ومتفرقة من أرض الجامعة، ليرى العطشى منها التي ينقصها الري، والمرضى التي تحتاج إلى رش المبيد أو التسـميد. وبعدهـا يتنقل بين المنجـرة والمحددة ليطلّـع على مـا أُنجز فيهما من عمـل، ثم يتوجه إلى المختبرات الواحدة بعد الأخرى، ليتعرف على حاجاتها من الأجهزة والمواد، ومنها يسرع إلى المكتبة الهاشمية

ليتأكـد أنَّ طلبات الكتب والمجـلات العلمية والأفلام الوثائقية قد وصلت إليها، ثم يواصل جولاته التفقدية بين الأقسـام والمراكـز والمطاعم والملاعـب وقاعات الرسم والموسـيقى وفرن الفخار، للاطمئنان على سير العمل فيها، فإذا وجـد نقصاً في زيارته اليومية في أي موقع يحاسب المسؤول عنه بحزم وأحياناً بقسوة، ولم يسامح أحداً أهمل أو قصّر، وبالمقابل كان يثمّن جهد من قام بواجبه وأتقن عمله.

ولم يكتفِ الرجل ذو الطاقة الخلاقة بهذا القدر من المتابعـة اليومية، وإنَّما كان عليـه أن يقابل الضيوف القادمين إلى الجامعة يومياً، للمباركة والتهنئة بتأسيس الجامعة التي ذاع صيتها لا في الأردن فحسب وإنَّما في أقطار عربية وإسلامية وأوروبية.

فبلباقـة حبـاه الله بها وعذب الـكلام، كان يقابل ضيوفه، ويرسم لهم صورة الجامعة العلمية الإسلامية العالميـة، ويحثهم على دعمها وإرسـال الطلبة إليها. وكان من بين ضيوف الجامعة في سنة التأسيس، رئيس جمهورية كولومبيا، ووزير الشباب الأندونيسي، ووزير التعليم الماليزي، والسـفير الألماني، والسـفير الياباني، والسـفير الأندونيـسي، والممثل المقيـم لبرنامج الأمم المتحـدة، ومدير المجلس الثقافي البريطاني، والملحقون العسـكريون والثقافيون المقيمون في الأردن، والملحق الثقـافي العُـماني، والقنصـل العُماني، ومفتـي عُمان، وقضاة من باكستان، والبطريق حكيم بطريق انتوش، والكاردينال فرانسـز، ووفد من جامعة الإمام الصادق في إيران، ووفد من الجامعة الإسـلامية في تتارسـتان ووفـود كثيرة طلابيـة وغيرها من الداخـل والخارج، ومحاضرون كثر في مختلـف التخصصات وبخاصة في مادة منهج البحث عند علماء المسلمين.

وبعد نشـاط الرئيـس اليومي الممتد إلى السـاعة الخامسة مساءً، كان ينطلق مسرعاً إلى عمان لا ليأخذ قسطاً من الراحة في منزله، بعد عناء يوم متعب، وإنَّما كان للتوجّه رأساً إلى مكتب الارتباط لمتابعة اجتماعات لجان إعداد المناهج للتخصّصات المختلفة في الجامعة.

**المسارُ الثاني: إعداد المناهج**

اختار الأسـتاذ البخيت أعضاء لجان إعداد المناهج من الأسـاتذة الأردنيـين المعروفين بالخـبرة والدراية وغـزارة العلـم في تخصّصاتهم، وكانت هـذه اللجان تجتمـع في مكتب الارتباط مسـاء وأحياناً إلى سـاعة متأخـرة من الليـل لإعـداد مناهج نوعيـة متميزة، وضـع لهم الرئيس المؤسـس عناوينها. وكان لي شرف العمل لبعض الوقت مقرراً للجنة مناهج التاريخ التي كانـت تضمُّ في عضويتها: سـماحة الشـيخ عز الدين الخطيب التميمي، والأسـاتذة: عبـد العزيز الدوري، وعلي محافظة، ومصطفى الحيـاري، ومحمد المعاني، ووجدتهم يناقشون عناوين المناهج ومفرداتها بحرص وصـبر ودراية وبعد اتفاقهم عـلى عنوان أو بند كانوا ينظمـون محضراً لتلك الجلسـة. ومثل هذا الأمر كما علمـت كان يجري عند اللجان الأخرى وكثيراً ما كنت أرى وأسـمع أنَّ الرئيس يتنقل بين تلك اللجان مثمناً جهد أعضائها بعذب الحديث وبتعليقات مرحة تريح النفس وتزيل التعب.

ولمـا أُنجزت المناهج بعد شـهور من العمل المثابر والمتابعة الحثيثة، عرضها الرئيس على مجلس الجامعة وناقشـها معهم في جلسـات متعددة، ليسـمع آراء

الآخرين ويعدّل ويضيف ويحذف ويقترح حتى أُقرّت على الوجه الآتي:

**أولاً: المتطلبات الدراسية لدرجة البكالوريوس**

1. المتطلبات الدراسية الجامعية: يدرسها طلبة الجامعة جميعاً؛ بهدف تشكيل أرضية مشتركة بينهم وتنقسم إلى أربعة أقسام:

أ. المواد الإسلامية: 1. علوم القرآن الكريم 2. علوم الحديث النبوي الشريف 3. العقيدة 4. الفقه 5. علم أصول الفقه 6. المذاهب الإسلامية 7. دراسات في الأديان 8. الإسلام والقضايا المعاصرة. وخُصّص لكل مادة من المواد الثمان أعلاه ثلاث ساعات معتمدة فيكون مجموع الساعات للمواد الإسلامية 24 ساعة.

ب. المواد اللغوية: 1. اللغة العربية (6 ساعات)، 2. لغة واحدة من لغات الشعوب الإسلامية الآتية: التركية، الفارسية، الأوروبية، السواحلية، الملاوية (6 ساعات). لغة واحدة من إحدى اللغات الأوروبية: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الأسبانية، الروسية (6 ساعات) فيكون المجموع (18 ساعة).

ج. المواد الثقافية: 1. المدخل إلى التاريخ الإسلامي، 2. تاريخ آل البيت وفقههم 3. الحاسوب 4. المكتبة وأساليب البحث (خُصّص لها 12 ساعة) 5. الرياضة وخُصّص لها ساعة واحدة. فيكون مجموع الساعات للمواد الثقافية (13 ساعة).

د. المواد الاختيارية: على الطالب أن يختار واحدة من المواد الآتية وخُصّص لها 3 ساعات:

1. مقدمة في المنطق والفلسفة 2. مقدمة في علم الاجتماع 3. مقدمة في علم النفس 4. مقدمة في الفلكيات. وعليه يصبح مجموع الساعات المعتمدة لمتطلبات الجامعة التي ينبغي على كل طالب في جامعة آل البيت أن يدرسها 58 ساعة معتمدة. وهذه المتطلبات هي التي ميّزت جامعة آل البيت عن غيرها من الجامعات الأردنية وصبغت الجامعة بالصبغة الإسلامية العالمية.

2. متطلبات التخصّص الرئيسة والمساندة (93 ساعة) معتمدة فيكون مجموع الساعات المطلوبة من طالب البكالوريوس أن يدرسها في جامعة آل البيت 151 ساعة، وهي أكثر عدد من الساعات من أية جامعة أخرى في الأردن. وفضلاً عن كثرة الساعات، كان يلزم على كل طالب أن يعدّ ورقة بحثية في كل مساق يدرسه وأن يقدّم مشروع تخرج في السنة الأخيرة من دراسته.

**ثانياً: أمَّا متطلبات دراسة الدبلوم والماجستير: فكانت جديدة ونوعية بينها مادة منهج البحث عند علماء المسلمين المفروضة على جميع طلبة الجامعة.**

**المسارُ الثالثُ: أعضاء هيئة التدريس**

لقد تعاقد رئيس الجامعة مع أعضاء هيئة التدريس عن طريقين:

1. المراسلة الشخصية المباشرة مع أشخاص يعرفهم.
2. الإعلان عن وجود شواغر.

وبمتابعة شخصية مع من راسلهم، وقراءة فاحصة في ملفات المتقدمين، تعاقد مع نخبة من أعضاء هيئة التدريس في اختصاصات متعددة، ومن جامعات عربية وإسلامية مختلفة.

وكان توزيع أعضاء هيئة التدريس في السنة

التأسيسية الأولى 85 عضواً من الأقطار الآتية: سوريا، مصر، العراق، فلسطين، السودان، المغرب، الجزائر، الهند، تركيا، إيران، المانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، فضلاً عن أساتذة من الأردن قضوا سنة تفرغهم العلمي فيها. وقد وفرّ لهم الأستاذ الرئيس ما يحتاجون إليه من كتب أساسية، ومجلات علمية، ووثائق وخرائط في المكتبة الهاشمية لإنجاز بحوثهم، ووفر لهم الأجهزة الحديثة، والمواد اللازمة لإنجاز تجاربهم في المختبرات، كما أسّس لهم مجلة المنارة المحكمة لنشر نتاجاتهم العلمية فيها، ومجلة البيان لنشر مقالاتهم الثقافية والفنية.

ولما كانت الجامعة إسلامية عالمية اهتم الأستاذ البخيت بأن يكون كل عضو هيئة تدريس ذا هيبة ووقار في هندامه وتصرفاته وحديثه، على غرار شيوخ الجامعات والمدارس الإسلامية في عهد الازدهار، وأن يقدم مشروع بحث في كل فصل دراسي يناقش في مجلس القسم ويحضره طلاب الدراسات العليا وغيرهم. ليس هذا فحسب وإنَّما كان الأستاذ الرئيس يقف على رأس كل ساعة في الساحة التي تتوسط مباني القاعات الدراسية ليطمئن بأنَّ الجميع قد وصل إلى قاعته، فإذا صادف أن وجد أحدهم ما زال في طريقه إلى القاعة استوقفه بلطف وأخبره أنَّ ساعة الدرس ودقائقها مقدسة. لذا من استطاع منهم تنفيذ أهداف الجامعة استمر ومن لم يستطع مضى.

كان الرجل المؤسس طموحاً جداً، أراد أن يجعل من جامعة آل البيت، شبيهة بجامعتي اكسفورد وكامبردج البريطانيتين.

**المسارُ الرابعُ: قبولُ الطلبة من الأقطار العربية والإسلامية كافة ومن غيرها.**

وغير خافٍ على الكثيرين أنَّ الرئيس المؤسس كانت له طرق وأساليب خاصة مع كل مسار بغية تحقيق أهداف الجامعة، فبالنسبة لقبول الطلبة بدأ اتصالاته بالملحقيات الثقافية للبلاد العربية والإسلامية وغيرها المعتمدة في المملكة الأردنية الهاشمية، وعرّفها بأهداف الجامعة، وطلب إليهم الدعم والسعي لإرسال طلابهم إليها، ولم يكتفِ بذلك وإنَّما خاطب الملحقيات الثقافية الأردنية في الخارج وزوّدهم بمنشورات الجامعة وأسس القبول فيها ومناهجها وطلب إليهم مخاطبة وزارات التربية والتعليم في تلك البلدان لإرسال الطلبة إلى جامعة آل البيت ولم ينتظر نتائج مساعي هؤلاء وإنَّما سافر إلى عدد من الأقطار

الإسلامية ومنها ماليزيا ليضمن من مسؤوليها إرسال دفعة من طلاب البكالوريوس والدبلوم والماجستير، إلى الأردن من الذين تتوفر فيهم شروط القبول وفق الأسس المعمول بها في وزارة التربية والتعليم الأردنية، ومجلس التعليم العالي.

وقد أُنيطت مهام تدقيق ملفات المتقدمين، إلى وحدة القبول والتسجيل وبإشراف مباشر من رئيس الجامعة، وقد رأيته أكثر من مرة، عند ترؤسه لجنة القبول التي تضم أعضاء من الأقسام المعنية، فضلاً عن مدير القبول ومساعده، يقلّب أوراق المتقدم بعناية ويشير أحياناً إلى نقص فيها ويعيدها إلى مدير وحدة القبول لاستكمال نواقصها. ومما يجدر ذكره أنَّ هذه الوحدة أفلحت في تهيئة مستلزمات القبول من جداول الساعات الدراسية للأقسام وجداول الامتحانات، وأعدت المطبوعات المتعلقة بعملية التسجيل وإصدار الهوية الطلابية.

كما هيأ رئيس الجامعة للطالبات اثني عشر سكناً داخلياً مجهزاً بالتدفئة والتبريد والتلفاز والمطابخ والأثاث اللائق، وعيّن لكل سكن مشرفة أو أكثر بإشراف من عمادة شؤون الطلبة وجعل على المشرفات مشرفة من أعضاء هيئة التدريس تتصل به، ليعرف عن طريقها وضع الطالبات اليومي وحاجاتهنّ، ومثل ذلك كان يتابع أمور الطلاب الداخليين.

ولم ينسَ أن يؤسس للطلبة جريدة باسم الشورى، لتكون صوتهم في الجامعة.

وفي ختام هذه الورقة لا بدَّ أن يُشار بأنَّ الجهد الفريد والمبدع والمتنوع الخلاق، لمؤسس جامعة آل البيت لا يمكن اختصاره في صفحات؛ لأنَّ الرجل الكبير، فضلاً عن نجاحه الباهر في تأسيس الجامعة وتجهيزها، وتميزه في إدارتها وتفوقها، كان أيضاً أستاذاً لامعاً وتربوياً قديراً وباحثاً رصيناً.

في محاضراته كان يُسحر مستمعيه بحلو الكلام ورصينه وثمينه ويجعلهم صامتين خاشعين كأنَّ على رؤوسهم الطير. وكتربوي قدير كان يرى أنَّ دور الجامعة لا ينبغي أن يقتصر على تخريج الطلبة في تخصصات معينة وإنَّما لإعدادهم للحياة ولمسايرة التقدم العلمي، لذلك نوّع مناهج جامعة آل البيت وميّزها لهذا الهدف ورعى الآداب والفنون وأسهم في رقيها وتوظيفها لخدمة المجتمع.

وكباحث في التاريخ كان يحرص على تحري الحقيقة بالدقة والموضوعية، لم يستخرج نظرياته واستنتاجاته، في كتاباته من فرضيات مسبقة وإنَّما من صلب الحقائق التي كان يتوصل إليها بالصبر.

وفي تواضعه وأدبه الجم وعذب حديثه وشائقه كان يشعرك كأنَّه طوى المسافة بينه وبينك، واقترب منك كثيراً، ولكن مع قرب تلك المسافة كنت لا تجرأ على الاقتراب منه أكثر، لما حباه الله من هيبة ووقار وعزة نفس وقوة شخصية.

حما الله شيخ المؤرخين وعميد الإداريين وقدوة المؤسسين وفخر الباحثين أيقونة الأردن وقامتها السامقة الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت، وأمدَّ الله في عمره.

**(*) أُعدت هذه الورقة اعتماداً على ما حفظته الذاكرة من معلومات عن سنة التأسيس الأولى التي عاصرت فيها تنفيذ المسارات أعلاه، وعُززت بأخرى وردت في كتاب جامعة آل البيت في عامها الأول 1415 - 1416 هـ / 1994 - 1995 م.**

# الإشراقُ الثقافيُّ في جامعة مؤتة زمن "البخيت"

د. فايز القيسي*

في الخامس عشر من كانون الأول من عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين كان لمحمد عدنان البخيت لقاء مع جامعة مؤتة، التي تشرف برئاستها بعد عشر سنوات من تأسيسها، فكان ثالث أساتذة قادوا الجامعة عبر العقد الأول من عمرها الذي مثّل فجرها المشرق، ورسموا بريشة المجد والفخار وجهها الصبوح، وظلّوا أوفياء لمعاني الرسالة التي حملها فرسان معركة مؤتة التي كانت في السنة 8هـ/ 629م، تلك الرسالة الحضارية التي حوَّلت المعركة الفاصلة في تاريخ أمتنا إلى جامعة متميزة وبوابة مشرعة نحو التقدم والإبداع والقوة والمنعة.

* أكاديمي وباحث أردني

فمثَّلت رئاسته للجامعة على قصرها مطلع ضُحاها وَقــد صَرّف أيامه حَتّى أنجز مــا كانَ بعيد المنال في ميادين التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، وممَّا ساعد على ذلك التوسع في إنشاء وتطوير البنى التحتية من مباني كليات ومختبرات وقاعات تدريس ومدرجات وغيرها، إضافةً إلى تشجير الحرم الجامعي ومسالكه ودروبه، وغدت الجامعة في مستوى الآمال الكبيرة المعقودة على إنشــائها في إعداد متخصّصين في العلــوم والآداب والفنــون وغيرهــا، ليســهموا في النهضــة العلمية والثقافيــة والاجتماعية والاقتصاديــة في الأردن، والوطن العربي الكبــير، ويواكبوا الركب الإنســاني المنطلــق في مجالات الفكــر والإنتــاج والإبــداع، وليتمرســوا بأصــول البحــث العلمي ومناهجــه، وليضعوا خلاصة عملهم، ونتاج بحوثهم وابتكاراتهــم في بنــاء بلدهم، وخدمة أمتهم وسائر بني الإنسان.

ويســتطيع الناظــر في الإنجــازات التــي حقّقتها الجامعة في تلك الفترة التي لم تتجاوز ســنة ونصف، أن يــدرك أنَّ البخيت كان يملــك رؤيةً عميقةً للدور الحضــاري لجامعــة مؤتــة، وتمكَّن أن يحــوِّل تلك الرؤيــة التي يؤمن بهــا إلى وقائع يومية أســهم في صياغتها وتحقيقها معه أبناء أسرة الجامعة بجناحيها العسكري والمدني في آن واحد.

ولا شــكَّ في أنَّ الحديــثَ عن الإنجــازات في تلك الفترة ذو شــجون، لكنّنــي إلى الحديث عن الإشراق الثقافي أشــوق؛ ذلك أنّني كنتُ شاهداً على مجريات كثير من وقائعه وأحداثه.

لقــدْ عمدتْ الجامعةُ خلالَ فترةِ رئاســةِ البخيت إلى رســمِ رؤيةٍ ثقافيةٍ أصيلةٍ عميقةٍ تكفلُ لها القيامَ بدورهــا الثقافي في جنــوبِ الأردنِ، لتبقى جامعةً نابضةً بالحياةِ الثقافيــةِ ماضيــةً إلى الأمامِ، تســعى إلى ازدهــارِ الأدبِ والفنِ والفكــرِ دونَ انقطاعٍ، وإلى المساهمةِ مع المؤسساتِ الثقافيةِ في جنــوبِ الوطنِ في بنــاءِ مجتمــعٍ أردنيٍ واعٍ يأخذُ الحكمة النافعة ويقتبســها أنّى وجدها، ويمنحها حياةً جديدةً، مجتمعاً حيَّاً - يســتمدُّ وجودهُ واســتمراريتهُ مــنْ الجمــعِ بينَ الأصالــةِ والمعــاصرةِ، وقــد جاء ذلك من الإيمــان العميق بأنَّه لا يمكن أن تكون هناك تنمية وطنية شــاملة دون أن تكون هنــاك تنميــة ثقافية جادة ومخلصة.

لقد استطاع البخيت، خلال مدة قصيرة، أن يحوّل هذه الرؤية التي يؤمــن بها إلى وقائع ثقافية يومية قريبة من المجتمع الجامعــي أولاً، والمجتمع المحلي ثانياً، والمجتمــع الأردني ثالثاً. وقد تمثَّل ذلك في عدد من الإنجازات الثقافية، التي كان من أبرزها:

**1 - إصدار المجلة الثقافية "راية مؤتة"**

لقد جاء إصدارُ العـدد الأول من هذه المجلة، في أيار من عـام 1992م، ثمرةً طيبةً مـن ثمار الجامعة برئاسـة البخيـت في رفد الحركـة الثقافية في الأردن عامة، وجنوبه خاصة، بكل نافع ومفيد، والمشـاركة في ميادين التنميـة الوطنيـة بأبعادهـا وجوانبها الاقتصاديـة والاجتماعية والفكرية وغيرها. وقد كان لهذه المجلة دورٌ أصيلٌ في التعبير عن الصورة الثقافية في جامعة مؤتة، وتنشيط الحركة الفكرية فيها، ونهج متميز في استقطاب نتاج المبدعين من شعراء وكُتّاب وفنانـين ومفكّرين أردنيين وعـرب لتحقيق التفاعل بينهم وبين أبنـاء المجتمع الجامعي. لقد كانت أحد أشـكال التعبير الثقافي المسؤول الذي نشأ وترعرع في جامعة مؤتة، ورفد الحركة الثقافية بكل نافع ومفيد، وأسهم في مد جسور التفاعل الإيجابي مع المثقفين في ربوع الوطن وخارجه.

وقد تولَّى رئاسـة تحريرها خلال هذه المرحلة من تاريـخ جامعة مؤتة عدد من الأسـاتذة من أصحاب الخبرة والتجربة الثقافية الواسـعة، كان في مقدمتهم الدكتور محمد المجالي والدكتور فايز القيسي.

**2 - إصدار صحيفة مؤاب الطلابية**

يُعدُّ إصدار صحيفة مـؤاب؛ وهي جريدة طلابية شـهرية تصدرها عمادة شـؤون الطلبـة في جامعة مؤتة، من أهم مبـادرات البخيت، فقد صدر العدد الأول منها بعد شـهر من توليه رئاسـة الجامعة، في كانـون الثاني من عـام 1992م، وقد حـدّد في كلمة العدد الأول الأسـس التـي قام عليهـا إصدار هذه الصحيفـة، فهي على حدِّ قوله: (تتيـح منبراً لجميع أبنائنا الطلبة للمشاركة الإيجابية البناءة والفعالة في تشـكيل الحياة الفكرية الأصيلة، والتربوية الهادفة، والفنية المبدعة في الحرم الجامعي.)

وقد أُدير هـذا المنبر ضمن قاعـدة أدب الحوار، واحترام الرأي الآخر، والإسـهام بالتعريف بالمواهب الإبداعيـة الطلابيـة، وإتاحة الفرصة لهـم للإبداع، والمشـاركة في بناء حياة جامعية أصيلة باطلاعها على التراث الحضاري للأمة العربية والإسـلامية، وحريصة على عربيتها وعروبتها معاً.

وسـعت مجلة مؤاب بدأب إلى التعريف بذخائر التراث العربي الإسـلامي الذي نعتـزُّ ونفخر به دائماً، هذا بجانب الاطلاع الواعي على الأدب الأردني والتراث المحلي، ومتجددة بمقدار ما تواكب مجالات الإبداع، ملمـة بما يجـري في العالم وما يشـهده من تحولات جذريـة سريعة، مع المعرفة والاهتمام بانعكاسـات هذه التحـولات على أبناء أمتنـا في الأقطار العربية جميعها .

وقـد غدت هذه الجريدة عـبر أعدادها المتتابعة منبراً للكلمة الطيبة، تلتقي في صفحاتها قلوب طلبة الجامعة على الخير والألفة والصفاء، وحب الجامعة والإخـلاص في خدمتهـا، في إطـار الوطـن الواحـد. وأصبحت بمرور الأيام سجلاً ثقافياً مهمّاً يبرز مواهب الطلبـة الأدبية. ونتاجهم الفكـري، ويوفر لهم فرص التعبير، وقد بـادر أثناء رئاسـته إلى وضع تعليمات مجلس طلبة جامعة مؤتـة، وجرت الانتخابات لهذا المجلس لأول مرة في تاريخ جامعة مؤتة.

**3 - الموسم الثقافي**

لقـد عمـدت الجامعـة بتوجيهـات البخيت إلى

إقامة موسم ثقافي، تُعقد حلقاته أيام الأحاد من كل أسبوع، على مدار أشهر العام، استضافت فيها عدداً من أصحاب الخبرة والمشورة والإبداع من السياسيين والتربويين والمفكرين، والشعراء والروائيين والكتّاب وغيرهم ممن يتحدثون في إطار الكلمة المسؤولة - في كثير من القضايا التي تهم المجتمع المحلي بخاصة والمجتمع الأردني بعامة-، في مجالات السياسة، التربية والتعليم، والشؤون الاقتصادية والصحية والثقافية وغيرها.

وكان في مقدمة هذه الشخصيات: السيد أحمد اللوزي، رئيس مجلس الأعيان، الذي ألقى محاضرة حول " المسيرة الديمقراطية في الأردن"، ومعالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس مؤسسة آل البيت الذي ألقى محاضرة حول " البحث العلمي في المراكز والمؤسسات". ومعالي الدكتور عبد اللطيف عربيات، رئيس مجلس النواب، الذي ألقى محاضرة حول " الديمقراطية في الأردن"، ودولة العين الأستاذ أحمد عبيدات، رئيس اللجنة الملكية لصياغة الميثاق الوطني، الذي ألقى محاضرة حول "الميثاق الوطني"، والأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، "حول المجامع اللغوية"، ومعالي الأستاذ الدكتور محمود السمرة وزير الثقافة، الذي ألقى محاضرة حول "شؤون الثقافة في الأردن"، ومعالي المهندس رائف نجم رئيس لجنة إعمار المسجد الأقصى الذي ألقى محاضرة حول القدس وغيرهم كثير.

كما شهدت الجامعة في هذه الفترة تنظيم سلسلة من الندوات الثقافية التي كانت تُقام مساء الثلاثاء من كل أسبوع في نادي الجامعة، إضافة إلى مدِّ جسور التعاون إلى النقابات المهنية والملتقيات الأدبية والمنتديات الثقافية والجمعيات النسوية المختلفة، فقدمت لها الأمكنة، وأقامت لها المنابر لعقد لقاءات ثقافية ومواسم علمية مختلفة.

وفي هذا الإطار شهدت جامعة مؤتة خلال سنة ونصف إقامة ستين فعالية ثقافية، عقدت بعضها كليات الجامعة المختلفة، وأقامت بعضها الآخر بالتعاون مع رابطة الكتّاب الأردنيين، وملتقى الكرك الثقافي وغيرها.

**4 - النشاط المكتبي، وإقامة معارض الكتب**

لقد شكّل دعم مكتبة جامعة مؤتة بتوفير الكفاءات العلمية والإدارية والفنية المؤهلة في مجال علم المكتبات، وزيادة محتويات المكتبة من المواد المكتبية جزءاً مهمّاً من اهتمامات البخيت، فقد نُقلت المكتبة إلى مبنى جديد صُمّم تصميماً هندسياً حديثاً، يتناسب وطبيعة المكتبة وحاجات روادها من باحثين. وتبنت رئاسة الجامعة خطة طويلة الأجل لرفد المكتبة بمختلف المصادر والمراجع والدوريات وصور الوثائق والمخطوطات وغيرها، تقوم على تكثيف عملية الشراء، واستدراج الإهداءات من المواد المكتبية من داخل الأردن وخارجه، حتى وصلت المواد المكتبية المسجلة إلى مائة وسبعة وأربعين ألف مادة مكتبية مختلفة.

ولما كان البخيت يرى أنَّ الإفادة من الثقافة حقٌّ لجميع أبناء المجتمع المحلي على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والمعرفية، وليس حكراً على الصفوة من أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة؛ فقد أتاحت

الجامعة الفرصة أمام أبناء محافظة الكرك، ممن هم ليسوا من طلبة الجامعة للإفادة من مقتنيات مكتبة الجامعة، من المصادر والمراجع والدوريات والمخطوطات وغيرها، لإغناء ثقافتهم، وإعداد الأبحاث والدراسات المختلفة. كما أقامت الجامعة عدداً من معارض الكتب التي شارك فيها عددٌ كبيرٌ من مكتبات ودور النشر المحلية؛ مما أتاح الفرصة أمام طلبة المدارس ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة للإفادة منها والحصول على الكتب بأسعار تشجيعية؛ مما أسهم في بناء المكتبات الخاصة وإغناء المكتبات العامة، مثل مكتبات المدارس والبلديات والمؤسسات العلمية المختلفة، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل عمدت مكتبة الجامعة إلى الإسهام في بناء المكتبات العامة من خلال برنامج إهداء المطبوعات الذي يتم عبره تزويد تلك المكتبات بعددٍ كبيرٍ من الكتب من منشورات الجامعة وغيرها.

**5 - استخدام الثقافة أداةً للتغيير الاجتماعي والتربوي والتعليمي الإيجابي**

لقد آمنت الجامعة برئاسة البخيت أنَّ العمل الثقافي الجاد يقود إلى تغييرات وتحولات على المستوى الاجتماعي والتربوي والاقتصادي، وأنَّ له انعكاسات إيجابية على البيئة التي تحيط بالجامعة، ذلك أنَّ الفعل الثقافي عملٌ ذو ارتباط عميق بالبنى الاجتماعية والاقتصادية، وأساليب التفكير والسلوك؛ لذا فقد عمدت الجامعة إلى استخدام الثقافة وسيلة للتغيير الإيجابي في سلوكيات المجتمع الجامعي والمحلي، من خلال إحداث الوعي الاجتماعي والتربوي والصحي بالقضايا والمشكلات التي تواجه الأفراد والمجتمعات المحلية وسبل معالجتها، مثل حوادث السير و"الجلوات العشائرية" وإطلاق العيارات النارية وغيرها. وفي هذا الإطار قامت الجامعة بعقد عدد من الندوات وورش العمل ذات الصبغة الاجتماعية والتربوية والثقافية، مثل: قلق الامتحان، والكشف المبكر عن السرطان، والتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وتلوث البيئة وغيرها ..

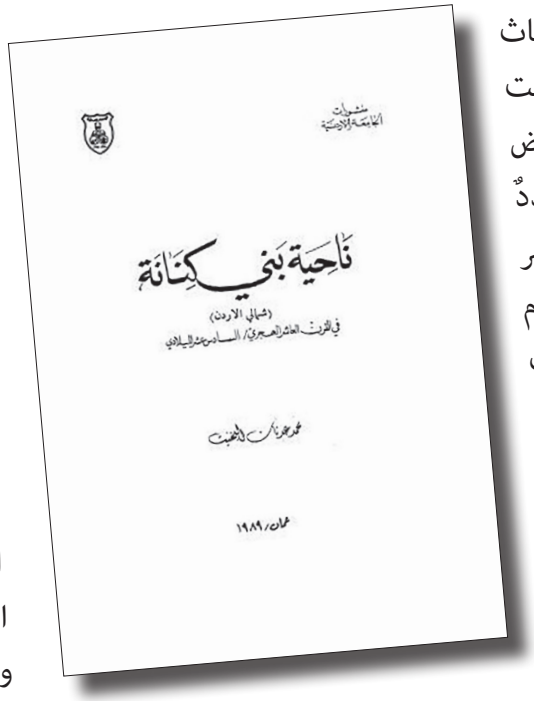
منشورات الجامعة الأردنية

ناحية بني كنانة

(شمالي الأردن)

في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

عمان/ ١٩٨٩

**6 - تفعيل دور النشاطات المسرحية والموسيقية وغيرها من البناء الثقافي**

لقد سعت جامعة مؤتة إلى تطوير العلاقة بين الجامعة من جهة والمسرح والفنون الموسيقية والصحافة وأندية الشباب والمهرجانات الثقافية من جانب آخر لتجمع بين الترويح والتثقيف، وفي هذا الإطار طوّرت الجامعة الفرقة الموسيقية التابعة لعمادة شؤون الطلبة، واستضافت عدداً من

النشاطات والفعاليات المسرحية والموسيقية وغيرها، كما أسهمت في دعم المؤسسات الثقافية والأندية والجمعيات التعاونية في محافظة الكرك، على مستويات الإعداد والتخطيط وتحديد الفعاليات واستضافة بعضها .

**7 - إنشاء لجنة لإحياء التراث المحلي**

وعمدت الجامعة إلى تشكيل لجنة لإحياء التراث، وذلك في إطار العمل على إبراز الدور الحضاري لمنطقة الجنوب من خلال دراسة واقع القرى والمدن، وتوثيق المعلومات المتصلة بالمنطقة وواقعه لتكون مرجعاً للباحثين والدارسين، إلى جانب إتاحة الفرصة لمشاركة أبناء المجتمع المحلي من ذوي الكفايات العلمية في كتابة تاريخ المنطقة والمساهمة مع الجامعة في إنجاز التوثيق العلمي المطلوب، وذلك في إطار دعم الجامعة لمشاريع دراسة التراث المحلي، وتوفير عوامل نجاحها ضمن الإمكانات المتاحة، ومن خلال التعاون مع المؤسسات المحلية والعربية والعالمية المعنية بالتراث الحضاري المحلي .

وقد استطاعت الجامعة من خلال لجنة التراث إصدار تسع دراسات تؤرخ للتراث الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي في محافظة الكرك خاصةً، والأردن عامةً، منها قصر الملك عبد الله في معان، تقارير حكومة الانتداب عن شرق الأردن، وقرية عيمة في محافظة الطفيلة، وملامح من التراث الشعبي في محافظة الكرك، وغيرها، وقامت لجنة برئاسة الدكتور البخيت بالاطلاع على سجلات مدرسة الكرك وتصنيفها، وباشرت بكتابة تاريخ المدرسة.

لقد آمن البخيت بأنَّ هدف الجامعة يتجلّى في ضرورة العمل للمؤامة بين الأصالة والمعاصرة لحلِّ الصراع القائم بين الماضي والحاضر حتى في أسلوب التعليم وطرائقه. فاللغة العربية التي أسّست حضارة عظيمة، كانت الفعّالة في تكوين الفكر العربي، إذ لم تنطلق من فراغ، بل كانت تقوم بتكوين هذا الفكر استناداً إلى مقومات حضارية أصيلة.

**8 - مشروع " فنانين من الجنوب"**

لقد آمنت جامعة مؤتة في ظلِّ رئاسة البخيت لها بأنَّ تنمية المجتمع لا يمكن أن تكون إلا إذا توفرت العناية اللازمة بالشباب المبدعين من كُتّاب وشعراء وفنانين ورعايتهم ومساعدتهم وتشجيعهم ومدهم بما يحتاجون إليه من وسائل مادية ودعم معنوي؛ لأنَّ هؤلاء الشباب المبدعين هم صورةُ مجتمع الغد؛ لهذا تبنت الجامعة مشروع " فنانين من الجنوب"، أتاحت خلاله الفرصة لفنانين ونحّاتين مغمورين جاءوا من عاصمة الأنباط لعرض نتاجهم الفني الآسر في صالات الجامعة وأجنحتها، فرعتهم حتى يقتحموا الفضاء الرحب مجتازين حواجز التردد والمكان والزمان.

**صفوةُ القول**

لقد شهدت جامعة مؤتة - في ضحاها في ظلِّ رئاسة البخيت لها- إشراقاً ثقافياً باهراً، فأسهمت بصيغ متعددة في مسيرة الوطن الثقافية نحو الرقي والتقدم، حتى غدت طوال سنة ونصف من عمرها كالشجرة الطيبة، أصلها ثابت في مؤتة، وفروعها في مسالك الوطن ودروبه، "تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا"، وإخلاص ولاة أمرها وأبنائها الذين كان لها في نفوسهم مكانة، وفي قلوبهم منزلة، وفي خواطرهم رعشة اعتزاز، "ونعم أجر العاملين".

# مدرسةُ "البخيت" التاريخيّة في الدراسات الشامية/ العثمانية

المهدي الرواضية*

لم يكد يمضي على تأسيس الجامعة الأردنية عقد من الزمان، حتى عاد إليها محمد عدنان البخيت عام 1972م أستاذاً حاصلاً على درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية (بجامعة لندن) School of Oriental and African Studies. وكان قبلها قد تحصَّل على درجة البكالوريوس في تخصُّص التاريخ من الجامعة الأمريكيّة سنة 1963م، وهي السنة ذاتها التي تأسَّس في مطلعها قسم التاريخ بالجامعة الأردنية (يناير/ كانون الثاني 1963م)، وتابع في الجامعة الأمريكيّة دراسته لنيل درجة الماجستير فأحرزها في العام 1965م، ليلتحق بعدها معيداً في قسم التاريخ بالجامعة الأردنية (1966 ـ 1967م)، ويتقرّر إيفاده إلى لندن.

* كاتب وباحث أردني

منذ ذلك التاريــخ (1972)، أمضى البخيت نصف قرن وســنتين في الجامعة الأردنيــة؛ متنقلاً بين إدارة الأقســام الأكاديميــة والدوائــر الإداريــة والعلمية، وتأســيس المراكز البحثية، وعقد المؤتمرات والندوات واللقــاءات، وإعداد البحوث والدراســات، وتحقيق التراث، وترجمة الســجلات ودفاتــر الطابو ونشرها، وتأسيس بعض الجامعات ورئاستها، وهو في ذلك كله لم يُغفل المهمة التي آمن بها والرســالة التي حملها: التدريــس والتعليــم والإشراف الجامعــي، فلم تثنه كثرة المهام الرســميَّة التي تولاها عن متابعة تلاميذه وتوجيههم وإرشادهم.

اختار الأستاذ البخيت مساراً علمياً محدّداً وواضحَ المعالم، في وقــتٍ كانت فيه الكتابــة التاريخية وفق المناهــج العلمية في الأردن لم تبدأ أو لم تترسَّــخ بعد، ينشــد البحث في تاريخ بلاد الشــام بأقطاره الأربعة، مــع الانحيــاز للموضوعــات البكر التــي لم تُطرق؛ خاصةً حول الأردن وفلسطين، وسعى لتوفير الوسائل الخادمة والمُعينــة على المضي في هذا المجال، وانتقى مــن بين طلبتــه بعــض النابهين لخوض غــمار هذا المســلك، دافعاً بحزم للمتعثر منهم بظروف المعاش وأســبابه، ومزيلاً للعوائق التي تعترضهم، ومهيئاً لهم مــن الأعمال الرســمية ما يعود عليهــم ببعض المال المعين على مواصلة التعلُّم، ومحفزاً لمن قصرت همته عن الاســتمرار أو جنحت نفســه للراحــة والركون، فتشــكلَّت حوله طبقةٌ من الطلبــة المتميزين الذين لازموه ملازمة الظل: عاملين ومتعلمين، ووجههم إلى مجالات البحث التي اختطَّ ملامحها، وأعدَّ وســائلها، ودرَّبهم على ارتيادها وسلوكها.

وبصرامته المعهودة في البحث العلمي، وقســوته العلمية المشــهودة، وعدم تهاونه في العلم ومســائل البحــث، انتظم الطلبة في دروســه ونهلوا من علمه وخبرته، وتشرّبوا أفكاره ومناهجه، وأعدّوا رســائلهم وأطاريحهــم الجامعيــة بإشرافــه، ثم - لمــا أصبحوا أســاتذة - نقلوا المعارف التي اكتســبوها لتلامذتهم، وســاروا عــلى الخطــة التــي قرّرها لهم أســتاذهم ومعلمهــم البخيت، مكوّنين مع أســتاذهم مدرســةً تاريخيةً متميزة امتدَّ أثرها خارج الأردن.

تمثّلت معالمُ المدرسة التاريخية التي أنتجها الأستاذ البخيت في أربعة مسارب أساسية:

1 - تحديــد مجــال البحــث التاريخــي العلمي، والتزامه كمسار بحثي طويل المدى.

2 - توفير مصادر البحث ومواده الأساسية.

3 - وضــع الأطر النظريــة الناظمة لهــذا المجال وتعهده بالبحث والدراسة.

4 - توجيــه الطلبــة إلى هــذا النوع مــن البحث العلمي، وصولاً لتكوين طبقة من الدارسين والباحثين فيه.

**مجالاتُ البحث ونطاقه:**

انشــغل الأســتاذ البخيت منذ مرحلتي الماجستير والدكتــوراة بالحقبتين المملوكيــة والعثمانية، وجعل النطــاقَ الجغرافيَّ لاهتمامه منحصراً في بلاد الشــام؛ كانت رسالته الماجســتير التي أعدها بإشراف المؤرخ اللبناني "قســطنطين زريق" حــول "مملكة الكرك في العهــد المملــوكي"، وهي من بواكير الدراســات التي أُعدت حول الأردن في العصر المملوكي، وتم نشرها في طبعتين (عمان: منشورات الجمعية العلميَّة الملكية،

1976م، وأُعيد طبعها في وزارة الثقافة، 2008م)، وأعدَّ أطروحته للدكتوراة بعنوان: "ولاية دمشق العثمانية في القرن السادس عشر" (The Ottoman Province of Damascus in the sixteenth century)، بإشراف المؤرخ الإنجليزي (بيتر مالكولم هولت Peter Malcolm Holt)، واضطره موضوع البحث هذا إلى الإقامة في اسطنبول متردداً على مكتباتها وأرشيفها العثماني الواسع بعد أن أحاط باللغة العثمانية وأتقنها، وتدرب على مفاتيح التعامل مع هذا النوع من الوثائق.

أتاحت له المعاينة الطويلة لوثائق الأرشيف العثماني الاطلاع على مدى الغنى المعرفي الذي تحمله مواده واتساعها، وتعلقها بتاريخ منطقتنا (خاصةً الأردن وفلسطين)، إضافةً لدقتها ومباشرتها وارتباطها بنظام إداري صارم أنتجته الإدارة العثمانية للمناطق العربية المفتوحة، باشتمالها على معلومات غير مألوفة في تراثنا العربي المكتوب الذي يغلب على موضوعاته في العصور الإسلامية المختلفة وصولاً للعصر الحديث، الكتابة في أحوال النخب السياسية والعلمية؛ يُجلِّل سوادها الأعظم التأريخ للرجال؛ خاصةً طبقة الحكام والأمراء والعلماء والأدباء، وبالتالي غابت أحوال العوام من الناس والمهمشين والطبقتين الوسطى والسفلى عن تناول التاريخ، وأصبح تلمُّس أحوال بعض هذه الفئات الاجتماعية وأخبارها عبر ما يتأتى؛ عرضاً في أثناء الحروب والثورات والمجاعات، وما يردُ لماماً في ثنايا المجاميع الأدبية على سبيل الحكايات والأخبار الطريفة أو الغريبة، وغاب تاريخ الشعوب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وكان البخيت من أوائل الذين أدركوا قيمة الوثائق العثمانية وأهميتها منذ عام 1967م عندما كان مُنكبَّاً على دراستها في إطار الإعداد لرسالة الدكتوراة بلندن حول ولاية دمشق، فاستنطق مادة دفاتر الطابو وحلّل بياناتها وأعدَّ جداولَ كاشفةً عن كثير من الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وجعلها مدار البحث والدراسة، ومجال الاهتمام والاعتناء.

اتّجه البخيت لإقامة المشاريع البحثية المتعلقة بالدراسات الحضارية عن بلاد الشام وأقطاره ونواحيه ومدنه وقُراه، ودراسة الحواضر المتمدنة في جنوب بلاد الشام، باتخاذ الوثائق والسجلات العثمانية على أنواعها المختلفة، وسجلات المحاكم الشرعية مصدراً أساسياً، وأنجز جملةً من الأعمال العلمية المرتكزة على الوثائق العثمانية؛ خاصةً دفاتر الطابو.

**توفيرُ مصادر البحث ومواده الأساسية:**

أدرك البخيت أنَّ إقامة مثل هذا النوع من الدراسات المتخصّصة حول بلاد الشام، خاصةً في العهد العثماني، لن يُكتب لها النجاح والتقدم بمعزل عن توفير أدوات البحث اللازمة من المصادر الرئيسة والأولية، المتمثلة في الوثائق العثمانية وسجلات المحاكم الشرعية، لما تتضمنه من بيانات بالغة الدقة والأهمية حول طبيعة الحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية للأهالي، ومعاملات الناس فيما بينهم، ومكوّنات المجتمع وفئاته العرقية والدينية، والعلاقات القائمة بين عناصره، وما أوردته من تفصيلات مهمة عن العشائر والقبائل (العربان) وبطونها وشيوخها وأماكن سُكناها، والعادات السائدة في المجتمع والظواهر الاجتماعيَّة الأخرى، وقدّمت دفاتر التحرير (المجمل والمفصل) - بوصفها وثائق دولة رسمية على مستوى عال من التثبُّت والدقَّة- معلوماتٍ أوَّليَّةً دقيقة عن المدن والقرى والتجمعات السكانية في بلاد الشام، وكشفت عن أوجه الكسب المتأتي للأهالي من الزراعة وتربية المواشي والطيور والنحل، وما يترتب عليهم من ضرائب ورسوم واجبة الدفع.

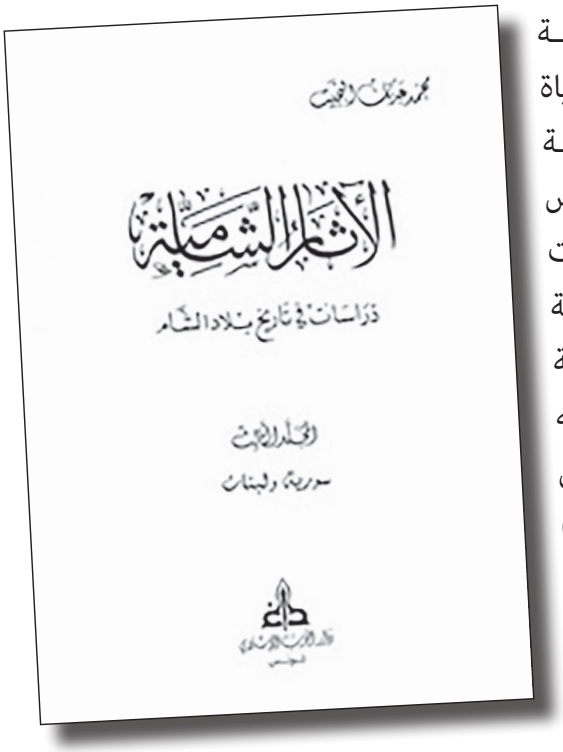


وكانت موادّ الأرشيف العثماني غير متاحة على نحو ميسَّر بين أيدي الباحثين، والوصولُ إليها محفوفٌ بالعوائق والصعوبات، وبالتالي لم يكن في مقدور أساتذة التاريخ -ومن بينهم البخيت - توجيه طلبتهم للكتابة التاريخية، في العهد العثماني خصوصاً، دون استشارة مقتنيات الأرشيف العثماني، ولكنَّها صعبة المنال وبعيدة عن التناول، مع عدم معرفة الباحثين باللُّغة العثمانية التي كُتبت بها هذه السجلَّات، وانعدام توفّر التصنيف والفهرسة لتلك الوثائق التي ترشد الباحث لمبتغاه، مع ما يلحق ذلك من وجود العوائق التي يضعها العاملون في الأرشيف العثماني حيث تعرقل عملية معاينة الوثائق وتصويرها.

لأجل ذلك؛ سعى البخيت إلى جانب زملائه آنذاك في قسم التاريخ لإنشاء مركز خاص تُجمع فيه الوثائق والمخطوطات، وتأسيس لجنة خاصة بدراسات تاريخ بلاد الشَّام، فتم استحداث مركز الوثائق في أواخر العام 1972م، وانعقد المؤتمر الأول للجنة في العام 1974م وتوالَى انعقاده حتى اليوم، ونشط مركز الوثائق والمخطوطات في جمع مصوّرات السجلات العربية والعثمانية ومصوّرات المخطوطات من أنحاء العالم، وتمكَّن بجهود الأستاذ

البخيت من توفير نسخة من وثائق الأرشيف العثماني والسجلّات الشرعية، فصار المركزُ قبلةً للباحثين وطلبة العلم، وكان لهاتين المؤسستين فضلٌ كبيرٌ في تطور الكتابة التاريخية في الأردن.

إلى جانب ذلك، عمل البخيت على تهيئة فريق من الباحثين المتميزين من طلبة قسم التاريخ في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، وتم تدريبهم بإشرافه على قراءة السجلات والوثائق وكيفية إعداد الأدلَّة التحليلية والكشَّافات لها، واشترك معهم في إعداد الفهارس للسجلات والمخطوطات التي اقتنى المركز مصوّراتها، وتم نشر العديد من الفهارس التحليلية المرشدة لمحتويات هذه السجلات، فأعانت الباحثين على الوصول إلى بغيتهم بيسر وسهولة، ومنها فهارس تحليلية لقيود الوثائق والحجج الشرعية الصادرة من محكمة القدس الشريف الشرعية، وكشافات إحصائية لسجلات المحاكم الشرعية في بلاد الشام، إضافة إلى فهرس المخطوطات العربيَّة المصوَّرة في مركز الوثائق والمخطوطات.

**تعهدُ هذا المجال بالبحث والدراسة، ووضع الأطر النظرية الناظمة له:**

اتّجه البخيت في جانبٍ كبير من مُنجزه العلميّ لترجمة الوثائق العثمانية ودراستها، ويُظهر مسرد البحوث والمؤلفات التي أنجزها البخيت التزامه بنطاقه البحثي زمانياً ومكانياً، وضمن الاهتمامات التي اختصّ بها، فعكف على ترجمة الكثير من دفاتر الطابو ودراستها ونشر أصولها، وساعده في بعضها تلميذه المرحوم نوفان الحمود، فترجما مجموعةً من دفاتر الطابو المتعلقة بلواء عجلون؛ أحد الألوية الرئيسة التي تتبع ولاية دمشق الشّام، والضام حالياً لمعظم مدن المملكة الأردنية الهاشميّة وقراها، ودفتر طابو لواء الشام، ودفاتر تحرير لواء القدس، ودفتر مفصَّل لواء صفد وغزة والقدس الشريف، ودفتر مفصَّل لواء اللجون، ودفتر مفصَّل مخصّصات أمير اللواء في دمشق، ودفتر مفصَّل ناحية مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها، كما أعدَّ العديدَ من الدراسات التي ارتكزت على دفاتر الطابو كدراسة العوائد المالية لمقاطعات دمشق الشام على ضوء دفتر طابو (T. D. 474) سنة 977هـ/ 1569م. ودراسة ثلاث نواحٍ إدارية خلال القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ وهي: ناحية بني كنانة، وناحية بني الأعسر، وناحية بني جُهْمة.

كما أنجز البخيت العديدَ من الدراسات التاريخيَّة المتعلقة بالحقبة المملوكية والعثمانية، سواء في هيئة كُتب مستقلَّة أو بحوث منشورة، ولم يتجاوز الإطار المكاني والزماني الذي اختصَّ به إلا نادراً، وبلغت بحوثه المنشورة في المجلَّات العلميَّة قدراً كبيراً وصالحاً بحيث جُمعت وصدرت في أربعة مجلّدات، بعنوان: "دراسات في تاريخ بلاد الشَّام"، واختصَّ كلُّ مجلدٍ منها بمجال جغرافي محدد يكشف عن اهتمامات مؤلفها، فضمَّ المجلَّدُ الأول: دراساته عن الأردن، والثاني: عن فلسطين، والثالث: عن سوريا ولبنان، وخُصص المجلَّد الرابع لدراساته المنشورة باللُّغة الإنجليزية التي تتناول أقطار بلاد الشَّام الأربعة جميعها، بعنوان:

- Studies in the History of Bilad al Sham in The Sixteenth Century.

إضافةً لنشر الوثائق والسجلّات وفهرستها، فقد قدَّم البخيت خدماتٍ جليلةً في مجال تحقيق التراث العربي والإسلامي ، وكان من بواكير عمله في تحقيق النصوص نصَّان يتعلّقان بالأحداث التي وقعت في طرابلس مطلع القرن الحادي عشر الهجري، وهما: نص لشاهد عيان يُدعى مصطفى بن كرامة، والنص الثاني للمؤرخ الحسن البوريني، وقد نشرهما ضمن دراسة بعنوان: "أحداث طرابلس الشام 1015 ـ 1016هـ/ 1606 ـ 1607م". وحقَّق أيضاً كتاب: "المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية"، ليحيى بن أبي الصفا المحاسني، وكتاب "حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية" لمحب الدين الحموي. واشترك البخيت مع زميله مصطفى الحياري في تحقيق الجزء 24 من كتاب: "الوافي بالوفيات"، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. واشترك مع نوفان السوارية في ثلاثة كتب محقَّقة، هي: "التمييز"، لحسين بن فخر الدين المعروف بابن معن، وكتاب "تاريخ القدس والخليل عليه السلام"، لشمس الدين بن محمد الخليلي (ت 1147هـ/ 1774م)، وكتاب "المُعجَم المختص"، لمحمد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ/ 1791م). كما نشر مُذكَّرات الطبيب جميل فائق التوتنجي (1896 ـ 1981م) التي كتبها بخطِّ يده بعنوان: «أربعون عاماً مع الهاشميين».

ولا يبتعد مشروعُ الوثائق الهاشمية عن الخطِّ العام الذي التزمه البخيت، وإن كان نطاقه الزمني متأخراً عن الحقبة العثمانية، وكان البخيت قد باشر منذ العام 1994م التهيئة لهذا المشروع ورسم خطته ليصار إلى نشر الوثائق التي يحتويها أرشيف الديوان الملكي الهاشمي، بهدف إتاحتها للباحثين والدارسين. وأعانته هند أبو الشعر - التي واكبت مسيرة هذا المشروع - في إعداد الوثائق وتصنيفها وتبويبها بحسب الموضوعات، وتوالى منذ ذلك العام إصدار «سلسلة الوثائق الهاشمية» وما يزال المشروع قائماً يوالي إصدار المجلدات تباعاً التي ناهزت خمسين مجلداً، ضمن عناوين متخصِّصة تغطِّي جوانب من الأحداث السياسيَّة والعامَّة وعلاقات الأردن مع محيطه العربي وبعض أقطار العالم الإسلامي، في العهدين الأميري والملكي، وبناء مرافق الدولة ومؤسَّساتها وتطوُّرها، والتشريعات والأنظمة وأحوال الإدارة إلى غير ذلك من الوثائق الرسمية.

والبخيت من الأردنيين القلائل الذين قدّموا إسهامات كبرى في إعداد الموادّ الموسوعية ضمن الإصدار الثاني من دائرة المعارف الإسلاميَّة التي تصدرها دار النشر العريقة بريل/ هولندا (Encyclopaedia of Islam, Second Edition)، فكتب مواد مدخلية باللغة الإنجليزية حول بعض القبائل والأعلام والمدن والنواحي التي كان لها حضور واضح في العهدين المملوكي والعثماني، مثل: آل شاهين، بني فضل، بني صخر، اللجون، المفرق، حسين معن زاده "حسين بن فخر الدين المعني"، رفح، السلط، الشوبك، تبوك، طولكرم، الزرقاء.

**لا توجد مدرسةٌ فكريةٌ أو علميةٌ بلا أتباع:**

تكتمل أركانُ المدرسة البخيتية بوجود الأتباع من الأساتذة والطلبة السائرين على النهج ذاته والمترسّمين للخطى البحثية ذاتها، وقد أثمرت جهود البخيت في تهيئة جيل متميز من الباحثين ممن خضعوا

للتدريب المكثف والإشراف المباشر للتعامل مع المواد الأرشيفية الأولية، ونالوا دربةً ممتازة في التعامل مع المصادر العثمانية، وأحسنوا قراءة الوثائق والسجلَّات واستنطاقها وتطويعها لاستحلاب الإفادات التاريخية منها، وإعداد الدراسات التاريخية، كما أشركهم في إعداد الفهارس والبحوث والدراسات، ووجه الراغبين منهم في إكمال دراساتهم العليا لدراسة القصبات والنواحي الأردنية والفلسطينية وأحوالها التنظيمية والإدارية والاجتماعيَّة والاقتصادية في العهد العثماني استناداً إلى الوثائق العثمانية (السالنامات، دفاتر الطابو، دفاتر المفصَّل، دفاتر المهمة، والسجلَّات الشرعية، والصحف العربية المبكرة، ...). وقد أعانهم على ذلك توفُّر وثائق الأرشيف العثماني وسجلَّات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق والمخطوطات، وما أنجزه البخيت منها محقَّقاً ومدْرُوساً، فأُتيحت لطلبة الدراسات العليا مادّة وفيرة تغطِّي موضوع بحثهم.

لقد تجلَّت معالم المدرسة التاريخية البخيتية في توجّه العديد من طلبة الدراسات العليا للبحث في هذا المجال، ونشأت حوله طبقة من الباحثين المشهود لهم الذين اعتنوا بالمسار البحثي الذي التزمه أستاذهم البخيت، وتحصّلوا بإشرافه على درجة الماجستير والدكتوراة في موضوعات علمية تقع أساساً ضمن اهتمامات البخيت البحثية، وأهَّلتهم لمزاولة التدريس، وواصلوا الكتابة في تاريخ العهدين المملوكي والعثماني مستفيدين من الكمية الوفيرة من وثائق الأرشيف العثماني.

تمثَّلت موضوعات البحث لدى طلبة الدراسات العليا التي أُنجزت تحت نظر البخيت وإشرافه، باختيار وحدة إداريّة -خاصَّة القصبات - كمجال للبحث في العهد العثماني، مثل: (عمَّان، إربد، معان، السلط، البلقاء، عجلون، القدس، عكا، صفد...) ومحاولة بناء سيرة المدينة وتاريخها في الجوانب الحضارية كافة، بالاستناد إلى المادّة الضخمة المتاحة من المصادر الأرشيفية الوثائقية المتمثَّلة في العديد من أوعية السجلَّات والوثائق العثمانية التي أُتيحت للباحثين والدارسين في مركز الوثائق والمخطوطات.

ولمعت من بين طلبة البخيت أسماء عديدة تركت آثاراً محمودة في تطوّر الكتابة التاريخية في الأردن وفلسطين، منهم: المرحوم نوفان رجا الحمود السوارية (ت 2016م) وكانت أطروحته للدكتوراة بعنوان: "عمَّان وجوارها 1864 ـ 1921م"، وهو من أكثر طلبة البخيت التصاقاً به، وأنجزا سوية الكثير من الأعمال البحثية، ونشرا مجتمعين العديد من دفاتر الطابو. وهند أبو الشعر، وعنوان أطروحتها للدكتوراة: "إربد وجوارها «ناحية بني عبيد» 1850 ـ 1928م"، وهي من أغزر طلبته إنتاجاً وأكثرهم تأليفاً وبحثاً، وقد أفادت بشكل واضح من التدريب المتميّز الذي تلقَّته من أستاذها البخيت في استنطاق كل المصادر المتاحة وتطويعها لإعداد الدراسات حول تاريخ هذه المنطقة ومُدنها وقراها، فاستفادت من الوثائق العثمانية بسائر أنواعها، ومن السجلَّات الشرعية، وسجلَّات الأراضي، ومُقرَّرات البلديات الأردنية، وكذا المُذكَّرات والصُّحف الأردنية والعربيَّة. وأعدَّت عشرات المؤلَّفات والبحوث حول الأردن وفلسطين في العهد العثماني، وامتدّت في دراساتها إلى عهد الإمارة، مع التفاتةٍ واضحة لرصد

الجوانب الاجتماعيَّة والاقتصادية لسُكَّان الأردن التي استحلَبتها من السجلَّات المتنوِّعة وعملت على تحويلها إلى أرقام إحصائية دالَّة وموثَّقة. وأعدَّ زياد المدني أطروحته للدكتوراه بعنوان: "مدينة القدس وجوارها 1215 ـ 1245هـ/ 1800 ـ 1831م"، وألَّف العديد من الكتب التي اتخذت من القدس في العهد العثماني مجالاً للبحث، خاصةً من خلال سجلات الأوقاف الإسلامية والمسيحية. وأنجز جورج طريف أطروحته للدكتوراة بعنوان: "السلط وجوارها"، وإلى إعداد الدراسات والبحوث المنتمية للحقبة العثمانية. وأنجز زهير غنايم أطروحته عن لواء عكا 1864 ـ 1918م.

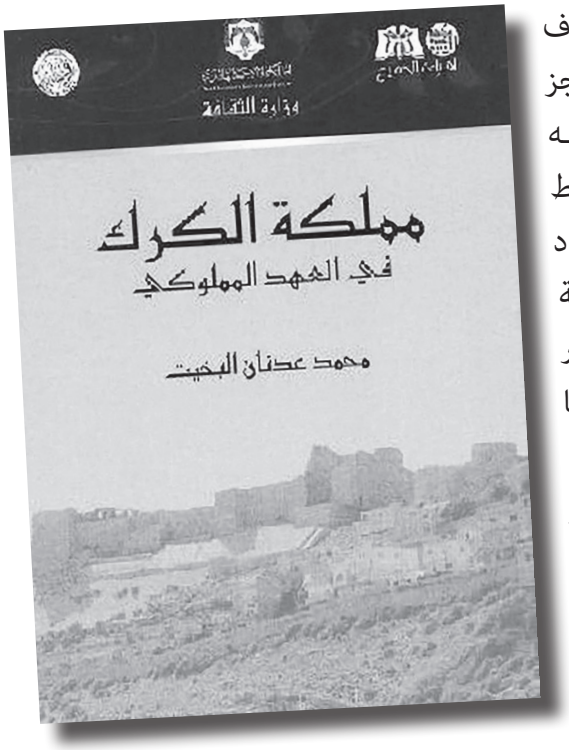


أمَّا رسائل الماجستير التي أشرف عليها، فمنها: رسالة محمود عطا الله بعنوان: "مملكة غزة في العهد المملوكي"، ورسالة طه ثلجي الطراونة: "مملكة صفد في العهد المملوكي"، ورسالة "محمد أبو يعقوب": "القدس في القرن السادس عشر"، ورسالة محمد سالم الطراونة: "تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك (1864ـ 1918م)، ورسالة "أمين أبو بكر": "قضاء الخليل 1864 ـ 1918م"، ورسالة عليان الجالودي: "قضاء عجلون خلال مرحلة التنظيمات العثمانية 1864 ـ 1918م"، ورسالة مهند مبيضين: "أهل القلم ودورهم في الحياة الثقافية في دمشق".

ووجَّه البخيتُ بعضَ طلبته في مرحلة الماجستير لإعداد دراسات تستند إلى تحقيق الأصول التراثية المنتمية للعهد العثماني، فأعدَّ سلامة النعيمات رسالته للماجستير استناداً لنصٍّ تراثيٍّ من القرن الثاني عشر، بعنوان: "الحياة الثقافية والعلميَّة في القدس في القرن الثاني عشر الهجري" مع دراسة وتحقيق للمخطوطة المعنونة: "تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري لحسن بن عبد اللطيف الحسيني"، واختار عيسى سليمان أبو سليم مجال رسالته للماجستير تحقيقاً لكتاب تراثي في التراجم، وهو: "معادن الذهب في الأعيان المشرَّفة بهم حلب لأبي الوفا بن عمر العرضي".

ولا يرمي استعراض منجز طلبة البخيت المتقدم ذكرهم لتقدير العدد وحصره، وإنَّما مُلاحظة تركّز الاهتمامات لدى هؤلاء الطلبة في الحقبة العثمانية خصوصاً، ووحدة مجالها الجغرافي المتجه أساساً للأردن وفلسطين، وهو ما يكشف عن أثر أستاذهم المشرف في ميولهم وتوجّهاتهم، كما تُظهر المراجعة الفاحصة لهذه الأعمال مدى الالتزام المنهجي في

البحــث العلمي لديهــم، واعتمادهم عــلى الوثائق والسجلات كمصادر أولية وأساسية.

ولم تنقطــع صلــة البخيــت بطلبته بعــد نيلهم للدرجات العليا، بل اســتمرت علاقته بهم مشــجعاً وناصحــاً، وعمــل بعضهم إلى جانبــه في العديد من الأعمال البحثية، ويظهر فضله عليهم من كون أغلب أعمالهم التي تم إعدادها بإشرافه قد أخذت طريقها للنشر بمســاعدته، وربما بتدخله الشخصيّ، فصدَرَت أغلبهــا ضمن منشــورات وزارة الثقافة وأمانة عمَّان الكُبرى وبنك الأعمال. وكان له الفضل أيضاً في إنشاء مجلة متخصّصــة في الدراســات التاريخية والأثرية، لاســتيعاب بحوث الدارسين والباحثين، وهي "المجلَّة الأردنية للتاريخ والآثار"، التي تولى رئاســة تحريرها، وصدر أوَّل أعدادها عام 2007م.

لقــد واصل تلامــذةُ البخيــت؛ خاصــةً (هند أبو الشــعر، ونوفان الحمود، ومحمــد الطراونة، وزياد المــدني، وجــورج طريف، وزهير غنايــم، وعيسى أبو سليم...)، مســيرةَ البحث في تاريخ الأردن وفلسطين وبعــض حواضر الشــام الأخرى في العــصر العثماني، ونشروا الكثير من الكُتب حــول القصبات والبلدات الأردنية والفلســطينية، وســاروا على السّنَن ذاتها في توجيه طلبتهم لدراســة تاريخ الأردن وفلســطين في العهــد العثماني، وقام بعضهــم بتدريب الطلبة على كيفية التعامل مع الوثائق والســجلات وفق المناهج التــي خبروهــا، والإشراف على الرســائل الجامعية التي اقتصرت على المدرســة البخيتية ذاتها، فأُنجزت بإشرافهم عشرات الرسائل التي تحدَّدَ إطارها المكاني والزماني ضمن معايير هذه المدرسة.

**خاتمة:**

**تأطَّرت مســيرة البخيت العلمية والبحثية بملامح عامة شــكّلت في مجملها مدرســةً تاريخيةً واضحة المعــالم والتوجُّهــات، غايتهــا الاســتناد إلى الوثائق العثمانية والســجلات الشرعية والكنســية في كتابة التاريخ الشــامي، خاصةً تاريخ فلسطين والأردن في العهدين المملوكي والعثماني، وأنتجت أعمالاً تاريخية متميــزة، ولا نجانب الصــواب إذا ما قلنا إنَّ معظم الكتابــة التاريخية في العهد العثــماني، خاصةً حول فلسطين والأردن، تمت بفضل البخيت وجهود طلبته النجباء، ممن ســاروا على ســننه وتأسّــوا بطريقته ومنهجه.**

**وفوق الذي تقدّم، فقد اعتاد طلبةُ العلم والباحثون عــلى زيارة البخيت، وصار مكتبه بالجامعة الأردنية محجاً لهم، يأتونه للاستشارة ويلتمسون منه النصح والتوجيه، فلا يردُّ أحداً، ويتبسط في الحديث معهم، وقد عاينت هذا منه وقت أن كنتُ طالباً في مجلسه ودروســه، ولم تنقطع عادته هــذه في وقتنا الحالي، وهي سمات العالم المعطاء، الملتزم برسالته.**

**لقد مرَّت تجربةُ البخيت العلمية والعملية بالكثير من المحطــات والمفاصل الغنية، وهــي جديرة بأن تُكتــب وتُوثّق، ونجدّد الدعــوة للعلامة البخيت في أن يشرع بتدوينها، والأمل في أن يستجيب لدعوات زملائه وطلبته المتكررة، والتي ستكشــف -بلا شــك - عــن عصاميته وجهده في تحصيل العلم إلى جانب أقرانــه من المبتعثين الأوائــل، وما يمكن أن تتضمنه ســيرته من إفادات لمواكبته تطــوُّر الحركة العلميَّة والثقافية في الأردن.**

# جهودُ د. محمد عدنان البخيت بالتأريخ للقدس

د. عصام عقلة*

قبــل الولوج في موضوع القدس من خلال كتابات العلّامــة محمد عدنان البخيت، لا بدّ من التنويه إلى قاعدتين أساسيتين في طريقة تناول العلّامة البخيت لمجمل القضايا التاريخية التي تناولها ألا وهما:

أولًا- المنهج:

حيث لا يمكن تناول قضية تاريخية لديه دون العودة إلى مصادرها الأصلية، إضافةً إلى المصادر التاريخية المعــاصرة للحدث المراد تناوله أو القريبة من المعاصرة، ثم تطبيق المنهج التاريخي الصارم القائم على نقد تلك المصادر للوصول إلى أقربها دقة، وتحليلها، وعرضها بشــكل يخدم الموضوع المراد مناقشته، مع التأكيد على أنَّ العلّامة البخيت من مدرســة لا تُحمّل النصَّ أكثر مما يتحمل، لا بل ولا تحاول تفســيره تفســيراً لا ينطبق مع السياق العام للعصر الذي وقع فيه الحدث.

* أكاديمي وباحث أردني

واتسمت هذه المنهجية الصارمة على الجغرافيا حيث يلتزم بتعريف الأعلام الجغرافية من مصادر معاصرة للحدث بحيث يضع الباحث والقارئ في صورة القرية أو المدينة، أو المنطقة الجغرافية زمن الحدث نفسه؛ لأنَّ كثيرًا من المدن في عصر أضحت بلدات صغيرة أو قرى في أزمان أخرى، أو حتى دُثرت.

**ثانيًا- المصدر:**

تمتاز طريقة العلّامة البخيت في معالجة موضوعاته التاريخية المختلفة بقيمة المصادر التي يعود لها، وخصوصًا الوثائق الأصلية للحدث، ولعلَّ أهمها سجلّات المحاكم الشرعية، ودفاتر الطابو، ودفاتر المهمة، والسالنامات. وامتاز بالعودة للسجلات الشرعية المعاصرة للحدث لاكتشاف وضع المَعلم الجغرافي من خلالها زمن الحدث.

أمَّا فيما بتعلق بالقدس، فإنّ القدس شغلت لدى العلّامة البخيت قضايا بحثية عديدة يمكن تصنيفها في اتجاهات وهي:

الأبحاث المتخصّصة بتاريخ القدس، من خلال تحقيق ونشر الكتب ودفاتر الطابو المتعلقة بتاريخها، وتوجيه طلبته في الدراسات العليا لموضوعات متعلقة بتاريخ القدس، والمساهمة الفاعلة ببحث تاريخ القدس ونشر تراثها من خلال أعمال لجنة بلاد الشام التي يترأسها، ومؤتمر بلاد الشام الذي يشرف عليه منذ تأسيسه حتى يومنا هذا.

**أولًا- الأبحاث:**

شغلت القدس وفلسطين حيزًا كبيرًا من اهتمامات العلّامة البخيت البحثية، ولا يمكن حصر تناوله للقدس بالأبحاث المتخصّصة بها فقط، حيث أنَّ هناك الكثير من الأبحاث التي تناول بها، وخصوصًا المتعلقة بولاية الشام في الفترة العثمانية، كما أنَّه اهتم كثيرًا بمدن فلسطين الأخرى، وشغلت حيزًا بحثيًا مهمًّا لديه، وعلى رأسها أبحاثه حول حيفا العثمانية المنشورة سنة 1979، والأسرة الحارثية في مرج بني عامر( 1980)، ونابلس ونواحيها (1996)، وأريحا وجوارها (2007)، والعشائر العربية في ولاية دمشق (2006).

أمَّا القدس فاختصت لديه بدراسات مهمّة، ولعل أبرزها بحثه حول مصادر الإنفاق على مدارس القدس في الفترة من 932-939هـ/ 1525-1532م، وهو بحث مهم يتناول الأوضاع الثقافية للقدس في القرن السادس عشر، ومؤسسات التعليم بها من خلال المصدر الأصلي، وهو دفاتر الطابو العثمانية.

وهذا البحث نموذج لمنهج البخيت القائم على العودة للمعلومات من مصدرها الأصلي، وتفسير النص وتحليله بشكل محايد على قاعدة البخيت المنهجية الأساسية القائمة على ترك النص يتحدث عن نفسه، وهو ما أشاد به المؤرخون العرب والغربيون الدارسون لتراثه الذين وصفوا منهجيته التاريخية ضمن الالتزام بالموضوعية، لذلك لم ينطلق البخيت في دراساته من خلفيات وأحكام مسبقة، ولا متبنيًا لنظريات يريد إجبار النص على تحقيقها والتوافق معها.

**ثانيًا- تحقيق الكتب ودفاتر الطابو:**

لعلَّ هذا العمل هو أهم أعمال العلّامة الدكتور

البخيت، حيث قدّم أفضل مهاراته العلمية والمنهجية في تقديم النصوص الأصلية للقدس، وإتاحتها للباحثين لدراستها، رغم أنَّه قدّم لتلك الكتب بدراسات علمية شاملة تفسّرها وتحلّل أرقامها ومعطياتها، وكل الغوامض الموجودة في النص سواء الأعلام أو الأماكن أو الحِرف أو المصطلحات مستخدمًا مصادر أصلية رديفة لتلك التفسيرات والتعليلات، لعلَّ أبرزها على الإطلاق السجلات الشرعية التي تعود للفترة التي ينتمي لها النص.

ومن أهم أعماله في هذا الاتجاه نشر دفاتر الطابو العثمانية وهي:

1 - لواء القدس من دفتر مفصل لواء صفد وغزة والقدس رقم (T.D.27)، والمتضمن الفترة من 932-938هـ/1525-1525م).

2 - لواء القدس من دفتر تحرير رقم (T.D.1015)، والمتضمن سنة 945هـ/1538-1539م.

3 - دفتر مفصل رقم (289 أس)، لواء القدس لسنة 961هـ/1554م.

وهي المصادرُ الأصليةُ لتاريخ القدس في بدايات الحكم العثماني.

كما حقّق البخيت كتاب تاريخ القدس والخليل للشيخ الخليلي، وهو نصٌّ نفيسٌ عن تاريخ القدس والخليل.

إضافةً إلى ذلك قام بإنجاز الكشّاف الإحصائي الزمني لسجلات المحاكم الشرعية في بلاد الشام، مما قدّم للباحثين رصدًا مهمًا لتلك السجلات.

**ثالثًا- الإشراف على رسائل تؤرخ للقدس:**

كان ضمن خطة البخيت العلمية لدراسة تاريخ القدس العثمانية، توجيه الطلبة المتميزين علميًا لدراسة تاريخ القدس، وخصوصًا من الطلبة المنتمين لفلسطين من ضمن طلبة الماجستير والدكتوراة في الجامعة الأردنية، وكانت غايته تأسيس اتجاه علمي منهجي صارم لدراسة تاريخ القدس، وإعداد مجموعة من الباحثين المختصين بدراسة القدس. لذلك أشرف على مجموعة من الرسائل بهذا الاتجاه، رغم قلة إشراف البخيت على الرسائل العلمية لصرامته العلمية التي تدفع الطلبة للابتعاد عنه سوى الجادّين الراغبين بالعلم، ولعلَّ أهم الرسائل التي أشرف عليها:

1 - القدس في القرن الثامن عشر للدكتور سلامة النعيمات (ماجستير).

2 - القدس في القرن السادس عشر للدكتور محمد اليعقوب (ماجستير).

3 - القدس وجوارها للدكتور زياد المدني (دكتوراة).

**رابعًا- التحرير والإشراف على كتب ومؤتمرات تعتني بتاريخ القدس:**

لعلَّ هذا الاتجاه بارز في عمل البخيت لتاريخ القدس، وخصوصًا من خلال الإشراف والتحرير، وتحديد الموضوعات لمؤتمر بلاد الشام الذي تشرف عليه لجنة تاريخ بلاد الشام التي يرأسها البخيت حتى اليوم، حيث أسهم في تخصيص أحد المؤتمرات لتاريخ فلسطين، وشغلت القدس فيه الحيّز الأكبر، كما كان في كل مؤتمر من المؤتمرات الاثني عشر حيّزٌ مهمٌّ لتاريخ القدس، وخصوصًا المؤتمر المخصّص لأوقاف الشام.

ولعب الدكتور البخيت دورًا بارزًا في الإشراف على تأليف كتاب القدس الذي اعتمد في الجامعة الأردنية لتدريس مادة القدس فيها، حيث تولى مسؤولية تحديد المحاور، ثم تكليف الأساتذة الذين يؤلفون كل محور، ثم مراجعة ما كتب وتسجيل الملاحظات حتى خرج بصورة أقرب ما يكون لكتاب مرجعي لكل باحث في تاريخ القدس.

إنَّ المتأمل في جهود الدكتور البخيت في التأريخ للقدس يجد نفسه أمام مدرسة واضحة المعالم تركّز بحسب اختصاص الدكتور البخيت على التاريخ العثماني للقدس، ضمن سياق زمني وجغرافي محدّد، وضمن مناهج تاريخية علمية واضحة، مدرسة لا تعتمد تبني عقائد سياسية أو تاريخية محدّدة بل الحقيقة المعرفية فقط.

إنَّ هذه المدرسة التاريخية التي أسس لها البخيت وتمتد من خلال تلامذته، رسّخت مفهوم الحقيقة المجردة للوقائع المقدسية في العصر العثماني، واعتمدت أسسًا علمية راسخة في تدوينها، ولم تكن آثارها مقتصرة على البحث والتأليف والتحقيق ونشر دفاتر الطابو، بل امتدت لتخدم تراث القدس وتبرزه من خلال تحرير مؤتمرات بلاد الشام، وتوجيه موضوعاته لتخدم جزءًا من التراث المقدسي، كذلك توجيه لجنة بلاد الشام للنشر في موضوعات تخدم ذلك التاريخ، والتحرير والإشراف على أهم كتاب مرجعي تدريسي عن القدس في الجامعات الأردنية، مما أسهم في تعريف الشباب بذلك التاريخ على حقيقته، وتزويدهم بمعارف غنية في مواجهة دعاية مضادة قوية للآخر، لولا تلك المعرفة لوقعوا فريسة معلومات مضللة عن ذلك التاريخ.

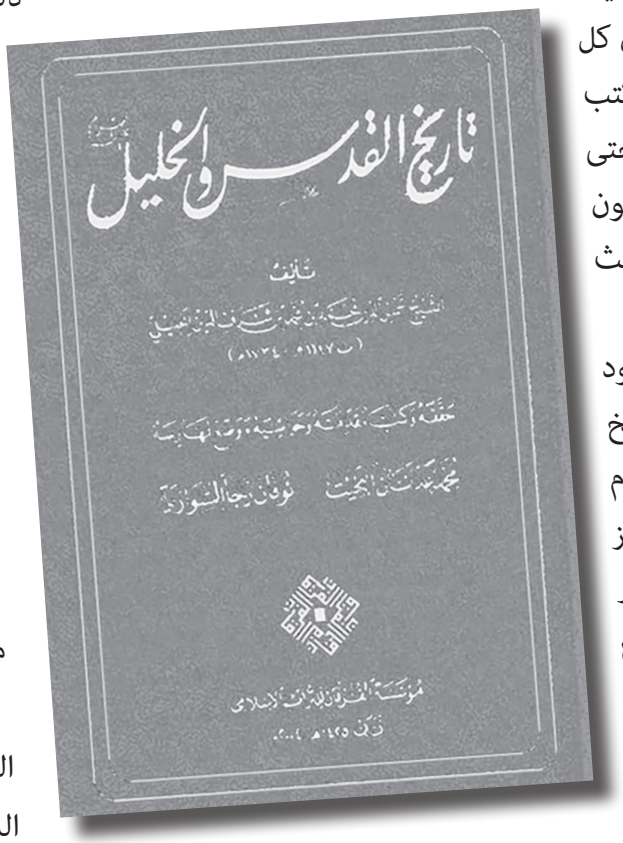


وأخيرًا؛ لعلَّ هذه النبذة الصغيرة لا تفي العلّامة الدكتور محمد عدنان البخيت حقّه في دراسة تاريخ القدس، لأنَّه يُعدُّ أساس مدرسة علمية لدراسة تاريخ القدس العثمانية، لها امتداداتها من خلال تلاميذه الذين أعدهم على مناهج علمية تاريخية صارمة، كما أنَّ لها ريادتها في الموضوعية، والصرامة العلمية، والعودة للمصادر الأصلية التي كان رائدًا في استخدامها في الوطن العربي، وعَرَّف الباحثين على تلك المصادر وأهميتها.

د. محمد عدنان البخيت يتقلد الوسام الفرنسي

# المناشطُ الثقافيّة في جامعة آل البيت خلال مرحلة التأسيس (2001 - 1993م)

**د. عليان الجالودي***

**جاء تأسيس جامعة آل البيت وليد فكرة في ذهن المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال تعود بواكيرها لتاريخ 29 أيار 1992م عندما وجّه حكومة دولة المرحوم عبد السلام المجالي لإيلاء جامعة آل البيت الدعم المطلوب كي تنهض بالخطاب الإسلامي على الوجه الذي رسمه جلالته لها.**

**وفي السابع عشر من آب عام 1992م أعلن جلالته عن فكرة تأسيس جامعة آل البيت ( لتعنى بالفكر لإصلاح حال الأمة... ويسعدني أن أعلن باسم آل البيت وباسمكم جميعاً عن تأسيس جامعة آل البيت للآداب والعلوم، هدية منا لأبناء أمتنا، قد أردناها منارة للإصلاح القائم على العقل وحرية الرأي والاجتهاد والتسامح... نريدها جامعةً قادرةً على أن تجعل الخطاب الإسلامي المستنير المتسامح حاضراً في المشهد الإنساني عدالةً وحريةً ووعياً).**

* أكاديمي وباحث أردني

وانطلاقاً من التوجيه الملكي حُدّدت أهداف الجامعة بالعمل على تأهيل الطالب في علوم الدين والدنيا تأهيلاً متنوعاً، وتدريبه على الإفادة من مصادر المعرفة والمنهج، ليكون قادراً على إبراز الصورة الحقيقية للإسلام، من حيث كونه طريق حياة ومنهج عمل، وتأهيل الطالب في علوم اللغة العربية، ولغات الشعوب الإسلامية، ولغات الأمم الأخرى، وتوفير الإطار العملي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وتعزيز لغة الحوار مع أهل الأديان والحضارات الأخرى.

وصدرت الإرادة الملكية السامية بتشكيل اللجنة الملكية الخاصة بجامعة آل البيت برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، وبتعيين الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت رئيساً للجامعة في شهر نيسان من عام 1993م. وسار العمل سيراً حثيثاً لاستكمال منظومة الأنظمة والقوانين، وتهيئة البنية التحتية، وتشكيل اللجان الأكاديمية والإدارية والقانونية، واستقبلت الجامعة الفوج الأول من طلبتها في مطلع العام الدراسي 1994-1995م، ورعى الملك الحسين بن طلال حفل افتتاح الجامعة رسمياً في السادس من شهر رمضان من عام 1415هـ/ الموافق السادس من شباط عام 1995م، وجاء في الكلمة التي ألقاها الأستاذ البخيت بين يدي جلالة الملك الحسين "... إطلالتكم يا سيدي خير وعطاء وفضل عّم أرجاء الجامعة في رمضان 1413هـ أمرتم بالإعداد، وفي رمضان 1414هـ أنجزنا الاستعداد، وفي هذا الشهر المبارك رمضان 1415هـ أكرمتمونا بحضوركم الشريف لافتتاح جامعتكم، ليرتفع النداء الخالد من فوق مآذنها ومنابرها، وفي جنبات قاعات محاضراتها، الله أكبر، منطلقة بذلك على بركة الله".

خطت الجامعة خطوات متسارعة خلال المرحلة التي تولى إدارتها الأستاذ البخيت، سواء من حيث استكمال بنيتها التحتية، وأنظمتها وقوانينها، وإعداد الخطط والبرامج الأكاديمية، بحيث خرجت الفوج الأول من طلبتها (فوج الحسين بن طلال في العام 1997م)، وهو العام الذي صدر فيه قانون جامعة آل البيت.

**النشاطُ الثقافيُّ والأكاديميُّ:**

ترجمت جامعة آل البيت فلسفتها في العمل على تنمية شخصية الطالب علمياً ومسلكياً، وعنايتها بالفكر والحوار، وتنمية العقل العربي المسلم من خلال العديد من المستويات في أنشطتها الثقافية والفكرية التي نهضت بها الجامعة وكلياتها ومعاهدها المتخصّصة خلال سنوات التأسيس، تمثّلت في إصدار الصحف الطلابية، والمجلات الإخبارية والثقافية، والمجلات العلمية والأكاديمية المتخصّصة، وإقامة الندوات وورش العمل والحلقات النقاشية، وعقد المؤتمرات العلمية، ونشر حصيلة هذه الندوات والمحاضرات في كتب علمية متخصّصة رفدت المكتبة الإسلامية والعربية بحصيلة ثرة من البحوث والدراسات، في العديد من الجوانب الأدبية، والعلمية، والتاريخية، والفكرية، فضلاً عن سلسلة غنية من المنشورات العلمية الرصينة، كما تبنت المشاريع البحثية الريادية التي تخدم البيئة المحلية، وتشكل جسراً من جسور التواصل بين الجامعة

والمجتمعات المحلية.

وأسهم تنوع جنسيات أعضاء هيئة التدريس، وتنوع مشاربهم الفكرية، وتنوع جنسيات الطلبة، بتوليد حراكٍ فكريٍّ وثقافيّ، اتسم بالثراء والتنوع، من خلال المحاضرات والندوات والحلقات النقاشية والمؤتمرات، ورافق ذلك إنشاء الصحف، والمجلات الإعلامية، والثقافية، والمجلات العلمية المحكمة، وتشجيع النشر العلمي، والمشاركة في المؤتمرات المحلية، والعربية، والدولية، وتشجيع البحث العلمي، وتوفير الدعم المالي للمشاريع العلمية.

وتجلّى النشاطُ الثقافيُّ والفكريُّ والعلميُّ في رحاب الجامعة بأكثر من مظهر، ومن أبرز تلك المظاهر:

**أولاً: الصحف والمجلات:**

1 - صحيفة الشورى الطلابية: التي تصدر عن عمادة شؤون الطلبة، صدر العدد الأول منها في شهر آب من عام 2006م واستمرت تصدر شهرياً بانتظام، وحملت اسم "الشورى" تجسيداً لمفهوم الشورى الإسلامية. وهي صحيفة موجهة للطلبة، يشاركون في تحريرها، وينشرون من خلالها مساهماتهم الثقافية، والإبداعية من شعر، وقصة، وخاطرة، والتحقيقات التي يقومون بإعدادها، وتغطي النشاطات الطلابية، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو رياضية، وتهتم بالمناسبات الدينية والوطنية، واستضافة أدباء وكتّاب قصة وشعراء أردنيين، بهدف تعريف الطلبة بهم وبإبداعاتهم.

وتولّى تحرير هذه الصحيفة منذ تأسيسها من أعضاء الهيئة التدريسية أ.د. هند أبو الشعر، وأ.د. تيسير صبحي، وأ.د. عليان الجالودي، واشترك في إدارتها أبناء المجتمع المحلي والطلبة.

2 - مجلة الزهراء: وهي مجلةٌ شهريةٌ إخباريةٌ يرأس تحريرها رئيس الجامعة، وتصدر عن دائرة العلاقات العامة والإعلام في الجامعة، وهي أول مطبوعة منتظمة الصدور تصدرها الجامعة، إذ صدر العدد الأول منها في شهر رمضان 1414هـ/ شباط 1994م، باللغتين العربية والإنجليزية، وتُعنى برصد وتوثيق أخبار الجامعة، وقرارات مجالسها الأكاديمية، والاتفاقيات التي وقعتها الجامعة مع الجامعات والمؤسسات الأكاديمية في الأردن والوطن العربي والعالم.

3 - مجلة البيان: وهي مجلةٌ ثقافيةٌ فكرية أدبية إبداعية تصدر أربع مرات في العام، وصدر العدد الأول منها في العام 1997م، وتولت الدكتورة الأديبة والمؤرخة هند أبو الشعر إدارة تحريرها بضعة عشر عاماً، ونشرت المجلة على صفحاتها وقائع الندوات والمؤتمرات الثقافية التي تنظمها المجلة، أو كليات الجامعة ومعاهدها وأقسامها الأكاديمية، وتنشر إبداعات الأدباء الأردنيين، والمقابلات التي تجريها أسرة التحرير مع المبدعين الأردنيين والعرب، وامتازت بأبواب ثابتة للترجمة عن الأدب العالمي من اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية إلى اللغة العربية، أسهم بها العديد من الأكاديميين والأدباء الأردنيين والعرب.

وحوت المجلة مخزوناً غنياً من المعلومات الثقافية والتاريخية، وتضمنت أبواباً ثابتة للمصطلحات، والنظم السياسية والإدارية التاريخية التي تثري

المخزون المعــرفي للقارئ، وزينــت صفحات الغلاف والصفحــات الداخليــة بلوحــات فنية تمثّل رســوماً جدارية وزخارف للخط العــربي، ولمختلف جوانب الحياة الجامعية ومجتمع المفرق ومحيطها.

شــكّلت مجلة البيــان ظاهــرةً ثقافيــةً متميزة، وأســهمت إســهاماً فاعلاً في الحراك الثقافي والفكري إلى جانب مثيلاتها، ك"المجلة الثقافية" التي تصدرها الجامعة الأردنية، ومجلة" أفكار" التي تصدرها وزارة الثقافة.

4 - الكتاب الســنوي: دأبت الجامعة على إصدار الكتــاب الســنوي الــذي يوثــق مســيرتها وكلياتها ودوائرها الإدارية وخريجيها سنوياً وبانتظام، وصدر الكتاب السنوي الأول للعام الدراسي 1994-1995م، ، وتضمن الرســالة الملكية الســامية بتأسيس جامعة آل البيت، وأســماء أعضــاء اللجنــة الملكية الخاصة بالجامعة، وكلمة لرئيس الجامعة، وصوراً تمثل حفل افتتــاح الجامعة من قبل المغفور له الملك الحســين بن طــلال ، وفي ختام العام الدراسي 1997 - 1998م صدر الكتاب الســنوي الرابع وتضمن أسماء الفوج الأول من خريجي الجامعة، ثم درجت الجامعة على إصداره سنوياً.

**ثانياً: المجلات العلمية المحكمة:**

مجلة المنارة: بدأت بالصدور منذ العام 1995م، عن مجلس البحث العلمي، ثم لاحقاً عن عمادة البحث العلمي، ويرأس تحريرها عميد البحث العلمي، وتضمُّ هيئة التحرير عدداً من الأكاديميين من مختلف التخصّصات، وتنشر بحوثاً علمية محكمة باللغتين العربية والإنكليزية لأساتذة من الجامعة، والجامعات الأردنية، والعربية، لمختلف التخصصات الإنسانية والعلمية.

**ثالثاً: المحاضرات والندوات والمؤتمرات:**

يشكّل النشاط الثقافي المتمثل بعقد المحاضرات والحلقات النقاشية والندوات والمؤتمرات أولوية في جامعة آل البيت خلال مرحلة التأسيس، ومن بواكير

النــدوات العلمية التي نظمتها الجامعة عام 1994م نــدوة "الحــركات الإســلامية في الولايــات المتحدة الأمريكية"، وحلقة نقاشــية في العام نفسه بالتعاون مع الســفارة الفرنســية بعنوان "المدينة السلطانية والعــمارة في الإســلام"، وخلال العام الثــاني من بدء التدريــس في الجامعــة نظّم "معهد بيــت الحكمة" ندوة بعنوان "الاستقلال القومي والاندماج الإقليمي في العقــد الأخير من القرن العشريــن" عام 1995م، شارك فيها عدد من المختصين من جامعات آل البيت، واليرموك، وجامعة العلوم التطبيقية، وجامعة بغداد.

وشــهد العام الدراسي 1997-1998م انطلاقة عدد من النــدوات والمؤتمرات، فقد نظم " قســم العلوم الحياتية في كلية الآداب والعلوم" أول مؤتمر يعقد في رحاب الجامعة بعنوان "مؤتمر البحوث والدراســات الحياتية للباديــة الأردنية"، تبعه انعقاد الندوة التي نظمها قسم التاريخ بالتعاون مع معهد بيت الحكمة بعنــوان "النــدوة التأسيســية لبناء الدولــة العربية الحديثة" تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق (1918-1920م)، وذلــك خــلال المدة مــن 26-25 نيسان 1998م.

وتبعتهــا الندوة التي نظمها قســم اللغة العربية ومركــز اللغــات بعنــوان "أدب الســيرة والمذكرات في الأردن"، وفي شــهر أيــار من العام نفســه نُظّمت ندوة دولية حول موضــوع "ترجمات القرآن الكريم إلى لغات الشــعوب والجماعات الإسلامية" من قبل معهد بيت الحكمة شارك فيها مجموعة من العلماء والباحثين يمثلون ثلاث عشرة دولة عربية وإســلامية وأوروبية. وخلال شهر حزيران من عام 1998م نظم معهد الفلــك وعلوم الفضاء في الجامعة مؤتمراً دولياً بعنوان "المؤتمر الدولي الأول في الفلك وعلوم الفضاء" شارك فيه ما يقارب من (خمسين) باحثاً يمثلون دولاً عربية وإسلامية وأوروبية وآسيوية.

ومن بين الندوات المتخصّصة التي نظمتها "مجلة البيــان" الثقافية الفكريــة، الذكرى المئويــة الثانية للشــاعر الروسي "بوشــكين"، ومئوية الشاعر الأردني مصطفــى وهبي التل، والحركــة الإبداعية في اليمن، والحركة الإبداعية في الجزائر، وندوة الإبداع النسوي في الأردن، وندوة القصة القصيرة في الأردن. ونظمت مجلــة البيان العديــد من النــدوات الاســتذكارية للمبدعين العرب الكبار، من بينهم العلامة السعودي "حمد الجاسر"، والمؤرخ والمفكر القومي" قسطنطين زريق"، والمؤرخ "نور الدين حاطوم"، والعلامة شوقي ضيف، والمؤرخ العراقي صالح أحمد العلي، والأديب الأردني" مؤنس الرزاز"

ومن الســنن الحميدة التي ســنتها الجامعة منذ تأسيســها إقامة الحلقات النقاشــية، والســيمنارات ويشــارك فيها أعضاء هيئــة التدريــس في الكليات والأقســام الأكاديمية، وطلبة الدراســات العليا، كما أقرت الجامعة مساقاً بمسمى "مناهج البحث العلمي عند العلماء المســلمين" يُدعى لتدريســه أســبوعياً واحــدٌ من الأكاديميين الكبار مــن الأردنيين، والعرب والأجانب.

وشكّلت المحاضرات التي يلقيها ضيوف الجامعة، وأســاتذتها ملمحاً من ملامح المناشط الثقافية، حتى أنَّــه أمكن رصد أكثر مــن أربعين محاضرةً عُقدت في الجامعة خلال شهر شباط من العام 1997م.

**رابعاً: نشر الكتب والدراسات المتخصّصة وأعمال المؤتمرات:**

تصدت الجامعة لنشر الكتب والدراسات وأعمال المؤتمرات، وقد نشرت في فترة التأسيس (150) كتاباً، ويمكن تصنيف منشورات الجامعة وحسب موضوعاتها إلى المجالات الآتية:

**1. الوثائق الهاشمية:**

استفتحت الجامعة منشوراتها بنشر سلسلة الوثائق الهاشمية (أوراق الملك المؤسس عبد الله بن الحسين) منذ نشأة الإمارة عام 1921م وحتى عام 1951م، وصدر أول مجلد من هذه الوثائق في العام 1993م، وقد صدر منها حتى تاريخه أكثر من خمسين مجلداً بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت وجمع وإعداد الأستاذة الدكتورة هند أبو الشعر، وما زالت السلسلة مستمرة في الصدور.

**2. فهارس الوثائق المحفوظة في المكتبة الهاشمية في الجامعة ومن بين تلك الفهارس:**

- حسين القهواتي، وثائق بلدية نابلس، (مجلدان) (1919-1967م)، مطابع الخط، 1997م.
- رنا قنديل، فهرس المخطوطات المصورة في جامعة آل البيت، مطابع الدستور، 1998م.

**3. سلسلة الرسائل الجامعية:**

- جورج طريف، السلط وجوارها، منشورات جامعة آل البيت بالتعاون مع بنك الأعمال، عمان، 1994م.
- نوفان الحمود، عمان وجوارها، منشورات جامعة آل البيت بالتعاون مع بنك الأعمال، عمان، 1995م.
- هند أبو الشعر، إربد وجوارها، منشورات جامعة آل البيت بالتعاون مع بنك الأعمال، عمان، 1995م.
- زياد المدني، القدس وجوارها، منشورات جامعة آل البيت بالتعاون مع بنك الأعمال، عمان، 1996م.

**4. سلسلة تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها:**

وكانت جامعة آل البيت رائدة بين الجامعات الأردنية في وضع سلسلة من الكتب التعليمية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بهدف تعليم اللغة العربية للطلبة من الجنسيات الإسلامية والأجنبية الذين توافدوا للدراسة فيها.

**5. سلسلة المقرّرات الدراسية لمواد متطلبات الجامعة.**

**6. أعمال المسوحات الأثرية والانثروبولوجية، والدراسات البيئية، ومن بينها:**

- عبد العزيز محمود، المسح الأنثربولوجي في البادية الشمالية الأردنية، 1997م.
- صلاح أحمد سعيد، دراسات ميدانية للكتابات القديمة في البادية الشمالية الشرقية، 1998م.
- صلاح أحمد سعيد، نقوش يونانية في البادية الشمالية الأردنية، 1999م.

- إلياس سلامة ونظير الأنصاري وعلي الناقة، الدليل العلمي لمحافظة المفرق، 1997م.
- نظير الأنصاري وآخرون، تحليل الهطولات المطرية لمحطات البادية الأردنية، 1999م.

**7. الكتب التذكارية:**

- فاروق عمر فوزي وهند أبو الشعر، بحوث ودراسات مهداة للأستاذ الدكتور سيد مقبول أحمد، 1999م.

**8. أعمال المؤتمرات والندوات:**

ولهــذه المجموعة النصيب الأكبر من حصة النشر في الجامعــة، إذ حرصت الجامعة على توثيق أعمال الندوات والمؤتمرات والبحوث والأوراق المشاركة ونشرها بعد تحكيمها تحكيماً علمياً، ومن بين تلك المنشورات:

- هند أبو الشعر، (محرر ومشارك) دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث، 1998م.
- معهد بيت الحكمة، أوراق ومحاضرات، 3ج، (أعمال الندوات)، 1998م.
- هند أبو الشــعر، (محرر ومشــارك) بناء الدولة العربية الحديثة، تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق، 1998م.
- عبد القادر أبو شريفة وآخرون، أدب السيرة والمذكرات، 1999م.

**9. منشورات وحدة الدراسات العُمانية:**

دأبت وحدة الدراســات العُمانية، ومنــذ العام 2001م على تنظيم المتلقيات ســنوياً ونشر حصيلة أعمال تلك المتلقيات، ومن بين منشوراتها:

- فارق عمر فوزي، الإمامة الإباضية في عُمان، 1997م.
- فاروق عمر فوزي، دراسات في تاريخ عُمان، 2000م.

**10 - منشورات باللغة الإنكليزية:**

- Sayyid Maqbul Ahmad, A History of Arab-Islamic Geography, 454 page, National Press - Amman, 1995.
- Omar Shdeifat, P.T. Whelan, A University Course in Translation, 144 page, Al-Eman Press - Amman, 1995.
- Wijdan Ali, What is Islamic Art, Amman, 1996.
- Khalid J.D. Deemer, Zohaa El-Gamal, The History of the Sudan between the times of Gordon and Kitchener, Volume I, al-Khat Press, 1998.
- Wijdan Ali, Khalid Deemer, Islamic Art Resources in Central Asia and Eastern and Central Europe, Nada Press, 2000.
- Farwaq Omar Fawzi, Studies on the History of Sects in Medieval Islam, Nada Press, 2000.
- Nasr Salah, Abstracts of Masters Theses, Vol. 1, No.: 1,2, Nada Press, 2001.
- Naser Salah, Abstracts of Masters Theses, Vol. 2, No.: 1,2,3, 2001.

# دراسات ومقالات

- مجدي ممدوح
- د. عدنان محمود عبيدات
- إبراهيم غرايبة
- سعيد بوعيطة
- عِذاب الركابي
- مراد رفيق البياري
- هشام إسماعيل عدرة
- سمر الفوالجة
- محمد أبو عزيز
- د. أماني غازي جرار
- جميلة عمايرة
- ابتسام الحسبان

د. إبراهيم بدران

# "معوّقاتُ التعليم وإشكالية التحوّلات الحضارية في العالم العربي" قراءة في كتاب د. إبراهيم بدران

مجدي ممدوح*

العنوانُ هو بمثابة عتبة للولوج إلى فضاء الكتاب. وهذا أوضح ما يكون في كتاب الدكتور إبراهيم بدران الموسوم" انطلاق التعليم ...إشكاليات التحولات الحضارية في الوطن العربي"[1]، الذي شخّص الإشكالية المركزية التي حالت دون دخول المجتمع العربي في حقبة الحداثة. لقد استورد العربُ كلَّ منتجات الحضارة الغربية الجاهزة من تكنولوجيا وعلوم، ولكنَّه لم يستطع أن يستورد المنظومة التي أنتجت كلَّ هذا، والمقصود بذلك منظومة التعليم. فلا زلنا لغاية اليوم نراوح في مكاننا دون أن ننجز مرحلة انطلاق التعليم بالشكل الذي يمكن العملية التعليمية من إنجاز التحولات الحضارية المطلوبة وتحقيق انتقالنا للعصر الحديث.

* كاتب وباحث أردني

يشــخّص بدران منــذ البداية المفارقــة الصارخة الماثلــة أمامنا فيما يخصُّ التعليــم في الوطن العربي، " فالمدرســةُ هي المدرســة، والجامعة هي الجامعة، والمناهــج والمقــررات والكتــب منقولة عــن الدول المتقدمة، والتربويون والسياسيون والإداريون العرب لم يتركوا بلداً متقدماً إلا وكان لهم فيه مجال للتعليم أو التدريب أو الزيارة، ومع هذا فالمخرجات مختلفة ونتائــج تفاعل التعليم مع المجتمــع مختلفة أيضاً... لماذا؟". بهذه السطور القليلة يدخلنا بدران في خضم الإشــكالية التي ستســتغرق مقاربتها فصول الكتاب البالغة عشرين فصلاً.

كيف يتشــكّل العقلُ العلميُّ، الــذي هو الركيزة الأساسية في النهوض الحضاري؟. على الصعيد الفردي، يؤشر بدران إلى أربع دعائم لهذا العقل:

1 - التســاؤل والاستطلاع والنزعة الشكية بجانبها الإيجابي والرغبة الصادقة بالمعرفة.

2 - الاســتناد لقواعد العلم وقوانينه ومكتشفاته المستجدة.

3 - تمحيــص المقــولات وتدقيقها قبــل اعتمادها كحقائق.

4 - استكشــاف العلاقات بين الظواهر في بعدها العميــق لتشــكيل رؤيــة متكاملــة. بالإضافة لهذه الدعائم فإنَّ التفكير يجب أن ينحو منحى نقدياً، وأن يراعي الموضوعية بعيداً عن العواطف والأقاويل، مع توفر الاســتعداد لتبادل الآراء مع الآخرين من ذوي

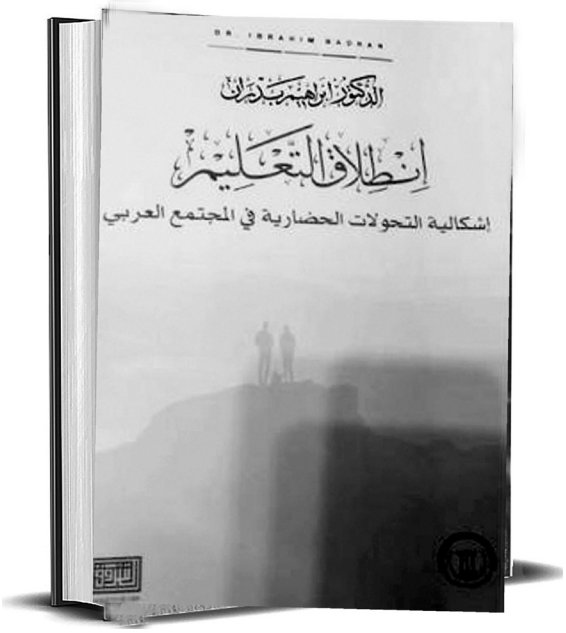


الاختصاص، علاوةً على توفر الاستعداد العالي للبحث والاستقصاء والتنقيب والاختبار والتحقق.

يعيــش المجتمعُ العربيُّ بحســب بــدران مفارقةً كبــيرة. فالإنتاجُ العــربيُّ في الغذاء والدواء والكســاء والتكنولوجيا والنقل والمعدات العسكرية والماكنات والصناعــات ما زال أقل بكثير جــداً من الاحتياجات الوطنية، وفي الوقت نفسه تذهب الحركات الماضوية والثقافــة والفكر الماضوي الوصائي إلى دعوة المجتمع العــربي إلى عدم الإفادة من تجــارب الدول المتقدمة بحجة رفض التغريــب والحفاظ على الهُوية وصيانة التراث. يشــير بدران إلى أنَّ هــذه الحركات الماضوية تشــكّل نوعاً من الوصاية على المجتمع تختلط فيها الوصايــة الثقافية والدينية والســلطوية. لقد قادت

هــذه الوصاية المجتمعات العربيــة إلى نتائج كارثية على صعيــد التحــولات الحضارية واســتطاعت أن تعيق التقــدم على الأصعدة كافــة وأهمها التعليم. وقــد انعكــس كل ذلك على مــؤشرات التنمية التي ظلّت تراوح مكانها لعقود خلت. ويشــير بدران إلى أنَّ المجتمعات العربية شهدت نهوضاً في نهاية القرن التاســع عشر، وبقيت تســير بوتيرة متســارعة حتى ســتينيات القرن العشرين، حيث ظهــرت الحركات الأيدولوجية الماضوية وأدت إلى عرقلة مسيرة التقدم. إنَّ التحالف بين قوى السلطة والتيار الديني المتشدّد قاد المجتمعات العربية إلى أوخم العواقب.

يفرد بدران فصلاً حول الشروط المطلوبة في المعلم حتى يكون مؤهلاً للاضطلاع بالعملية التعليمية وبما يكفل الانطــلاق الصحيح للتعليم. ويــورد بدران ما أسماه حُزماً متماســكة ومتفاعلة لتأهيل المعلم لكي يكون عنصراً فاعلاً في التغيير وصناعة المستقبل. هذه الحزم برأي بدران هي: التربوية، المهارات، التوجهات المستقبلية، والشباب والمستقبل، والهُوايات والثقافة والفنــون والرياضة. ويعتقد بــدران أنَّ من الأهمية بمكان العمل على تحســين المكانة المجتمعية للمعلم من خلال مجموعة من الحوافز تقود في نهاية المطاف إلى انخــراط المعلــم في العمليــة التعليمية بإخلاص واندفاع بوصفه صاحب رسالة مهمة في المجتمع.

تعــاني المجتمعــات العربية من مشــكلة خطيرة هي مشــكلة هجرة العقول والمهارات. يشــير بدران أنَّ مشــكلة هجــرة العقول قد تم تشــخيصها بادئ الأمر بالإحالة إلى هجرة العقول البريطانية من علماء ومهندســين وخبراء إلى الولايات المتحــدة الأمريكية في أعقــاب الحــرب العالمية الثانيــة، حيث خرجت أمريــكا بكامل قوتها، في حين خرجت أوروبا مدمرة. ويشــير بدران إلى أنَّ هجرة العقــول قد تفاقمت في ظلِّ ظاهرة العولمة. الأرقــام الخاصة بهجرة العقول العربية خطيرة للغاية. فقد بلغت الخســائر المترتبة عــلى هجرة العقول العربية على مدى عقدين حوالي 200 مليــار دولار. ويوجز بدران العوامل الأساســية الطاردة للعقول والمهارات بـ:

1 - العوامــل السياســية؛ كالاســتبداد وانعــدام الحريات وغياب المشاركة وعدم الاستقرار السياسي.

2 - العوامــل الاقتصاديــة؛ كانخفــاض الرواتــب وظروف العمل السيئة، وانعدام الفرص وعدم وجود صناعة متقدمة.

3 - عوامــل إداريــة؛ كالفســاد والمحســوبية والبيروقراطية والتفرقة.

4 - عوامــل علميــة؛ كغيــاب المرافــق العلميــة المتقدمــة اللازمة للبحث العلمــي، وضعف الإنفاق على البحث والتطوير.

5 - عوامل نفسية؛ كالانسياق وراء الإعلام والرغبة في المغامرة، أو الالتحاق بالأقارب والأصدقاء.

يقابــل كل هذه المعوقــات عوامل جاذبة في بلد المهجر مثل الجدوى الاقتصادية والمرونة الاجتماعية

والراحــة النفســية ومســاحة الحريات والاســتقرار الســياسي. إنَّ هجــرة العقول لها آثــار واضحة على تراجع التعليم في المجتمعــات العربية، وكذلك على زعزعة البحث العلمي والتطوير التكنولوجي.

تحتلُّ الفنــونُ مكانةً مركزيةً في إحداث التحولات الحضاريــة المنشــودة. ويعتبر بــدران الفنون بمثابة العيادة النفســية التي عبرت فيها المجتمعات بشكل تراكمي عن جميع قيمها ومزاياها ومواهبها وأحلامها لتخرج أكثر صحةً وتماســكاً وأكثر قــدرة على التركيز عــلى ما هو جديد في المســيرة الحضاريــة والفكرية والثقافية والعلميــة للفرد والمجتمع. وتتمثل القيمة المضافــة لتعليم الفنــون بتحفيز الإبداع وتحســين الأداء الأكاديمي وتعميق الثقة بالنفس، ونشر الثقافة البصريــة، وتنمية عــادة المثابرة والتركيز والشــعور بالمسؤولية.

يشــخّص بدران عاملاً مهمًّا مــن معوقات انطلاق التعليــم في مجتمعاتنا، والمتمثل بفقــر المهارات في صناعة الأشــياء. فالمتعلمون في الوطن العربي يعانون عجزاً مزمناً في القدرة على الخروج من التصور النظري إلى عمل النموذج المادي. وهذه المشكلة مرتبطة إلى حدٍّ ما بمشكلة فقر التعليم الفني. ويحذر بدران من اعتبار مهارة صنع الأشياء مجرد مهارة مرتبطة بالمهن اليدوية، حيث يتعدى الأمر إلى الصناعات المتقدمة. ويشير بدران إلى حقيقة أنَّ البيئة العربية ربما تكون عاملاً معوّقاً، حيث تشكّل المناطق القاحلة ما نسبته 87% من مجمل الأراضي. إنَّ الأراضي القاحلة تفتقر للمــواد الأولية اللازمة لصنع الأشــياء، علاوةً على أنَّ ارتفاع درجات الحرارة يُعدُّ عاملاً مثبطاً لأنَّه يتسبّب بالإنهــاك السريــع خلال العمــل. كــما أنَّ درجات الحرارة المرتفعة تؤدي إلى تآكل المواد وتلفها. ويبدو أنَّ الثقافــة المجتمعية في عالمنا العــربي كانت عاملاً معوّقــاً لتنمية المهارات الخاصة بصنع الأشــياء. فقد أولــت الثقافة العربية اهتماماً وأولويةً لفنون القول والشــعر والأخبار، وكان الولاةُ والسلاطين يقربون إلى بلاطهم أصحــاب الأدب ويجزلون لهم العطايا، ومن النــادر أن نعثر في التراث العربي عــلى اهتمام بأهل العلــم والصناعة. ومن القصــص المحبطة في التراث القصة المشــهورة المتضمنة في المثل "جزاء ســنمار"، حيــث أنَّ الصانــع المبدع لأحــد صروح العمارة كان جزاؤه في نهاية المطاف هو القتل. ومن المحبط أيضاً أنَّه حتى في الحالات القليلة التي وردت فيها الأخبار عن بعض الصناعات المتطوّرة كالســاعة التي أهداها هارون الرشــيد لشارلمان؛ فإنَّ اســم مخترع الساعة وصانعها لم يرد في الأخبار. كلُّ ذلك يؤشر لحقيقة أنَّ ثقافتنا العربية المتوارثة لم تكن تحتفي بمهارة صناعة الأشياء.

**(١) الكتاب من إصدارات دار الشروق لعام 2022**

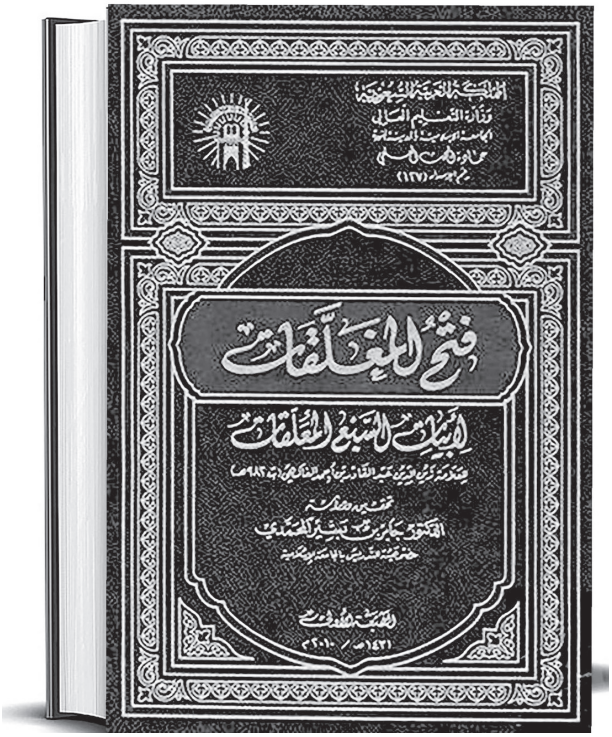


# "فَتْحُ المُغَلَّقَاتِ لِأَبْيَاتِ السَّبْعِ المُعَلَّقَات" لزين الدين بن أحمد الفاكهي (ت982هـ)

**قراءة وعرض: د. عدنان محمود عبيدات***

**هذا الكتابُ تحقيق ودراسة الدكتور جابر بن بشير المحمدي، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، صدرت طبعته الأولى عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية عام 2010م رقم (127)، يقع الكتابُ في أربعة أجزاء من القطع الكبير بمجموع (2364) صفحة مع الفهارس الفنية، وقد كنت قد اطلعت على المخطوط وأوصيت بطباعته ونشره حين كنت أستاذًا زائرًا ومدرسًا لطلاب الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واعتمدت في تقديم هذه القراءة السريعة للكتاب على مقدمة المحقّق.**

* أكاديمي وباحث أردني

يعود السبب في اهتمامي بهذا المخطوط أنَّه شاملٌ لكل شروح المعلقات السابقة، وأنَّه على علمي غير مشهور بين الدارسين على أهميته، والسبب الآخر أنّني أهتمُّ بتحقيق النصوص التراثية، ولقد انشغلت بتحقيق بعض منها، مثل كتاب: "مآخذ الأزدي على شرح ابن جني (المسمَّى الفَسْرُ لديوان المتنبي)"، ونُشر بدعم من جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، كما حقّقتُ كتاب "مآخذ الأزدي على شرح التبريزي لديوان المتنبي"، ونُشر بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، وأتممت تحقيق "معجز أحمد" وهو شرح المعري لديوان المتنبي المسمّى (اللامع العزيزي)، وقد جاء في ستة أجزاء، ولم يُنشر بعد، وثمة استدراكات لنا مختلفة على بعض التحقيقات التي صدرت عن بعض المحققين، وهي منشورةٌ في مجلات متخصصة محكمة.

أمَّا كتاب "فَتْح المُغَلَّقات لأبياتِ السَّبْعِ المُعَلَّقات" فمؤلفه زين الدين عبد القادر بن شهاب الدين أحمد بن نور الدين علي بن أبي بكر الفاكهي، مصري الأصل، مكي المولد والنشأة، تنقل بالبلاد شرقًا وغربًا، لُقّب بالفاكهي والفاكهاني والفاكهي هو وأبوه وجدّه نسبة للفاكهة وبيعها، قضى حياته في مكة المكرمة، وتلقى تعليمه فيها.

كان الفاكهي شاعرًا وناثرًا وأديبًا، وأكثر في نثره من المبالغة والبديع والتورية والجناس والطباق والاقتباس متأثرًا بكتابات العصر الذي عاش فيه، فجاءت كتاباته مثقلة بالحلل اللفظية، مقيدة بقيود السجع والجناس وغيرها، وأسرف في استخدام الغريب من الألفاظ، وأكثر من الجمع بين المترادفات والمتضادات فيها، كما كثر في أسلوبه الاستطراد، أمَّا شعره فقد كثرت فيه موضوعات المديح والتأريخ بالشعر والألغاز والمطارحات بين شعراء العصر، وأكثر من التورية والاقتباس.

قال عنه عمر فروخ:" كان عبد القادر الفاكهي عالمًا بارعًا في فنون شتى في الحديث والفقه والأدب والتأريخ والألحان، ثم هو مصنف مكثر". وقد عاصر من السلاطين العثمانيين السلطان سليم الأول من عام 918 - 927هـ والسلطان سليمان القانوني من 927هـ - 974هـ والسلطان سليم الثاني من عام 974-982هـ (الدراسة 1/24)، كما عاصر رحمه الله من الأمراء الأشراف بمكة:

1 - الشريف محمد أبي نمي بن بركات المتوفى عام 990هـ.

2 - الشريف أحمد بن محمد بن أبي نمي بن بركات؟؟؟؟

3 - الشريف الحسن بن محد بن محمد أبي نمي بن بركات المتوفى عام 1008هـ.

توفي الفاكهي بمكة، ودفن في مقبرة المعلاة بجانب أمه وجده سنة 982هـ انظر (البدر الطالع 1/360).

**سببُ تأليفه للكتاب**

ألف الفاكهي الكتاب بتكليف من والي الحجاز محمد بن بركات المتوفى عام 990هـ فهو الذي طلب إليه أن يشرح المعلقات السّبع، وقد فعل بأن شرحها شرحًا طويلاً معتمدًا على من سبقوه. وفي هذا يقول

المحقّق ص29: " وقد حظي بتقدير أمراء الحجاز له، وبمكانة علمية مرموقة، مما دفع والي الحجاز آنذاك محمد بن بركات أن يسند إليه تأليف كتاب في شرح المعلقات السبع، وهو الذي بين أيدينا".

**مؤلفاته**

1 - حاشية على تفسير البيضاوي ( تاريخ الأدب 1/467).

2 - المسلك الأبذخ في توضيح الكلام البيضاوي، فرغ من تأليفه عام 963هـ .( هدية العارفين 5/598هـ)

3 - حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل أو سبيل الاستنارة لسالكي مرافق الزيارة"، غير محقق، معالم الأدب العربي، عمر فروخ 1/467.

4 - شرح منهاج القاضي زكريا الأنصاري ت 926هـ. معالم الأدب العربي عمر فروخ، 1/466.

5 - نفحات العناية في شرح الهداية، معالم الأدب العربي 1/466هـ. معالم الأدب العربي عمر فروخ.

6 - "التعليقة على منهاج النووي "، النص المحقق 798، والمنهاج هو " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج " للإمام الحافظ محي الدين بن أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى عام 676هـ. هدية العارفين 2/525.

7 - آداب عيادة المريض. النص المحقق. ص1711.

8 - عقود اللطائف في محاسن الطائف مخطوط لم يحقق. هدية العارفين 1/598، ومعالم الأدب، فروخ، 1/466.

9 - تاج الحكم والهمم والحماسة والتواضع والمفاخر والرياسة " أو " تاج الرياسة في علو الهمة والتواضع والحكم والسماحة " النص المحقق ص 214، 215، 251، 252.

10 - التعريف بترجمة الشريف. النص المحقق ص215.

11 - رسالة في مناقب شريف الحجاز. النص المحقق ص975.

12 - كتاب" القول النقي في فضائل ابن حجر الهيثمي"، هدية العارفين 1/598، ومعالم الأدب، ص466.

13 - "أحكام الهجاء" النص المحقق، ص292.

14 - "تنبيه أولي النهي والأحلام على تمييز الفطيم من الرضيع في شرع الغرام" النص المحقق، ص 366.

15 - "صحيفة التبييض في رخص الكناية والتعريض" النص المحقق، ص 534.

16 - "شرح قصيدة ابن زيدون" خمدت لنور ولادك النيران " المحقق، ص 534.

17 - "شرح الجامع الصغير للسيوطي"، النص المحقق، ص 259.

**مخطوطاتُ الكتاب**

ثمة نسختان خطيّتان لهذا الكتاب، الأولى: " فتح المغلقات في شرح أبيات المعلقات " وهي في مكتبة راغب باشا في اسطنبول بتركيا تحت رقم (1154)، وتقع في 268 ورقة، وفي كل صفحة منها واحد وعشرون سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات ثلاث عشرة كلمة، مقدمة المحقق ص189.

الثانية: نسخة مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة تحت اسم " شرح السبع المعلقات"، برقم 18 أدب، وتقع في 517 صفحة.

ويقول الفاكهي في مقدمة كتابه هذا:" فهذا شرح بسيط (يقصد من البسط الاتساع ) على السبع الطوال المعلقات سميته:" فتح المغلقات لأبيات السبع المعلقات " أو " عقد جواهر الكلمات المنجزات في شرح السبع المعلقات " أو " بواسم ثغور التعليقات عن ذراري عرائس المعلقات" ص 209. وقد وصفه قائلاً:" تتجافى جنوبه عن مضاجع الإطناب الممل، وتتحامى جيوبه عن مقاطع الإيجاز المخلّ، سلكت فيه طراق قِددًا، وانتهجت له نهجًا جِددًا ( أي مستويًا واضحًا)، واستمنحت له من مانح المِنَح مددًا، وأنفقت فيه من نفائس أوقاتي مُددًا، بلغت من السنين عشرًا، لأن الشروع فيه عام تسع وستين (أي عام تسع وستين وتسعمائة للهجرة ) ص 209.

وظهر من خلال مؤلفه أنَّه اعتمد اعتمادًا واضحًا على شروح المعلقات التي سبقته، فنقل عن "شرح القصائد السبع الطوال" لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى عام 328هـ وعن "شرح القصائد التسع المشهورات" لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى عام 338هـ وعن " شرح السبع المعلقات " لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني المتوفى عام 486هـ، وعن " شرح القصائد العشر " للخطيب التبريزي، المتوفى 502هـ ، (مقدمة المحقق ص82)

**مصادره**

**أ. اللغوية:**

1 - الكتاب لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المتوفى 180هـ.

2 - الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفي 224هـ.

3 - الصحاح، للجوهري، حماد بن إسماعيل، المتوفى 393هـ.

4 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للأنصاري، جمال الدين ابن هشام المتوفى سنة 761هـ النص المحقق ص 84-83

**ب. الأدبية والبلاغية:**

1 - "طبقات فحول الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي المتوفى عام 231هـ.

2 - "اللطائف والظرائف" لعبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي المتوفى عام 430هـ.

3 - "سقط الزند" لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري المتوفى عام 449هـ.

4 - "روضة الفصاحة" لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى عام 538هـ.

5 - "تلخيص المفتاح"، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني المتوفى عام 739هـ.

6 - "معاهد التنصيص"، شرح شواهد التلخيص، للعباسي أحمد بن عبد الرحيم المتوفي 963هـ.

تناول الفاكهي كثيرًا من القضايا البلاغية في شرحه للمعلقات، ولا غروَ في ذلك، فقد تتلمذ على يد السكاكي والخطيب القزويني وأصحاب البديعيات مثل: صفي

المعلقات السبع

الديــن الحلي وابن حجــة وعبد العزيــز الأنصاري. (النص المحقق، ص 92.) وتنــاول الكثير من القضايا النقدية من مثل: قضية الشــعر والأخلاق، والسرقات الشعرية، وقضية اللفظ والمعنى. (ص144).

**مكانته بين الشروح**

يقــال: "إنَّ الأخفش أول مــن اعتمد شرحًا مفصَّلا لشعر المعلقات، فقد كان يذكر البيت ثم يعالج بيانه، ويشرح مفرداته، ثم يشرح معناه" (ص176.) وأصبح منهج الأخفــش هو المنهج المتبع عنــد أغلب شراح المعلقات، فســار في هذا المســلك ابن كيســان وابن الأنباري وابن النحاس والزوزني والتبريزي والجواليقي، (ص176 ). ومن خصائــص هذه الشروح اعتماد كل منها على شروح ســابقه، "وجــاء بعدهم عبد القادر بن أحمد الفاكهي الذي لبى رغبة والي الحجاز آنذاك الشريف محمد بن بركات، فــأراد أن يجعل لشرحه مزيةً، وأن يكون درة بين الشروح فريدة، فأخذ يقدح في الشروح المشهورة للمعلقات، ويقلّل من شأنها ولا سيّما شرحي ابن هشام والتبريزي، ويدافع عن سبب تأليفه، (ص177 ) يقول:" ولا يُقال كيف شرحته، وقد أكثر الغير له الشرح، لأنّا ندعي- ولا ندعي- أنَّ شرحنا عليه كالبحر المشتمل على مجمع البحرين، كالصرح فيه جواري البحور، وجواهر النحور، يقصدون وصفه. ولا نطيــل الشرح، فإنَّ غيّر في وجوهه الحســان أحد قلنا لا تغير، وإن حكى عن غيره، قلنا: حكيت، ولكن فاتك الشــنب، فشاهد ما ادعيناه وادعاه، وما كتبناه وكتب، ومنه لنا عليه، تضمن شرحنا أشــعار المولدين الباســمة عن ثغور الغزل والانســجام، بســمت عن حبب أتى بالعجب، وأزالت بامتزاجها في تلك المناسبة وحشة الغربة في كلام العرب العرباء جاهلية العرب" (ص 257-256) .

**منهجُ المحقِّق:**

وضح المحقِّق منهجــه في تحقيقه كتابه، فهو كما يقول لم يتدخل بالنص، وإن أضاف ما يقتضيه السياق يجعل الزيادة بين معقوفتين (ص188 ).

وأقــولُ: هذا الإجــراء الصحيــح في التحقيق، فلا يجــوز التصرف بمتن الكتــاب، وإذا لــزم الأمر يقوم المهتمــون بهذا العلم بما قام بــه المحقّق. وقد أتقن المحقِّق عمله إتقانًا متميزًا، وعندما أتمّ عمله المضني بتحقيق الكتاب الذي وقع في أربعة أجزاء من القطع الكبير، قام بفهرسة الكتاب، وهو عملٌ شاقٌ، لاعتماد المحقّق على الفهرســة اليدوية لعــدم وجود برنامج حاســوبي يقوم بهذه المهمة، وجاء الفهرس كما جرت العادة عند المفهرسين، متضمنًا ما يأتي:

1 - رقّم المحقق أبيات المعلقات بأرقام متسلسلة حسب رواية المؤلف.

2 - شرَح الغريب مــن الألفاظ في الأبيات التي لم يشرحها المؤلف.

3 - صــوّب بعض الروايات من دواوين الشــعراء، وشروح المعلقات.

4 - وثّــق الروايات من مصادرها، وعزا الأقوال إلى أصحابها.

5 - حقّق الآيات القرآنية، فذكر اسم السورة ورقم الآية.

6 - خرّج الأحاديث من كتاب الصحاح وغيرها.

7 - خرّج القراءات من كتب القراءات المعروفة.

8 - خرّج الشواهد الشعرية من دواوين أصحابها، ومن المجموعات الشعرية المختلفة.

9 - خــرّج الأمثــال وأقوال العرب مــن مصادرها ومراجعها.

10 - وضع فهارس عامة في نهاية الكتاب.

وختــم الجزء الرابع بمقالة طويلة للقاضي علي بن جار الله بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي من صفحة 2177 - 2187، يقــرظ الكتــاب، ويمتــدح الــشروح وصاحبهــا بلغة فنية بلاغية جميلــة. فقد قال فيه:" وقفت على هذا الشرح الذي أماط اللثام عن عرائس المعلقــات، وفتحت للوصول إلى مغاني فوائده وأغاني فرائــده أبوابه المغلقــات، ونزهت طــرفي في رياض ســطوره، واقتطفت من روي زهــوره، وما بين ورده المنظوم ومنثوره، وعلمــت أنَّه زهر يروم الاقتطاف، ودخلت من ســطوره إلى كل روضة غناء يجدها من دخلها مهتزة الأعطاف، واجتنيت من يانع ثمره ما هو زاهي الطلاوة، زاكي الحلاوة، فعلمت أنَّه ثمرٌ لا يصلح أن يهدى إلا للأشراف، وأن أنفته تأبي أن تُقدم إلا إلى آل عبد مناف، من كل روضة يظن داخلها أنَّها لولا أن الأحساب جنة النعيم، ويعلم صحيح الفكر أنَّ طرف كل غيداء من عرائســها يســحر الألباب"، ويضيف: " فلقــد أجــاد في تعليق هذا الشرح عــلى المعلقات وأبدع، وسلك فيه مسلكًا يدل على أنّه لبحري العلم والأدب مجمــع .... فهو شرحٌ له نصيبٌ من اســمه، لأنَّــه قرة العيون، وشرح الصدور، وروضة أدب تغرد طير الإفادة بها على أفنان هاتيك السطور"2181.

# المدينةُ بما هي "مشي الهوينى"

إبراهيم غرايبة *

"وعباد الرحمن الذين يمشــون على الأرض هونا. وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا ســلاما" (سورة الفرقان، 63)

يتجلّى الســلام المنشــئ للمدن والقرى في قدرة الناس على مشي الهوينى، أو في عبارة أخرى قدرتهم على أداء حياتهم وأعمالهم في سلام وطمأنينة. إنَّ مشي الهوينى يؤسس منظومة الحضارة الإنسانية وقيمها، إذ يعني بالضرورة السلام والثقة والتواضع المنشئ للاحترام والتعاون المتبادل بين الناس.

* كاتب وباحث أردني

يمكن تتبع قصة حياة القرى والمدن في مشهدها الراسخ اليومـي على مدى القرون؛ ينهـض أهلها في الصباح الباكر يمضـون إلى مزارعهم ثـم يعودون في المسـاء، محملين ما يجدونـه من ثمار الحقـل أو مما تنبتـه الأرض متاعاً لهم ولأنعامهم، وفي المسـاء يتجمعون صيفاً تحت ظلِّ شجرة، وشتاءً في الديوان أو في بيت أحدهم الذي يكون عادة ملك القرية (كان مختار القرية يسـمّى ملكاً، وما زال يُسـمّى باللفظ نفسـه في أفغانسـتان وإيران والهند) يتحدثون في شؤونهم ويسـتمعون إلى القصص، وفي مراحل من الوفرة يكـون للقريـة معلم هو في الوقت نفسـه رجـل الدين والطبيب والمرشـد الزراعي، يروي في المساء قصصاً وأخباراً ومواعـظَ، ويكـون عادةً مسـاعد الملك ويتولى مسـائله الكتابية والحسابية.

المتوالية تنشأ كما هو شأن الإنسان في التاريخ والجغرافيا في تحسين الحياة، والبحث عن المعنى والجدوى، والسؤال عـن الحياة والعالم، أو "المعرفـة" البحث عن المعرفة التي تحسّـن حياته وتجيـب على اهتمامه بالعـالم وبحثه عن المعنى والجدوى.

المعرفـة تحتاج إلى وفـرة في الوقت والمـوارد، فليطور أدواته ويحل المشـكلات التي تعترضـه في الزراعة والري، يحتـاج أن يتعلم وأن يدفـع للحرفيـين والبياطرة الذين يسـاعدون في تطوير عمله ومنتجاته، ويقدمون له الدواء والخـبرة والأدوات، ويصلحون له ما يتلف منها، أو للعمال والمسـاعدين من المزارعين والحراثين والرعاة والحصادين. هـؤلاء يجب أن يجدوا من الوفرة مـا يغنيهم عن العمل في الزراعـة وتدبـير قوتهم أو ما يشـجعهم عـلى العمل مع المزارعين والحرفيين ومسـاعدتهم. تتشـكل الطبقات الاجتماعية والاقتصادية، وتتشـكل المهـن والحرف الفنية وأصحابها وطبقاتها ومصالحها أيضاً.

في البحث عن المعنى والجدوى ظهر المعلمون والكهنة والـرواة والدراويش والفلاسـفة، وفي مواجهـة متطلبات الحياة وتحدياتها نشأت التشكلات الاجتماعية والتعاونية للعمل الجماعي وتنظيمه، فكان المجتمع، والقضاة والقادة الاجتماعيـون، وفي صياغة القواعد والأعـراف الاجتماعية وتطوير التنظيم الاجتماعي تشـكّلت الموسـيقى والفنون والألعاب، والعادات والتقاليد والأعراف والقيم.

لكن كيف يؤثر مشي الهوينى في تشـكيل اتجاه الحرف والمهن والطبقات والموسـيقى والفنون والقيم والأعراف؟ كيـف يؤثر على المـوارد والأعمال نفسـها؟ كيف يؤثر في تصميم الطـرق والبيوت والمرافق وقنـوات الري وأدوات الزراعة والأدوات الموسيقية؟

يجب أن تكون المسـافة لا تحتـاج إلى أكثر من نصف سـاعة (في حـدود ألفي متر) فلا يعقـل أن يمضي نهاره في المـشي. هكذا تتشـكل حدود القرى والأحياء والمسـافات للمزارع في دوائر ومسـاحات مـن الأرض يحدّدها الزمن اللازم لرحلة مشي الهوينى، فيتوزع الناس في سلاسـل من القرى ومدينة أو مركز ينتظمها.

في سـلوكه وعلاقاته بمن حوله والآخرين يجب أن يظلَّ المزارع قـادراً على مشي الهوينى، ليـس مطلوباً من أحد، ولا يتكـبر على أحد، يحتاج أن يجعـل الناس يحترمونه أو لا يؤذونه، لا تتفق المفاجآت والطوارئ مع مشي الهوينى، يجب أن يكون كل شيء متوقعاً ومحسوباً، أو أن يكون قادراً على مواجهة ما يمكن أن يحدث، في الخريف إذا لم يعد من طعام، وفي الشـتاء حين يحلُّ البرد مع الجوع، وفي الصيف حين تغمـره الوفرة من غير عمل كثـير، وفي الربيع حيث يجب العمل الكثير المتواصل. يمضي الربيع في عمل طويل، لا يفوت لحظة للتزود والاسـتعداد والاستفادة من عطايا الطبيعة ومنحهـا، وفي الصيف عمل كثيف جماعي لجني المحصول وتخزينه وتسـويقه، ثم فترة من الأفراح والليالي الملاح، ففي ذروة الموسم تعقد الصفقات والزيجات، البيع والشراء في المدينة، بما في ذلك من دهشـة وترفيه وفضول! يبيع المحصول ويشـتري القماش والمناديل والحلي والشاي

والسـكر والحلويات، ويعكف على تصنيع الطعام المخزن، المجفّفـات والمملحـات والمخلـلات والمحلّيـات، والزيت والملح، واللبنة والجميد والجبنة والسمن والقاورما (اللحم يطبـخ ويخـزن تحـت طبقة مـن الدهون في جـرار من الفخار) وصيانة البيوت وترميمها وجمع الحطب وإعداده وتخزينه للشـتاء والطهو، ثم بيات شتوي ليس سوى عمل قليل. قد ينتقل إلى أمكنـة أكثر دفئاً، وفي مراحل متقدمة صارت البيوت والقرى تُصمّم وتُعدُّ لتكون أكثر دفئاً وقدرة عـلى مواجهة البرد والشـتاء!، الطوابق الأرضيـة والأقبية في البيـوت والكهوف والمغاور العميقـة الدافئة والمجهزة بالطعام والماء، ويجعلها الكانون والشراب والسـمر دافئة مؤنسة.

هذا يجعله فضولياً، وإن كان يتظاهر باللامبالاة، يكون للمعلم/ رجل الدين (الخطيب والكاهن) دور كبير ليزوّده بالمعرفـة التي تكسر عزلته ووحدته الصعبة المملة، يزوّده بما يحتاج إليه في حياته ومستقبله، يجيب عن سؤاله الملح الدائم عن الحياة والكون والأسرار والألغاز الكثيرة المحيطة وأخبـار العـالم المجاور والمحيط والبعيد. يشـغل نفسـه بالسـؤال، لكنَّـه يكتفي بما يحصل عليه مـن إجابات من المعلم أو الخطيب أو الكاهن أو الزوّار القادمين والعابرين والرواة والضيوف في المجالس، وتُستعاد القصص والإجابات ثم ترتب في الرحلة الإيقاعية المنتظمة يوماً بعد يوم، وسنةً بعد سـنة، وقرناً بعد قرن، منتظمة هادئة متكررة راسخة، يصعب تغييرهـا أو مراجعتها، تصلـح للطمأنينة والعلاج والعمـل والقلق لمـا بعد الحيـاة. تظلُّ حـاضرةً جاهزةً لاستخدامها أو اسـترجاعها كلما دعت الحاجة لذلك، ليس ثمة مجال للبحـث عنها أو اختراعها، لا مجال لغير المتوقع أو لما هو اسـتثنائي، يجب أن يكون كل شيء واضحاً جاهزاً ومتوقعـاً ومنتظـماً مثل رحلـة مشي الهوينى نفسـها في الصباح والمساء!

القانون والعادات والتقاليد والأعراف والقيم المتشـكلة حول مـشي الهوينى تكـون واضحة ومحـددة، كل شيء محسـوب ومعدّ بإيقاع ووضوح، رحلة الهوينى نفسـها، ليس فيها اسـتثناء أو ما هـو غير متوقـع، يتبعها الفلاح بانتظام وخضوع، يؤدي واجباته الدينية والقانونية، ويدفع الضرائب، ويلتزم العادات والتقاليد والأعراف والقيم برضا والتـزام حرفي واضح، لكنّه يرتبك أمام أي حالة اسـتثنائية أو غـير متوقعة، لا يتقبل فكـرة دينية أو قانونية أو عادة طارئـة أو غـير معروفة له مـن قبل، أو لم يتلق بشـأنها توضيحاً أو تحذيراً من قبل المرجعيات المحدّدة والمختصة، العمـدة أو المعلـم أو الكاهن أو العـراف أو البيطري أو كبـير العائلة. ليس لديه موقف خـاص، يرفض الإضافة أو الحذف في أي شيء، سـواء في الدين أو القانون أو الثقافة الاجتماعيـة الناظمة لحياته وإيقاعها. يقاوم أي تعديل في الأفكار والالتزامات والسـلوك مهما كان ضئيلاً أو هامشياً أو مفيداً وإبداعيّاً، لا يقاوم في شيء النظام السائد، ويقاوم بشـدة أي تغيير أو خروج عليه بلا تأمل أو تفكير في فائدة وأهمية التغيير أو أضرار وعواقب الخضوع والالتزام.

لقـد انتظمت أنفاسـه ودقات قلبه وإيقـاع خطواته، وعاداتـه اليومية الفردية المنتظمة حول مشي الهويني من غير تعديل مهما كان وعلى مدى آلاف السـنين، الاستيقاظ في موعد محدّد، الطقـوس الدينية والإفطار والذهاب إلى العمل والغداء والعشـاء والسهر والنوم، لا يمكن مخالفتها أو تغييرهـا لأي سـبب وتحت أي ظـرف. إذا جاء موعد الطعـام يجب أن يوضـع الطعام ويتناولـه، لا يقبل ذلك تأجيلاً أو اسـتثناء، وفي ذلك يرتب ويحدّد عمله ومواعيده وتوقيت حياته وعلاقاته.

هكذا نشـأت منظومة العدل والأمن والشجاعة والكرم والأسـواق والمـوارد، لكنَّها منظومة لا تحميها تشـكيلات متفرغـة ومنظمة من المقاتلين، ليس سـوى عدد محدود من الحراس والفرسـان تسـندهم عند الحاجة قوات أكثر تتجمع على عجل من أشـخاص هم مشـغولون أساساً في

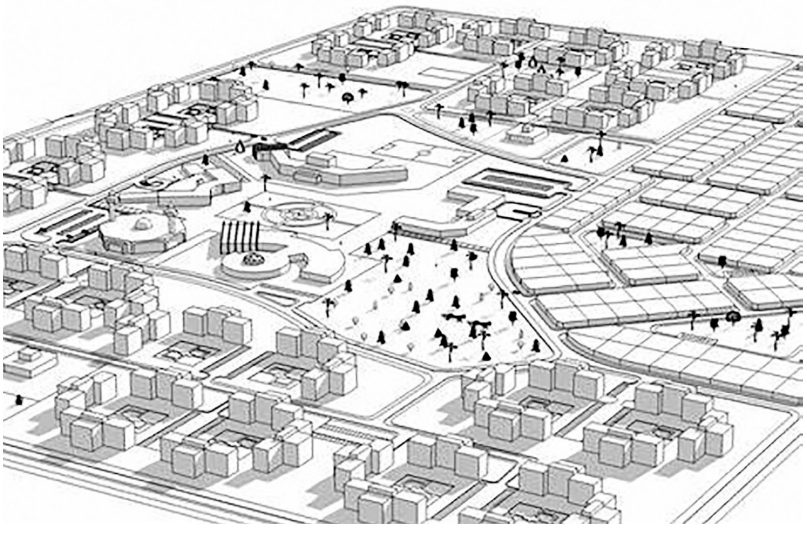

حياتهم اليومية.

وهنا تنشأ معادلة دقيقة وتوازن صعب بين الموارد والوفرة والقوة والمصالح، وبرغم تعقيداته ومتوالياته، فإنَّها محكومة بذاكرة مشي الهوينى. الذاكرة هي الضمان الوحيد لهذه المنظومة؛ أن تتذكر أنَّك تمشي الهوينى، لا تستطيع الهرب، كيف لا يهاجمك الأعداء والجائعون واللصوص والغرباء؟ كيف ترد الأعداء والحاسدين؟ يقول الشاعر "نعمان بياليك" في قصة شعرية رمزية عندما هاجم مقاتلون القرية، وقالوا له: اهرب، فقال: مثلي لا يستطيع الهرب، بقري علمني أن أمشي الهوينى.

هكذا يمكن ببساطة وصف تشكيل نشأة المدن وتخطيطها والقرى بأنَّه مشي الإنسان من بيته إلى عمله وعودته إلى البيت في أمان وسهولة وزمن معقول. الأحياء في المدن هي المحيط الحيوي من المساكن والمدارس والحدائق والأسواق والمكتبات والخدمات الأساسية في فضاء من المشي على القدمين في حدود عشر دقائق، فالتجربة الإنسانية في المدن أن الإنسان يفكر في المشي تلقائياً إذا كان يحتاج من خمس إلى عشر دقائق، وهي مسافة تقدر في المشي المتوسط من400 – 800 متر.

المدينة إذن أو الحي أن يكون في مقدور الأطفال أن يذهبوا إلى مدارسهم مشياً على الأقدام ويعودوا إلى بيوتهم في أمان وفي مدة زمنية لا تتجاوز عشر دقائق. إنَّ عشر دقائق من المشي في الحي تعني إمكانية تخطيط حي أو بلدة أو مدينة صغيرة يقيم فيها عشرون ألف إنسان. عشر دقائق من المشي تساوي ثمانمائة متر تقريباً. وهذا يعني إمكانية مساحة تساوي مليونين ونصف مليون متر مربع، بافتراض أنَّ الحي مساحة أو دائرة نصف قطرها 800 متر، وإذا خُصّص للفرد في المدينة فضاء قدره مائة متر مربع، فنتحدث عن 20 إلى 25 ألف نسمة في مقدورهم أن يذهبوا إلى المدارس والأسواق والمرافق الرئيسة واليومية؛ مثل( الحديقة والسوق والمعبد والمكتبة والنادي، ومحطة النقل العام...) ويعودوا إلى بيوتهم مشياً على الأقدام، وإذا لم يكن عمل المقيم في الحي نفسه يجب أن يكون محطة للنقل العام تمكنه من الوصول في حدود عشرين إلى ثلاثين دقيقة. وهكذا يمكن تخيل تشكيل وتخطيط القرى والمراكز والأسواق والخدمات التي تنتظمها.

لنتخيل أن إدارات المدن قرّرت تخطيط الأحياء والمدن والمرافق على أساس أن يمشي الأطفال إلى مدارسهم

ويعودوا إليها، وأن يمشي البالغون إلى أعمالهم ويعودوا أو على الأقل أن يمشوا إلى محطة النقل العام التي تمكنهم من الوصول إلى أعمالهم.

نتحدث عن أرصفة آمنة وملائمة للمشي لا تقتحمها سيارات، وأحياء وشوارع وطرق وممرات تمكن جميع الناس بمن فيهم الأطفال وكبار السن والمعوقين من المشي في أمان، ومدرسة في كل حي. سوف تختفي مصالح وأساليب حياة تشكلت بعيداً عن هذه الحقيقة البسيطة، ففي الأردن يذهب كل يوم إلى المدارس مليونا طالب وطالبة ويعودون إلى بيوتهم، معظمهم يستخدمون وسائل النقل العام أو الخاصة، وهي عملية لوجستية معقدة تنطوي على جهود هائلة وهدر كبير في الطاقة والأوقات، وتتسبب في الزحام والتلوث والتوتر وحوادث المرور، كما نشأت مصالح وطبقات قائمة على هذه العلاقة غير الصحية بين الإنسان والمكان! لنتخيل الوفر الممكن تحقيقه في الوقت والمال والطاقة والبيئة والهدوء عندما تقوم الحياة اليومية والأساسية على المشي.

ينشأ التكوين الاجتماعي حول هذه المنظومة؛ فالقيادات الاجتماعية التي تنشط أو تظهر تلقائياً حول الخدمات البلدية والأساسية والأسواق والتجارة والأعمال والأنشطة الثقافية والاجتماعية في الحي أو البلدة أو المدينة تكون هي نواة القيادات المركزية في التشريع والنقابات والاتحادات التجارية والرياضية ومنظمات المجتمع المدني.

نتحدث بطبيعة الحال عن قيادات اجتماعية جديدة، معلمين ومهندسين وأطباء ومحامين ونواب وأعيان ووزراء جدد، وأسواق جديدة وسلع ومنتجات جديدة. سوف تتبخر كثير من الأسواق والوكالات التجارية القائمة على أسلوب حياة مختلف، وبطبيعة الحال تنشأ صراعات وتفاعلات جديدة وقواعد جديدة للتنافس والتداول.

لنتخيل متوالية التشكّلات الاجتماعية التي تنشأ حول المشي، ففي مشي الأطفال معاً إلى المدارس تنشأ الصداقات والفرق الرياضية والثقافية، والمعرفة الدائمة والراسخة للناس ببعضهم بعضاً، ويمكن بذلك بناء شراكات في الحياة والأسر والعمل قائمة على معرفة قوية وعميقة للناس ببعضهم البعض، وسوف يكون في مقدور أهل الحي معرفة بعضهم بعضاً والحوار والجدل في شؤون حياتهم كالتعليم والصحة والخدمات والثقافة والترفيه، وترشيد الانتخابات البلدية والنقابية والنيابية لتكون قائمةً على معرفة وتجربة حقيقية مع المرشحين والتيارات، وتنشأ بتلقائية قيادات اجتماعية معروفة جيداً للناس من خلال دورها الاجتماعي والثقافي.

وعندما يكبر الأطفال الذين نشأوا في الحي نفسه أو في المحيط الذي يعرفونه ويعرف بعضهم بعضاً، فيه تتشكل خبرات اجتماعية متراكمة وراسخة ومعروفة أيضاً.

ويمكن كذلك تفعيل وترشيد الإنفاق والعمل العام الموجه للفقراء والمحتاجين والمرضى والمعوقين وكبار السن، لأنَّ المعرفة العملية واليومية بالناس تمكن الإدارة الاجتماعية على مستوى المدينة والحكومة المركزية من توجيه الإنفاق والعمل ضمن وجهة صحيحة وعادلة، ومن المعروف في الأردن أنَّه يجري إنفاق مبالغ كبيرة من الميزانيات العامة والتبرعات والمنح الدولية لأجل مواجهة الفقر لكن نسبة الإنجاز الحقيقي والفائدة لا تستحق أكثر من 20 في المائة من الأموال التي أُنفقت بالفعل، إذ يذهب معظمها بعيداً عن الاحتياجات والأولويات الحقيقية بسبب غياب المعرفة والإحاطة وإمكانية الفساد والتضليل في العمل، فيظلّ الفقراء فقراء، وتنشأ طبقة طفيلية من أثرياء العمل الاجتماعي الوهمي.

إنَّ السياسة والاجتماع هي (الناس الذين يعرفون بعضهم بعضاً ويفكرون معاً لإدارة وتحسين حياتهم)، وإنَّ معرفة الناس بعضهم هي( أطفال ورجال ونساء يعيشون معاً على نحو يومي ومألوف في المدارس والأسواق والمرافق والأندية)، وبكلمة: فإنَّ ذلك كله "مشي الهوينى"!.

الروائي هزاع البراري

# اغترابُ الذاتِ وقلقُ السؤال الوجودي في رواية"البحر الأسود المتوسط" للروائي هزاع البراري

سعيد بوعيطة*

قبل أن نلج العوالم النصية لرواية" البحر الأسود المتوسط" للروائي الأردني هزاع البراري[1]، تستوقفنا العتبة الرئيسة/ عنوان الرواية التي تشي بأنَّ دلالة هذا الأخير عبارة عن نواة النص العام/ الرواية، التي تتناسل وتتشكّل من خلالها باقي الأحداث السردية. إنَّها بمثابة ذلك المولد السردي/ narration géné-rateur du، سواء على مستوى المعجم أو الدلالة. مما يجعل الدال" البحر الأسود المتوسط " (خاصة على مستوى صفة اللون/ السواد)، يحضر بقوة على طول المسار السردي للرواية. مما يجعل المتلقي يصطدم بسؤال جوهري مفاده: لماذا تم استبدال كلمة أسود بأبيض؟ ما الدلالات الممكنة التي يحملها هذا السواد؟

* ناقد وباحث مغربي

**السوادُ ودلالاته الممكنة**

لــن تتبدى إجابــة هذا الســؤال للمتلقي إلا بعد قراءة الصفحــات الأخيرة من الروايــة. لهذا؛ فإنَّ ما يميز صفة الســواد في العنوان، كونها لا تمارس إكراها أدبيــاً يصادر حرية فعل القــراءة و التلقي، كما أنَّها لا توغــل في الغموض الدلالي الــذي يقذف بالمتلقي بعيــداً عن مرافــئ مراميه ومعانيه، بقــدر ما تبقى هذه الصفة، الكلمة المفتاح التي تبوح بها الشخصية الروائيــة جهرةً على طول المســار السردي للرواية. كما أنَّ مكوّنات معجم النص السردي للرواية، ينتمي إلى المجــال اللغوي الــذي يؤشر على هذا الســواد الدال عــلى حالة الاغتراب والضياع والتمزق النفسي والوجودي لشــخصيات الرواية. مــما يجعل الذات الساردة (الشخصيات)المغتربة على المستوى النفسي والجغرافي، محاصرة بالعزلة والضياع والوحدة وعدم الانتماء وفقــدان الثقة والإحســاس بالقلق النفسي والوجودي الذي يلازمها(2). وهذا ما تبرزه شــواهد كثــيرة من المقاطــع السرديــة (الحــوارات الذاتية/ المونولوج والثنائية، والمشــاهد الوصفية) التي تلقي الضوء على حالة الاغــتراب التام. فقد هيمنت على الحقــل المعجمي المفــردات التالية:(الفراغ، الضياع، الغربة، التيه، اللامكان، اللازمــان، الرحيل، الهروب، الحرب، الفراق، المــوت، العزلة....الخ). وهذا الحقل المعجمــي بدوره يســهم في بناء حقــل دلالي مؤكداً بدوره الشعور بالغربة والضياع.

ترافق هذا المعجم مجموعة من الأفعال من قبيل: ( تضيع، انســحقت، نرحل، نهاجر، يــذوب، يهرب، يمــوت،.. ). لقــد هيمن هذا المعجــم وهذه الدلالة على مســتويات التلفظ السردي لشخصيات الرواية التي تسرد عن نفســها أو عن غيرها من الشخصيات الأخرى. فهــل من نصٍّ اغترابي أكثر مــن نصِّ رواية" البحر الأسود المتوسط"؟

**اغترابُ الذات والرؤيا السوداوية للعالم**

جاءت مظاهر اغتراب الذات الســاردة مبثوثة في ثنايــا هذا النص الروائي كما هي مبثوثة في شــواطئ وفي أعماق هذا البحر المتوسط. لتبقى حالة الاغتراب النفسي والوجودي سمة هي الأهم في هذه الرواية. فقد بلغ أقصاه في انعدام الشعور بمغزى الحياة(مما قاد بعض شخصيات الرواية إلى الانتحار/ جد شخصية رشا بألمانيا). يقول السارد/ شخصية رشا في الصفحة: 215" كلــما تخيلته وهو يمســك بحقنة الموت بيده التي لا تعرف التردد، تاركاً لجسده الذي رسمت عليه الأمكنــة البعيدة ذكرياتها الحزينــة، أن يتمدّد مثل ملك من أسرة فرعونية تسكنها الآلهة، ويترك للموت أن يــسري في جســمه بطيئاً متمهــلاً". وما صاحب شخصيات أخرى من مظاهر القلق والأرق والاكتئاب والضيــاع والاضطراب. شــأن شــخصية أبي حذيفة المثقل الذاكرة بصور الفقد والموت. يقول الســارد في الصفحة: 227" أبو حذيفــة عاد من - مارون الراس - شــخصاً آخر، لم يعد هو نفسه أبا حذيفة القديم، مــات مع نمر وطمرت جثته في تلــك الحفرة، أمَّا أبو حذيفة، الذي وصل إلى - صور - فقد كان مكســور القلــب، ومفتت القوى، اســتوطنه حــزن لا تمحوه الأيام". أو الشــعور بالوحدة التامة، شــأن شــخصية وليام. يقول الســارد/ شــخصية وليام من خلال هذا

المونولـوج في الصفحـة: 143" كانت رسـائل جدي رحـال هي ذاك الخيط الواهن، وأنا معلق في الفراغ، القمـة بعيدة ومسـكونة بالضباب، والقاع سـحيق تتجول فيه الضواري والنهايات الحتمية. أكثر من مرة كنت أصحو من النوم مفزوعاً وأنا أسقط في الهاوية". لهـذا، جـاءت شـخصيات الرواية (شـخصية كريم، شخصية وليام، شخصية رشا، شخصية الجد، شخصية فيرا، شخصية لطفي، شخصية رحال (الأب)، شخصية أبي حذيفة، شخصية وليام) معبّرة عن هذا المعنى، في سياق ذاتي لمعاناة كل شخصية من شخصيات الرواية. بهذا؛ اسـتطاع الـروائي هزاع الـبراري، تقديم ذات/ ذوات (شخصيات) مغتربة روحياً ووجودياً من خلال مشـاهد سردية(الحوار والوصف) معـبّرة عن ذلك، بواسطة خطٍّ سرديٍّ، تتدفق من خلاله مرارة المعاناة الذاتية والوجودية. وتتشـابك هذه الدلالة في نسيج النص السردي، لتُفصح عن معاناة نفسـية مسـتمرة ورؤية سـوداوية للعالم والحياة/ الوجود. لكن، وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ شـخصيات الرواية، تسـعى في الوقت ذاته للبحث عن عوالم جديد تحيا فيها، بعيداً عن هذا السواد، ومعاندة الذات والوجود. سواء من خلال بنـاء علاقات ثنائية جديدة (شـخصية كريم/ شخصية رشا، شخصية كريم/ شخصية وليام، شخصية رشا/ شخصية الجد)، أو من خلال تجاوز ما ترسب في ذاكرة كل شـخصية من فواجع ومواجع وانكسارات (شـخصية أبي حذيفـة، شـخصية الجـد، شـخصية لطفي). لكـن على الرغم من محـاول التجاوز، فإنَّ حالة الاغتراب الذاتي، وقلق السؤال الوجودي، يظلان ملازمين لشخصيات الرواية.

**اغترابُ الذات وقلقُ السؤال الوجودي**

هكـذا يطرح هـذا النصُّ الـروائيُّ حالـةَ اغترابٍ وجودي واضحة. تحياها كل شخصية بكلّ تفاصيلها، باعتبارها ظاهرةً نفسـيّة واجتماعيـة. تتصدع فيها ذات الفرد بسبب عدم تواؤمها مع المجتمع أو العالم المحيط، أو بسـبب ما ترسب في الذاكرة من مواجع الماضي(شـخصية الأب/ (شـخصية رشا)، شخصية أبي حذيفة). حيث لا يقتصر الاغتراب هنا على الانفصال عـن البشر الآخرين فقط، بل يتجـاوزه إلى الاغتراب عن الذات أو الكون(شـخصية كريم، شخصية وليام، شخصية رشـا). يقول السارد/ شخصية رشا في حوار مع شخصية كريم:" - لا... لا تنفد خياراتك، لكنّك لم تتعلم من تجاربك السابقة سوى الهرب، أنت تهرب، يفزعك الاسـتقرار" ص: 27. فعـلى الرغم من تعدد حالات اغتراب الشـخصيات، لا سـيّما على مسـتوى الانفصال الحتميّ والمعرفيّ لكيانات أو عناصر معينة في واقع الحياة، والانتقال الذي يعني التخلي عن حقّ من الحقـوق التعاقدية، وكذا الموضوعية التي تعني وعي الفرد بوجود الآخرين واعتبارهم شـيئاً مستقلاً عن نفسه، فإنَّ السؤال الوجودي يبقى الهاجس الذي يؤرق جلَّ شـخصيات الرواية بشكل بارز. يبرز ذلك من خلال الحوار بين شخصية كريم وشخصية لطفي في الصفحة: 31، 32: "وجدت كريم وقد بدأ يتشقق، شروخ عميقة تسـكن كلماته، لم يستقر، لقد دفعتنا الطفولـة القلقة إلى أفكار لم ندرك كنهها الحقيقي في ذلك العمر، لكن الوعي شـقاء، كلما اتسـع غرقنا في شتات الأسئلة:

- لكنّك تعرف من أنت؟ أنت كومة من الأسئلة.

- قرأت في الفلسفة والعلوم التطبيقية والفنون، والتاريخ والأساطير والميثولوجيات وفي الأدب، قرأت وقرأت، نعم تغيرت، فتنت بالأسئلة ولم أفتن بجواب، من الصعب أن أكون في صندوق، أنا مثل أمواج هذا المتوسط، أركض في كل الاتجاهات ولا أتوقف.

- الأمواج التي تكره الوصول إلى الشاطئ".

هيمنت هذه الأسئلة الوجودية وغيرها، على طول المسار السردي للرواية. مما يجعل القارئ يحسُّ بأنَّ الشخصيات تعيش اشتعالاتٍ ذاتية. تكشف عن رؤيا ملتبسة، انتظمت الكلمات لصياغتها، وبينت طبيعتها الانفعالية التي صدرت عن تجربة حياتية (تجربة كل شخصية من شخصيات الرواية)، عنوانها الضياع، والغربة، وتصدع الذات. لتشكّل هذه الرؤيا مركز إشعاع مهم في هذا النص الروائي. يشي بوجود رؤيا مسبقة واضحة الملامح في وجدان الشخصيات (الروائي الضمني). تمكن الروائي من خلالها بناء عوالم سردية وفق نسق إبداعي خاص. يتّسق مع هذه الرؤيا، ويحاول في الوقت نفسه الوصول بها إلى المتلقي. ليشكّل قلق السؤال الوجودي الملازم لشخصات الرواية، تلك القيمة المهيمنة في الرواية، إذا استعرنا العبارة من اللساني "رومان جاكبسون"(3). مما يكشف عن حالة من الخلخلة، تعاني منها كل شخصية في علاقتها مع نفسها ومع غيرها من الشخصيات، بعدما فقدت قدرتها على الانسجام مع نفسها ومع العالم المحيط بها. مما جعلها تنتقل من قلق السؤال الوجودي، إلى فعل البوح والنزف بالكلمات. لمواجهة المتلقي بخطاب سردي قادر على حمل حالتها الشعورية وتعريّة الواقع من

زيفه، وخداعه. كما في هذا المقطع السردي الذي ينقل الحالة النفسية لشخصية أبي حذيفة التي عاشت أحداث الحرب الرهيبة: "نعم، ولكن ليس في جسدي، لقد أصابني عطب كبير في مشاعري، أفكاري، تصوراتي، صرت معاقاً في أعماقي وقناعاتي، هدير الطائرات الحربية يغرس الرعب قبل أن ينثر الموت في كل مكان، مدفعية طويلة المدى مثل مطر لا ينقطع، طائرات عمودية تنزل الجنود المدججين بكل أدوات الفناء في التلال القريبة" ص: 77، 78.

لهذا؛ فإنَّ تجاوز البعد المادي إلى البعد النفسي والوجودي (حالة شخصية أبي حذيفة ومخلفات الحرب عليها)، يجعل تجربته شبيهة إلى حدّ كبير بما عاشه الشاعر القديم من إحساس بالألم، وكذا الشعور بالخذلان، وضياع للديار، ممّا جعل ذلك

الصوت الشـعري القديم قادراً على اسـتيعاب تلك التجربة الإنسـانية والبـوح بها في الزمـن المعاصر. ولمّا كان السرد أحد أبرز وسـائل الكشـف عن خبايا الـذات، وجدلية الأنا والآخر في العصر الحديث؛ فإنَّ الأبعاد النفسية، والسوسيولوجية، تُعدُّ وسيلةً مهمةً لفهـم طبيعة الذات في حوارهـا المعلن والخفي مع ذاتهـا ومع الآخر، وما تحملـه هذه العلاقة من تأزم يزيد الذات سعةً دون أن يلغيها. لعلّ هذا ما يجعل اكتشاف وظائفية الشـخصية السردية في هذا النص الـروائي، أمرا مهما في اكتناه أسرارها الذاتية، بوصفها نقطة انبعاث لرؤى سردية سـوداوية. صيغت بلغة العاطفة وتحولات النفـس الفاعلة، انطلاقاً من دور الرواية (الكتابة عامة) في معرفة الحقيقة. كما تجلّى واضحاً في قول السـارد/ شخصية لطفي في الصفحة: 234" أريد أن أكتب عن قسوة الحرب لا عن الحرب نفسـها، صدقني لا أسـتطيع أن أكتـب حرفاً واحداً الآن، لأنَّ الفوضى في داخلي كبيرة ومعقدة(...) لا أحد يمكـن أن يفهم كلماتي كما تحسـها أنت، بي رغبة في البوح دون ضوابط الكتابة الروائية، فالرواية مؤجلة، لكنـي أريـد أن أقول لـك إنَّ هذا، إنَّ هـذا الدمار يلاحقني".

وإذا كان السـارد(الروائي الضمنـي) يتّخـذُ كلا من الحدس والتخييل وسـيلة مهمـة للمعرفة، فإنَّها تشـكّل في هذا النص الـروائي، أبرز سـمات حداثة الرؤيا السردية، أو ما يمكن تسميته السردية الذاتية. إلا أنَّ مـضي الذات السـاردة/ الشـخصية في قلقها، يقودها إلى طرح الأسـئلة المقلقة على الدوام. ليجد المتلقي نفسـه مرغماً على مشـاركة السارد (الروائي الضمنـي) في فك شـيفرات واقع شرق هـذا البحر الأسود المتوسط وتفسـير تناقضاته. ذلك أنَّ الإنسان لا يهتم بطرح الأسـئلة الوجودية عندما يسير نشاطه التلقائي بشـكل عادي، أو عندما تسير الحياة بشكل طبيعـي. لكن عندما تفقد الـذات مبررات وجودها أو تشـعر بوجود اختـلال بدورهـا الوظيفي ضمن الكيـان الذي تحيـا فيـه، فإنّها سرعان ما تشـتعل الأسئلة في نفسـها معلنة عن حالة صراع مع الذات ومـع الواقع. فإذا عدنا إلى عنـوان الرواية الذي يمدُّ المتلقي بفتيل تفكيك خيوط البناء السردي للرواية، نجـده يحمل في طياتـه المعجمية رمـوزاً ما، تضيئ للمتلقي أحداث الرواية ووقائعها. فقد اعتمد ساردُ الرواية منذ الصفحات الأولى صيغةَ السـؤال الذي يتكـرّر في أكـثر من مقطع سردي(خاصـةً من خلال صيغـة الحوار الذاتي أو الثنـائي). كما تجلّى في أغلب صفحات الروايـة، نذكر من بينها:( 31، 36، 48، 52، 53، 69، 112، 114، 211، 232،...الخ). تحمل هذه الأسئلة دلالة وجودية، كما تحيل على رغبة التجاوز التي لا تقبل الرد أو الاعتراض. وهنا، يتجلّى مسـعى الشـخصية الروائية ورغبتهـا في الخلاص من عوالمها الاغترابية، من خلال عملية البوح(صيغة المونولوج). ولهـذا؛ من الطبيعي أن يُنسـب هذا البوح/الخلاص إلى ضمير المتكلم( الأنا/ الذات الساردة). لأنّ السارد/ الشخصية ينتمي إلى عالم الشرق (شرق البحر الأبيض المتوسط) المكبل بمختلف العادات والتقاليد والممزق بمختلـف الصراعـات السياسـية (فلسـطين، لبنان، سـوريا)، والعرقية والاجتماعيـة والفكرية والعقدية (شخصية أبي حذيفة وتحوّلات مواقفها ورؤاها) التي

خلخلت تلك العلاقة الطبيعية للإنسان، ودفعت بها إلى عــوالم الاغتراب مع أول دفقــة وعي لماهية تلك العلاقــات المرفوضة والرافضــة التي يتوق كل منهما إلى نفسه وإلى الآخر.

مــن هــذا المنطلــق، اســتعان الســارد بالذاكرة باعتبارها وســيلةً للكينونة، وشرط وجودها. يتماهى فيها ويتكامل معها (ذاكرة شــخصية الدكتور لطفي، ذاكــرة شــخصية الجد(جد شــخصية رشــا)، ذاكرة شخصية أبي حذيفة. وإذا كانت صيغة السؤال تحمل الحدة والقلق وما فيه من إصرار، فإنَّها تحمل كذلك قلق البحث عن الجــواب في زمن هذا الاغتراب. إلا أنَّ زمن تحقيق الجواب هو المســتقبل، والمســتقبل رهين الغيب، وجميع هــذه الدلالات الاغترابية التي تعيشــها شــخصيات الرواية كانت ســتضيع تماماً لو تحقّق الجواب. يقول الساردُ في هذا المقطع السردي: " في الصبــاح لم أجده في الصالة الصغيرة حيث تركته لينــام، ترك عــلى الكنبة بقايا نومٍ وقلــق، وكثيراً من الأفكار نســيها معلقة في المكان وغــاب، نظرت من الشباك المطل على ما يشبه حديقة ضيقة تفصل بين البنايات الســكنية الجرداء من مظاهر الحياة، حيث الهدوء الموحش ينشــب أظافــره في كل شيء، هكذا هي أحياء كوبنهاجن في هذا الوقت"، ص:93.

لهذا؛ فإنَّ إحساس شخصيات الرواية بالاحتراق الذي أودعه الســارد في هــذا النصِّ السردي، قد جاء محمّلاً بمرارة صراعات ذلك المجهول(البحر) في بعده السوداوي (البحر الأسود المتوسط)، وعذابات الذات المغرقــة في أحزانهــا وانكســاراتها، وموازنتها مع ما يخلفه هذا البحر من مآسي المهاجرين السريين أثناء عبورهــم نحو الضفة الأخــرى/ أوربا على يد مهربي البشر(شخصية أبي حذيفة). لذلك؛ فإنَّ إيقاع السرد، انســاق وراء معاناة مستمرة في هذا البحر (الهجرة السرية) وفي بر شرق المتوسط (الصراعات/الحروب) بنــوع من الديمومة التي يتــم توارثها من الجد إلى الحفيد؛ الجد (شخصية رحال)، الأب (شخصية كريم رحال)، الحفيد (شــخصية وليام كريــم رحال). مما جعل هــذه الرواية تحمــل بعداً وجودياً وفلســفياً للحياة والإنســان والكون. شأنها في ذلك شأن أعمال الروائي هزاع البراري الســابقة. خاصــةً رواية "تراب الغريب" ورواية "أعالي الخوف".

**الإحـــالات:**

1. الصفحات مأخوذة من: البراري(هزاع)البحر الأســود المتوســط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2024.
2. شــاكر عبد الحميــد، الغرابة، المفهوم وتجلياته في الأدب، سلســلة عالم المعرفة، العدد 384، يناير 2012، الكويت، ص: 43.
3. مجموعــة من الباحثين، نظرية المنهج الشــكلي، نصوص الشــكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1982، ص:77.

الشاعر العراقي حميد سعيد

# "من أوراق الموريسكي" للشاعر العراقي حميد سعيد

عِذاب الركابي*

النصُّ لهُ روحٌ وجسدٌ، عبرَ سبكٍ لغوي شديدِ المهارةِ والإثارةِ excitation والدهشة والمتعةِ، وللشاعر قدرةٌ فائقةٌ في المحافظةِ على المسافةِ في إيقاعاتٍ متعدّدةٍ، بين السرديّ والشعريّ الصوفيّ والرومانسيّ والذاتيّ معاً. والقصيدة التأمُّلية المثيرة في منتصفِ هذهِ المسافةِ.. كتابة ضدّ الكتابة، حيث النصّ يخلقُ قواعدَهُ الخاصّة بنفسهِ، إذ ثمة سيكولوجيا خبيئة وراء النصّ الشعريّ الراقي، وما يجمعُ كلّ ذلكَ لحظاتُ المعايشةِ الحقيقية. فالشاعرُ حميد سعيد بهذا الخليطِ البديع، الواقعيّ والرمزيّ والصوفيّ والذاتيّ، هو صائدُ استعاراتٍ، جديدةٍ مؤثرةٍ وغير مسبوقة، لهوُها مُتقنٌ، كهرباء أصابع، ذروة اللذةِ، شاعرٌ شَغلهُ المجازُ المنتج أبداً.

* كاتب وباحث عراقي

" من أوراق الموريسكي"(*) حيث القصيدة لحظة اكتشافٍ، بإيقاعٍ سرديّ دراميّ، وهي تفصحُ عن حدثٍ في الزمن، وهيَ تنغمُ الحدثَ، لتصبح كلّ كلمةٍ، وعبارةٍ، وجملةٍ، في القصيدة فكرةً. وتُقـرأ القصيدة بصفتها تجربةً ذاتيـةً وميتافيزيقية في آنٍ، ونوعـاً مـن الكتابة في الحلم، أداتها الجسـدُ بكاملهِ، والكلماتُ السـحرية طالعة مـن جسـمهِ، وفتافيت روحهِ المبعثرة، وهو يحضّر لها، متحدياً استفزاز بياضِ الورق.

**الشاعرُ حميد سعيد هوَ نصّهُ!!**

هو ونصّـهُ متماهيانِ، يتبـادلان الذكاءَ وليـسَ ": النصَّ أذكى من كاتبه" – كما يُنظّر " إمبرتو إيكو"، لأنَّهُ عندَ شـاعرنا رحلـة جوانيّة فائقة التأثير..!! وحميد سـعيد والشـعرُ لغة تتحدث!!. " من أوراق الموريسكي" نبوءة بما حدثَ، ويحدثُ، وسـيحدث..!! والقصيدة تشـبهُ الحياة التي نعيشها، شرارة جذبٍ بين الإيقاع المميّز، وسموّ المعنى وعمقه، لحظة تجاوز الذات إلى ماوراء الذات، والشـاعرُ يكتبُ لغة بعدَ الكلماتِ، لغة بها يحيا، ويُولد ويتجدّدُ أو يموتُ ويخلدُ.

**اللغةُ في الشعر الاستثنائي**

في قصيدة " من أوراق الموريسـكي" النصّ الشعريّ مرانٌ للتأمّل النشـوان، حيث اللغة في الشـعر الاسـتثنائيّ تعملُ على تجسـيد الفكرة بأرقى الألفاظِ والمعاني، وحيث شـجرُ الغربة يعطي ثمراً عبقاً يانعاً، تزهو بهِ تربة الروح، وهي من كرسـتالٍ، وحيث هواجسُ الوحدة، بعمق زرقةِ أمواج بحارٍ تتسيّد الطبيعة من دون ضفاف ونوارسَ وقاطنين.

والشـاعرُ الكبيرُ وحيدٌ مع اللغة في لحظةِ عشـقٍ وتماهٍ مع جرسِـها، يصارعُها لتكتبهُ صوتاً متفـرداً، حيث تبلغُ قوة الإحسـاس منتهاها.. فتأتي القصيدة مانحـة، مؤثرة، تأملية، وبتعبـير "كارلوس فوينتس": "تفتـحُ لكَ ذراعيها، فإذا بكَ في عالمٍ بديع".. ولا لغة يُمكنُ أن تتميزَ بها القصيدة سـوى لغةِ القرنفل، بكل ما في لونهِ من عطرٍ وحزنٍ وسكون:

**"ليسَ لي لغة**
**أستطيعُ بها وصفَ ما كانْ**
**أو ما أشاهدهُ.. حينَ أغدو وحيداً**
**مُذ تركتُ القرنفلَ مكتئباً**
**صرتُ شيخاً**
**وما عدتُ أفتح نافذةً يدخلُ النومُ منها**
**إلى حيث كنتُ أقيم"** ص66.

وإذا كان " الشـعرُ ينبـعُ مـن شيءٍ أعمـق" – كما يقولُ الشـاعرُ السـاردُ "بورخيس"، ليـسَ أمامَ الذاكـرةِ – الزمن المستعاد للشاعر إلاّ التضرع لآلهةِ النسيان، لسماع وصاياها، إذ لا طاقـة للـروح على آلام حزنٍ آخر، يوجـع القلبَ، حين يزدادُ عددُ غياب الأحبّةِ شخصاً آخرَ، يُكتبُ اسمه في صفحة الوفيات، وفي صحف الصباح، ولا فضلَ للنسيان إلا الاحتفاظ بقوافي القصيدة – شـاطيء الأمان- للشاعر الموريسكي وقته، وليسَ سوى رحيلٍ وقلقٍ واللامكان:

**"وأحاولُ**
**أن لا أرى صفحاتِ الوفيات.. في صحفِ الصباح**
**كيْ لا أضيف إلى معجمِ الراحلين.. أسماء أخرى**
**وأنسى ضجيجَ المدينة.. كي لا تضيع القصيدة"**ص68.

وحيـث لا قيـودَ على تخيّـل العواطفِ، لم يبـقَ أمامَ الشـاعر من متعةٍ ولـذةٍ ترطب لحمَ الروح، سـوى التخيّلِ، شرط حكايته، وهي بحروفٍ مـن زمرّدِ اللحظة، وهوَ المغرمُ الأمثلُ في البلاد التي لم تعُد تشبه البلادَ، وعدسة العين تحتفظ بهـا طازجة الملامح، فقط ليفوز ببيـتٍ غادرهُ بهاؤهُ الحياتي، وتثاءبَ سـقفهُ مللاً، ليسلمَ نفسَهُ لقسوةِ الرياح، وليسَ غير اللجوء لذاكرة النسيان:

**"في انتظار.. ما لم أكنْ أتذكرهُ**
**كنتُ أصغي إلى ما يُقالُ لهُ**
**لم أعُد أتذكر.. ماذا يُقالُ لهُ**

**ورأيت ما يُشبهُ البلاد التي تخيّلت**
**لمْ أتخيلْ بلاداً**
**وأسعى كما نملةٍ إلى بيتها.. أتخيّلُ بيتي**
**أحاولُ أن أتذكرَ ما كانَ في البيت**
**من كُتبٍ ولقىً وتماثيلَ**
**من صورٍ وخطوطٍ.. ومن شجرٍ**
**يوم كانت النخلةُ البابليةُ**
**تستبدلُ الرطبَ الجنيّ.. بضحكةِ جارتها الصاخبة"**ص69.

في " زمـن آخر للموريسـكي".. الكلمة في القصيدةِ رحمٌ لخصبٍ جديدٍ و" شكل القصيدة هو القصيدة كُلّها" – بتعبير أدونيس .. واللغة الشـعرية تبدو عملاً من أعمال السـحر، حيث تتداخلُ " أنا" الشـاعر و" الآخـر" وكلاهما رهينُ زمنٍ يقيم كرنفال للوحدة والاغتراب والانتظار..!

والقصيدة اسـتثناء الاسـتثناء، لعبة كلماتٍ، ومرانٌ على صوفية فعل ما حدثَ ويحدث، في نسـقٍ شعريّ، لعب فنّيّ غريزيّ، فيه الكلمـة مرآة الذات، وهي تميتُ الموتَ لتخلدَ، والشـاعرُ الرائي الأمثل وهو " يطـرقُ أبواب قصائده بهدوء الصوفيّ العاشق المحتشم" كما ترى "عالية ممدوح" .. يكتبُ القصيـدة أو تكتبهُ، يحكيها أو تحكيـه، وقد بدت تعويذةً، وهو الرائي والقديس والمشـعوذ في الوقتِ نفسـهِ: و" يصبحُ الشـاعرُ رائياً، بفعلِ تشويشٍ طويلٍ، واسعٍ ومدروس لجميع الحـواس، ينبغي أن يعرفَ جميعَ أشـكال الحُـبّ والمعاناة والجنون " من رسـالة رامبـو إلى الرائي بـول دميني" الآثار الكاملة( ص329).

**"من محبسيهِ**
**تجنبَ الزمنَ المراوغ.. وانتظار قصيدة أخرى**
**رأى.. ما لايرى الرائي**
**تعثرتِ المنازلُ بالمنازل.. والقوافلُ بالقوافل"**ص79.

ولمْ يبـقَ لقوافي القصيدة وهيَ الخليطُ من تعب الروح، وفتافيت الجسد إلاّ أن تتمرّدَ، في نقلةٍ نوعيةٍ مختلفةِ الإيقاع مـن مجرّد التعبير expression إلى الإيحاء allusion وهذا مصـدرُ الدهشـة والجـذب والجمال في نصّ حميد سـعيد الشعريّ، وتبقى مهمة القصيدة إعادة مدنٍ - حتى افتراضياً - غدت ذكرى، متاهةً، فوضى، وخراباً، والزمنُ انتظارُ الانتظار.

وحسـب تنظـير " إزرا باونـد " فـإنّ القصيدة " نوعٌ مـن الرياضة المُلهمة التي نقـفُ منها على معادلات"، وهي ترتّـبُ حروفَها على مقاسِ الهموم، وعلى إيقاع المرارة، وتجدُ في السـخرية المرّة منطاد النجاة، واسـتراحة الذات الشاعرة، وهي في الوقتِ نفسـهِ انتقامُ من ذلك " الآخر" الذي يخون الأرضَ، وتكـذّبُ مـا تفيضُ بـه من أقوالٍ شـمسُ النهار في الوطن الداخل في الغياب:

**"رأى .. ما لايرى الرائي**
**القمامة تدّعي نسباً إلى ذات العماد**
**رأى.. ما لايرى الرائي**
**أما نسبوا الحرير الموصليّ .. وقد غدا أثراً**
**إلى شوكِ القتادْ؟**
**رأى.. ما لايرى الرائي**
**الجرادْ**
**أقامَ مأدبة.. ليأكل بعضهُ بعضاً**
**أيغدو ما رأى.. وطناً؟**
**ستقتربُ الظنون من الظنونْ**
**ويُعيد ما أهداهُ من قبل الجنون إلى الجنون"**ص85.

**القصيدةُ تكنيكٌ ورؤيةٌ وسؤال**

"من أوراق الموريسكي" والقصيدة ليستْ تكنيكاً فحسب، بلْ هي رؤية وسـؤال، وأعظم سؤال هو سؤالُ القصيدةِ بكل مافيـه من اسـتفزاز ويقظةٍ، وهي تعـافُ قوافيها وتعيدها بفسـفور حروفها إلى قريحـةِ "الفراهيـدي" والأجداد من العروضيين، حين ينبضُ قلب الذات الشـاعرة – كنهرٍ فتيّ – بالهموم والعذابات والأسرار الخفية، وجمر الانتظار.. والسؤال

في القصيدة السردية narrative يلدُ أسئلة، والكلماتُ بركانُ غضبٍ، وهي تستولي على حرارة أصابع الشاعر، أو وهي تدخلُ مستفزةً بياضَ الورق، ولا تبدو تعبيراً عن المشاعر، بلْ تخلص منها:

**"تقتربُ القصيدة البيضاءُ من أصابعي**
**تدخلُ أوراقي**
**كما الرياح في فضاء الشجر الثقيل**
**خلسةً**
**يقولُ لي.. اقتنصها**
**وقُلْ لها.. كلّ الذي تُريدُ أن تقولْ**
**لا تخفْ!**
**فليسَ من وشيجةٍ تجمعُ بينَ الخوفِ والقصيدةِ"**ص95.

**القصيدةُ سيرةُ الذات**

يقولُ " بول دي مان": " إنَّ الشاعرَ ينتقلُ عبرَ الذات إلى ما وراء الذات"..! والقصيدة عبرَ بوح الذاتِ المضني: " يُمكنُ أنْ تنجزَ مهمتَها الوطنية من دون أن ترتهنَ بالسياسي" – حسب تعبير الناقد د. حاتم الصكر..!! وفي " أحوال الموريسكي " سيرة الذات، وقد غدت بلا اسم، ولا أحد يُمكنُ أن يُحفظَ في ذاكرة الوقت وهي تعاني من صدأ النسيان.. والإيقاع السيريّ الأوتوبوغرافيّ autobiography ينحلُ ويضعفُ مع نحول وضعفِ خطى " الموريسكي" الغريب .. كان مواطناً وأصبح مواطناً مجازاً، والوطن كان وطناً بقدسيةِ السماءِ، وأصبح مكاناً افتراضياً، الوطن – اليوتوبيا .. ورحلَ "النخلُ " مُذ استوطنَ تربة البلاد الضياعُ والخرابُ، والشيء واللاشيء بلا قانون، وأجمل ما في البلاد يُباع، وقد كثُرَ المرابون والنخاسون.

**و" كلّ شيء باطل، وقبض ريح ..!!**
**حيثُ لا اسمَ لي**
**كنتُ أبحثُ عنّي**
**وعمّن أكادُ أطيعها.. بعدَ أن ضيعتني**

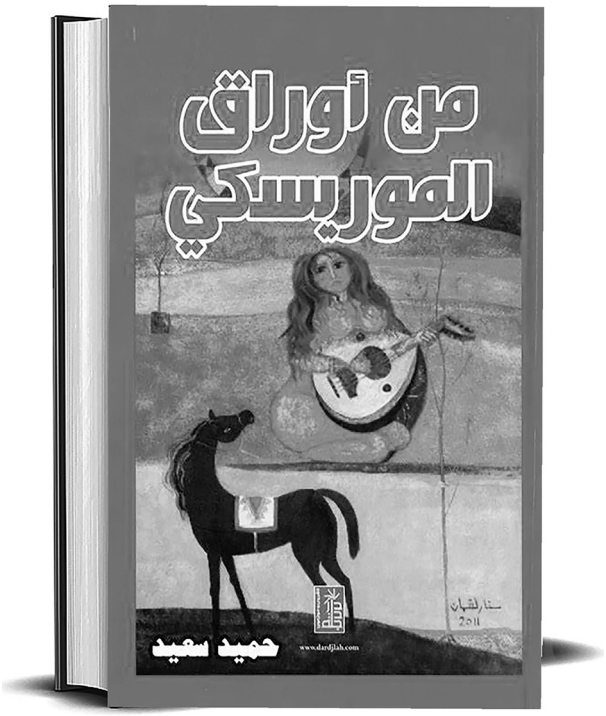


**وعن أثرٍ لاحَ لي أو توهمتهُ**
**وعثرتُ بما كنتُ أحسبهُ ظلها،**
**فجفتني**
**حيثُ لا اسمَ لي**
**سأقيمُ بلاداً كما في الأساطير**
**أخرجها من فضاءات ما كانَ**
**أطلقها..**
**فتكون بيني وبيني"** ص103.

وليسَ من مُعينٍ، والوقتُ يشحذ مخالبهُ وينسج مؤامراته، إلاّ القصيدة – التعويذة وهيَ مهارة كلماتٍ في لغةٍ تُحقّقُ الشفافية الروحية، واختراق ما يصعبُ اختراقه، والتعبير عما لا يمكنُ التعبير عنهُ، وفي لغةٍ تنافسُ لغة الطير في البوح، حيث للجرح لغة تعلوُ على لغةِ الطير والقصيدة معاً:

**"تمنيتُ لوْ تعلمتُ من لغةِ الطيرِ شيئاً**
**تحدثني عن بساتين بيض.. علقتُ بها**
**ونساء.."**ص108.

وليسَ لـ" الموريسكي" – الغريب من منقذٍ سوى الغناء في شـوقٍ جارحٍ لرؤية ما وراءَ الشبابيك، وإذا البلاد والشبابيك قدْ فقدت لونَها الفستقيّ، وتنازلت عن نسماتِها الربيعية إلى حجرٍ يتثاءب، وحارسٍ مريبٍ يُراقبُ رحيلَ البلاد، والشاعرُ – حميد سـعيد وهو يعيشُ محنة البلاد جرحاً غائراً، يستحضرُ ما قالهُ في لحظةِ حزنٍ "أوريست" لـ" جوبتير": " كلانا وحيدٌ، وقلقنا واحدٌ"..!!

**"ماذا أرى الآنَ؟**
**ما عادَ بي شغفٌ.. أنْ أرى ما وراءَ زجاج الشبابيك**
**أينَ الشبابيك؟.. قلتُ سأبحثُ عنها،**
**فأوقفني حجرٌ يتثاءبُ.. يتبعهُ حارسٌ صاخبٌ**
**فوقفتُ"** ص110.

**القصيدةُ ذاكرةُ الزمن الماضي والمستعاد**

والشـاعرُ كاهنٌ – عند ميخائيل نعيمة - لأنَّهُ يخدمُ إلهاً وثنياً هو الحقيقة، والجمال" – وهذا الكاهنُ في "دينٍ سريّ" – حسب " أوكتافيو باث".. والقصيدة هنا ذاكرة الزمن الماضي والمستعاد معاً، والشاعر لا يحبّ التسكعَ في الزمن بحثاً عمّا يُريـد، بل هو في مجراه وهو يحـصي ويعيشُ دقائقه، ويجدُ نفسـهُ جزءاً عاملاً فيهِ.. لا يتركُ الماضي على رفٍّ مترب قديم، بل يجعلُ منهُ حَكماً، ويتدخلُ في الحاضر الذي يبتدعُ قوانين جديـدة، لا علاقة لها بقوانين " حمورابي" العظيم.. والشـبهُ كبيرٌ بين ضياع بغداد وضيـاع الأندلس، والقادمُ مجهول، ولا يُنبيء بالآتي سوى ما يخطهُ الماء:

**"وأخطّ على الماء.. آخر ما كانَ عندي من القول**
**ليسَ سوى الماء.. مَنْ سيعود إليّ كما كان**
**يشركني في ارتحال مواسمهِ**
**ويُشاركني ما سأقرأ**
**كُنّا معاً ذات أندلسٍ**
**فهلّا نكونُ معاً**
**ذاتَ يوم؟"** ص115.

وصفَ " هوراس" في " الأوديسّـة" الشـعراء بأنَّهم أحبّ الناس لدى الآلهة، حيث منحوا موهبة الغناء بالقول: "لا لكي يطربوا نفوسَ الناس فحسـب، وإنَّما لكي يسـهروا على رعايةِ أخلاق البشر أيضاً"!!.

فالشاعرُ حميد سعيد لا يكتفي بالغناءِ الجارح، أو السهر على كتابٍ فسـتقيّ الحروف في رعاية أخلاق البشر وحسب، بلْ يعمل على اختراق الواقـع، ويوآخي بين المتباعدات، هوَ الشـاعرُ والكاهنُ معاً.. وقصيدتهُ فضاء حُلمي تأمّلي وصوفي في آنٍ: " أفيدُ من لغة الصوفيين، فهي لغة شعرية بامتياز" – على حدّ قوله..! وغاية الشـعر لديهِ خلقُ إحساساتٍ وأخيلةٍ جديدة ومثيرة.

وقصيدةُ حميد سعيد نسيجٌ وصوغ إنسانيّ كوني وهو: " يكتبُ قصيدته بطريقةٍ تعدّدية أو حوارية" كما يقولُ الناقد د. قيس كاظم الجنابي.. يتداخلُ فيها إيقاع الذاتِ الشـاعرة، وإيقاع العالم، لتُقرأ القصيدة أوركسترا.. ولوحة تشكيلية.

وهي قصيدةُ رؤيةٍ في المقام الأول، لحظةُ تفجير الكلماتِ لتوحي بما بعدَ الكلمات، طاقاتُ خيالٍ ليستْ محدودة.

يقولُ "فاليري": " فإذا سـألني أحدٌ، أو إذا تساءلَ أحدٌ، ماذا أردتَ أنْ أقـول؟ في قصيدةٍ معينةٍ، فإنَّني أجيبُ بأنّي لمْ أرد أن أقولَ شيئاً، بلْ أردتُ أنْ أفعلَ شيئاً"- الرؤية الإبداعية – ص32.

والشـاعرُ حميد سعيد قالَ شـيئاً وفعلَ شيئاً في الوقتِ نفسهِ..!!

**(*) "من أوراق الموريسـكي" – شـعر – حميد سـعيد – دار دجلة، عمان 2014.**

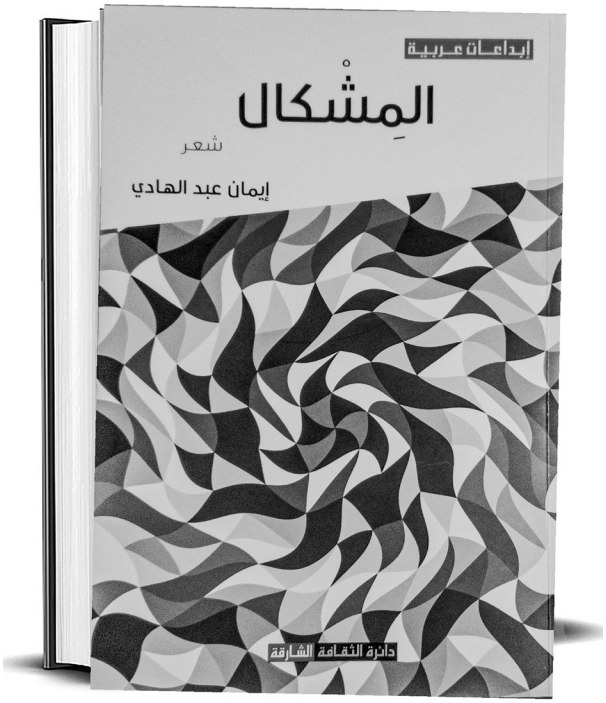


# تجلّياتُ الحنينِ في "المشكال" لإيمان عبد الهادي

مراد رفيق البياري*

"الحنين هو حين لا يستطيع الجسد أن يذهب إلى حيث تذهب الروح"

(دوستويفسكي، الجريمة والعقاب)

تروم هذه الدراسةُ الوقوف على ألفاظ الحنين ودلالاتها في ديوان "المشكال" لإيمان عبد الهادي؛ لتبيّن تجلياتها وأبعادها، ولا أعني بذلك الألفاظ التي تفيد معنى الحنين معجميًّا بل ما أعنيه هو البحث عن كل ما يدل على الحنين ويوحي إليه؛ فالمُنقب عن ذلك لدى الشاعرة يجده واضحًا جليًا في ديوانها، ولعلّ ذلك يتوافق مع طبيعة الشعراء بصورة عامة، ذلك أنّ الشاعر لا يكون شاعرًا إلا إذا صاحبه الشعور المتدفق والنظرة المليئة بالأحاسيس المرهفة.

* أكاديمي وباحث أردني

ولبيان ما سبق جاءت هذه الدراسة في محاور خمسة هي:

1. حنين من أجل الوصول
2. حنين وشوق
3. حنين للخلاص
4. حنين لكل جميل
5. نزفٌ وحنين.

**1.حنين من أجل الوصول**

تفتتح الشاعرة قصيدتها" البيت" بجملة دالة على اليأس والتعب" مشينا طريقاً طويلاً... تجاوزتُ نصفَ الثلاثين في خطواتي". لقد دلت هذه الجملة الافتتاحية للقصيدة على محاولة الشاعرة الوصول؛ إذ رغم مشيها الطويل لم تصل بعد إلى مرادها ومكانها الآمن الذي يشكّل لها المأوى والخلاص" ولم نصِلِ البيتَ بعدُ". فنراها ترفض المسير دون جدوى وتُؤثر البيت لِتكررَ طلبها بفعل الأمر"أعدني" أعِدني إلى البيتِ... أعِدني إلى البيتِ".

تشكّل لفظة "البيت" عندها علامةً دالةً في وجدانها على تعلقها بماضٍ ترغب في العودة إليه؛ لتضع الآخر لتحقيق هذه الرغبة أمام خيارين مستعملة صيغة الأمر في كل مرة، ففي الخيار الأول: وظفت فعل الأمر " أعدني" ثم لترتفع عندها حدة الطلب ليأتي الخيار الثاني أكثر انفعالًا مُمثلًا بالفعل المضارع المتصل بلام الأمر" أو فلتُعِدني إلى الكلماتِ"

**2.حنين وشوق**

تكمل الشاعرة دوال الحنين في قصيدتها " أميرة الخوارج" فتحشد لذلك ألفاظًا كثيرة تؤكد هذا الحنين مثل:" ستائرِ نافذتي، براويزِ عائلتي، غِطائي، مِلاءاتِ طاوِلتي، سريري، كُمُّ ردائِي، الأمِّ، الابنِ، الصّاحبِ، البيتِ، لا قطّةٌ في الفِناء".

لعلنا ندرك أنّ الشاعرة في جل قصائدها لم تعمد إلى الحنين مباشرة غير أنّ الناظر فيها يستطيع أن يكشف عن ذلك من ألفاظها الدالة على ذلك؛ فتوالي هذه الألفاظ وحشدها في قصيدة واحدة لا تتجاوز ثماني صفحات إشارة واضحة منها إلى حنينها وشوقها إلى الماضي وإلى أشياء أصبحت تفقدها، ولنا أن نشكِّل متوالية الحنين عندها كالآتي:

| | |
|---|---|
| ستائر شمسي | حاجتها إلى الغياب والاختفاء |
| براويز عائلتي | الفخر والاعتزاز بعائلتها الصغيرة |
| ملاءات طاولتي | الترتيب والنظام |
| سريري | الاستقرار |
| كمُّ ردائي | الكفاية |
| الأم، الابن، الصاحب | الدفء |
| قطة في الفناء | المؤانسة |

**3.حنين للخلاص**

وفي قصيدتها " أوقفتني اللغة" شكّلت القصيدة عندها محاولة الخلاص، فهي الباحثة عن مُنقذ ومخلّص وهي بذلك تحيل القارئ إلى ما تِحن إليه وتسعى للوصول إليه فنجدها تستنجد بالآخر وتراه الملاذ والأمان " ألوذُ باسمكَ في الأسماءِ محتمِلاً قلبي إليكَ". لقد اختارت الشاعرة اسمه من الأسماء جميعها لتأتي بعدها بلفظ الحنين صراحة " أنضجتُ الحنينَ... معي بئرٌ كيوسُفَ جذّابٌ، معي حذَرٌ بلا أصابعَ" فهي الحائرة الباحثة عن مأوىً ومكانٍ آمنينِ لها بعد أن أحاط بها الفراغ والوجع من كل جانب.

**" في قلبي فراغُ أبٍ، أمٍّ**
**وفي روحي علاماتٌ**
**أشَرْنَ للخلدِ، كان اللهُ يملؤها.. تأخذُني...**
**إلى الأُمومةِ أوجاعٌ وقافيةٌ ...**
**لم يبقَ إلّا حنينُ الحزنِ مكتملاً ".**

لتطلب من الآخر بفعل الأمر" تعال" حتى يخلصها من كل هذا " تعالَ... لم أخلُ منّي... الوجدُ يملؤني.... نُصِبُّ بحراً على

الماضي."

**4. حنين لكل جميل**

استطاعت الشاعرة في الجزء الذي عنونته بـ" وقوف العائلة" أن تحشد للقارئ مشاهدَ وألفاظًا عديدة دالة على الحنين ولنا أن نفصّل القول في ذلك كالآتي:

أولًا: في قصيدة "وراثة" تحنُّ الشاعرة إلى جدها جاعلة مصباحه هو الدال والدليل في حلكة الليل" ورِثتُ الضّوءَ عن مصباحِ جدّي.... لذلكَ حلكةٌ ستجيءُ بعدي" إنّ اقتران المصباح بلفظ "جدي" يشير إلى ذلك الحنين الذي يداخلها كلَّ حين، فقد جعلت كل ما هو عيان أمامها سببه ذلك الضوء الآتي من مصباح جدها.

ومن شدة حنينها لجدها فإنَّها لم تعر اهتمامًا لزيت المصباح الذي هو أساس الضوء ومصدره ذلك لأنّ أصابع جدها هي المضيئة للمصباح وليس الزيت" ولم يَكُ في سراجِ الضَّوءِ زيتٌ.... ولكنَّ الأصابع ذات وَقْد".

ثانيًا: رغم رحيل جداتها إلا أنَّهن تركن الإيمان في المكان "يرحلونَ، ولا يتركونَ سوى امرأةٍ مؤمنةْ" فجدتها حاضرة كالوردة " لا أراها سوى: وردةٍ لا تلِدْ". وها هي جدتها الثانية لشدة حنينها إليها تراها صامدة كانت كالجبال وهي كطعم المارشملو لجمالها " جدّتي الثّانيةْ... جدّتي الحجريّةُ مثلُ الجبالِ... وكالمارشميلّو كذلك: جدّتيَ الواهنةْ". لتتعالى عندها صيحات الحزن والحنين فتأتي على روحها بجملة الاستفهام وتسأل:" أينَ، أينَ... إلى أينَ يا روحَها... يا حمامةْ."

تعود مرة أخرى لذكر جدها وموته" جدّيَ المدنيُّ تلاها، ولكنّ أمي تقولُ... تلاها كما يتبعُ الخَرَزُ المنفلِتْ بعضه... كانَ يَشرَقُ بالموت، والموتُ وقتٌ كذلِك... ماتَ جدّي.. كذلكَ خطوتُهُ لم تعُد في الطّريقْ".

لتختم كل ذلك بأسئلة الحنين والحزن لمن رحلوا: " أينَ أذهبُ من كلِّ هذي المعاني... وأصواتُهم كيفَ أدفنُها... أخبروني إذا كانَ بالوسعِ دفنُ الأغاني."

ثالثًا: في قصيدتها " بالحمُّص والزيت" تتذكر الشاعرة ميلاد أخيها الأصغر، كيف لا وهي الفتاة الصغيرة التي تعشق ذلك الزمن وتتذكر الفرح. فقطعتان من الحلوى وكأس من الشاي تكفي لإسعادها" في الصّحنِ أمامي: قِطعتا حلوى وشايُ" وهي الفَرِحة بكل ذلك فكأس الشاي كان يغمرها بالفرح لذلك نجدها تلصقه بلفظ العيد لشدة سعادتها به" كُلُّنا نشربُ شايَ العيدِ، والمِخيالُ مُطلَقْ".

لقد وظفت الشاعرة في هذا المحور ألفاظًا على الرغم من بساطتها كشفت عن شدة الحنين والشوق إلى تلك الأيام "القصائد، أغاني الولدِ الكوريِّ، كُراتِ الكاوتْشُوكْ، الطّوابِعْ، سقف الصالون". ثم تتوالى عندها ألفاظ الحنين عن براءة طفولتها، وحديثها عن أخيها الصغير" أرسمُ وجهاً بالحمّصِ والزّيتْ... أرسمُهُ بالملعقةِ الخشبيّةِ... وبخمسِ أصابعَ أخرى" فما زالت تتذكر تلك الأيام وانشغال أمها بعيد ميلاد أخيها" أمّي غافلةٌ تصنعُ أطباقَ الحلوى... فاليوم هو العيدُ السّادسُ لأخي" لتتجلّى صورة البراءة عند تلك الطفلة لتسأل أمها " أمّي ... هل أبدو - في صحنِ الحمّصِ حلوةْ؟"

**5. نزفٌ وحنين**

يتجلّى الحنين المؤلم عند الشاعرة في قصيدتها لأبيها "ضباب أبي" لتنقلنا إلى أعلى درجات الحنين والشوق لذلك المفقود الراحل عنها صغيرًا. فقد شكّلت هذه القصيدة أبلغ المعاني للوفاء وللحنين على النحو الآتي:

-الوالد هو الضوء والطريق للخلاص؛ ولذلك وظفت الجمل الآتية" إنّي هنالِكَ بانتظارِكْ... فانفُضْ وجودَكَ عن غبارِكْ... وأضئ سماءَ الرّحلةِ الكبرى إلى تِلكَ المدارِكْ"

- رحيل والدها كان مبكرًا فهو لم يزل يانعًا ويعطي:" الموتُ

ميعادُ اليُنوعَةِ"

-لم يزل شـابًا وسيمًا استعجل الموت لقاءه " الآنَ عُدتَ فتىً وسيمًا"

-تفخر بـه فهو:"المهر، والفينيـق، والصَوَّانُ والفيلسـوف، وفضة الفجر وسيف الكلام".

-أشـياؤه حاضرةٌ رغـم رحيلـه؛ ولذلك حشـدت الألفاظ الدالـة على ما هو مادي فيه ومـا هو معنوي " عطرك الأبدي، سـاعتك، نسخة الخط المقدس، كنزة الصوف، مشطك، شرفتك، نـشرة الأخبار، المنديل، خفك الشـتوي، قمصان الخروج، أغاني النقشـبندي، كتب ابن سينا، خبز التوست، فناؤك في السجود، أشعار البحتري، الابتسامة، سيرك في الحوائج، شعرُكَ المعقوصُ، صنعـة الكلـمات، ثوبـكَ الفضفاضِ، قـوسُ خدِّكَ، ابنُ رشـدٍ والغـزاليُّ، سِرُّكَ المخبوءُ عندَ اللـهِ، أنفُكَ الصّلبُ النبيلُ، نظرتُكَ الشّريدةُ كالمنافي. "

-هو الحبيب والمعلم والمخُلص، وهو من أضاء لها المكان كي تسير برشد" علَّمتني الأسماءَ كيما أصطلي عرفانهنَّ بمجدِ نارِكْ... مثل ديوجين ضوّأتُ فانوسَ الهواجِسِ كي أطِلَّ على نَهارِكْ."

-هـو من جعلها شـجرة كثيفة لكنَّه رحل:" أورثتني شَـجَرَ الكثافـةِ؛ وارتدَدتَ إلى بِذارِكْ... وحزَمتَ أمتِعـةَ الزَّمانِ... ففرَّ عُمرُكَ من قِطارِكْ".

-هـو مرشـدها في الشـعر وهـو من شـكلت فيـه أولى صورها الشـعرية:" فتّتني بالشّـعرِ، وهْو الصّورةُ الأولى لذوبِكَ وانصهارِكْ" " تأنسـنتْ في شِـعرِكَ العالي الحمائمُ، ثمَّ حطَّت في شِـعارِكْ" فبموته خفت شـاعريتها" لأنَّ موتَكَ سوفَ يكسرُ في النّهارِ أشعّةَ التّأويلِ".

- هـو الموحي لهـا بالكتابة: " منذُ الكتابةِ ما كتبتُ سـوى لأحظى بانبهارِكْ".

-هو الجميل لذلك اختاره الموت " والموتُ عَدوٌ في الجمالِ".

وأخيرًا تتعالى شـدة الحنـين عندها فتخاطبـه راحلًا بفعل الرجاء والحاجة" أمسِـكْ يديَّ... كما فعلتَ ونحنُ نقطَعُ شارِعَ الأنفـاسِ حتّى صَدرِ دارِكْ" فهو الباقي الخالد فيها رغم رحيله" لـو كانَ أفلَتَ من نوافِذِكَ الخلودُ... فكيفَ يُفلِتُ من جِدارِكْ" لتطلـب منه الحياة رغـم موته" فَلتَعِشْ في المـوتِ يا أبتي" " وتتوسـل به ألا يتركها" "لا تترُكِ ابنتَكَ الوحيدةَ باحِثًا عن غيرِها في الخلـدِ، والملكوتِ... تمعِنُ في السّـكوتِ" لتنـادى عليه بأن يصحبها معه بلفظ الرجاء المكرر " خذني" " خذني إليكَ؛ لألتقي ذاتي البعيدةَ في مراياها" " خذني، سوفَ أدخلُ صورتي" " فالأبوةُ لا ترى شـيئًا سـوى أبنائِها... والآنَ خذني" " وخُذني في جِوارِكْ" "يـا أبي خُذني إليـكَ" "خذني لأبدأ رِحلةَ المـوتِ المقدَّسِ" " ولم أمطِر سـوى دمعي عليكَ وغربتي، خـذني لبيتِكَ" خُذني أنافِحُ عن ذِمارِكْ".

إنّ هـذا التكرار لفعـل الرجاء "خذني" رسـم لنا لوحةً من الحنين المؤلم عند الشـاعرة حتى أنّ القارئ وصل بذلك إلى ألمها وأحسَّ بها، فنقلته بهذا التكرار إلى القارئ المُشارك بهذا الحزن وبهـذا الحنين؛ حتى كأنَّه يردّد فعلها الطلبي ويخاطب والدها أن أرفق بها، ولا تتركها و "خذها".

لترتفـع عندها شـدة الحاجة وترجوه أن يعـود بأي حالة المهم أن يعود "عُدْ شَـجرًا وأجنحةً وأعشاشًـا وفيضَ كواكبٍ... نهرًا... فَرَاشًـا... زرقةً" ولو صحراء المهم أن تعود" صحراءَ عُد... لو شئتَ... لكنْ عُدْ... كفاتِحةِ الحياةِ إلى صِغارِكْ"....

لكـن القدر كان أقوى مـن كل رجاءاتهـا فكيف بميت أن يعود لتستسـلم لكل ذلك بقولها: " مسـتحيلٌ أن يرنَّ الهاتفُ المحمـولُ، ثمَّ تكونُ أنتَ... ومسـتحيلٌ أن تبادِلني حنانَكَ بعدَ أن أجتازَ نحوَكَ جسرَ أوجاعي الطّويلَ إلى اغترابي... مسـتحيلٌ أن يؤدّي شارعُ "الجاردنز" إليكَ، فقد ذهبتَ إلى "السّحابِ".

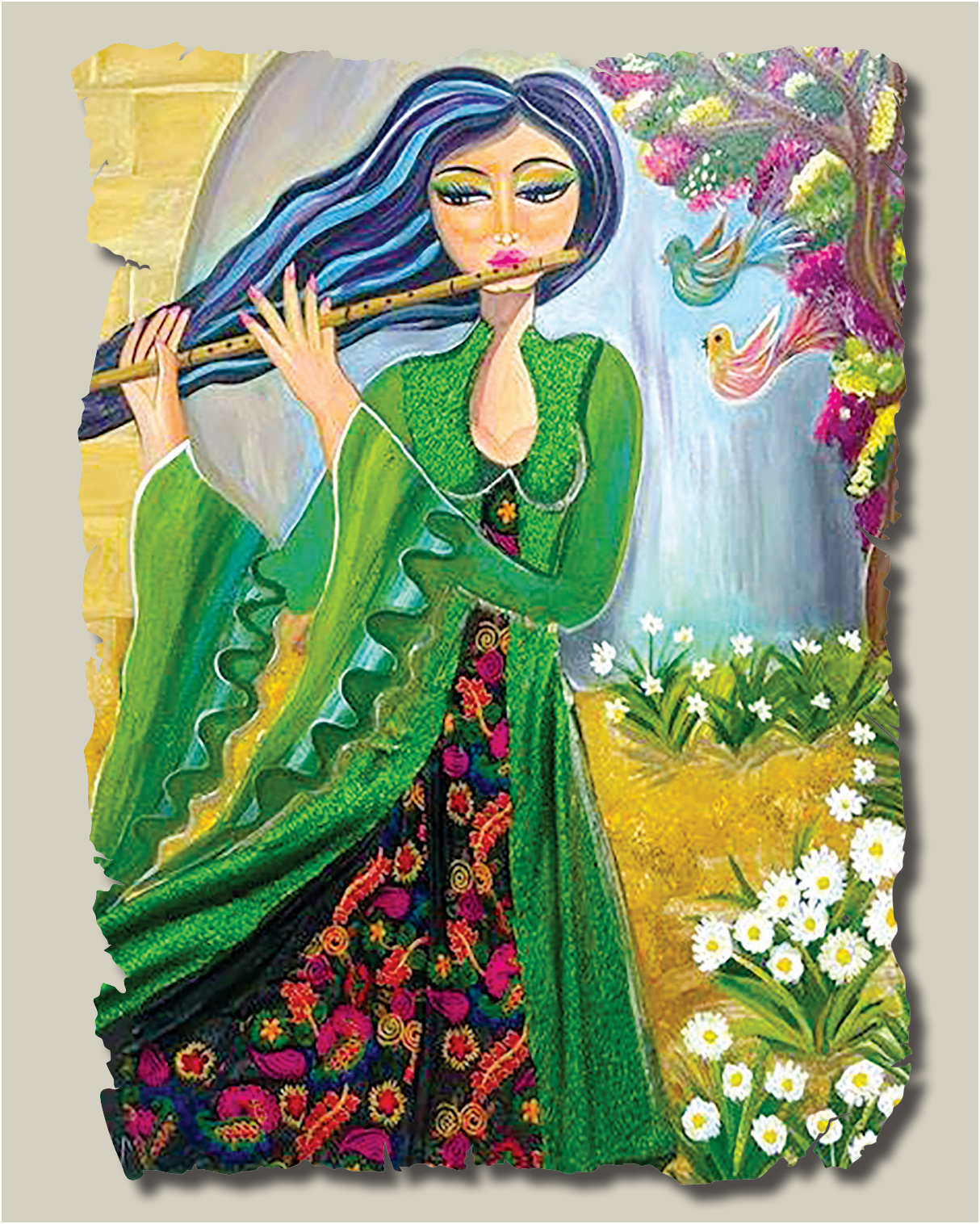

# الربابةُ والناي:

## آلتان موسيقيتان شرقيتان

هشام إسماعيل عدرة*

"لولا إدخالهما في برامج عدد من المهرجانات السياحية.. ولولا المسلسلات التلفزيونية البدوية.. ولولا بعض المضافات البدوية و(الشُعّار) والمطربين الشعبيين العرب... ولولا فرق التخت الشرقي الموسيقية لكانتا انقرضتا منذ عقود؟!.."

* كاتب وصحفي سوري

على الرغم من دخول آلة (الربابة)الموسيقية متاحفَ التقاليد الشعبية، ووصولها إلى متاحف العديد من دول العالم كآلة موسيقية شرقية فلكلورية، وعلى الرغم من اقتصار العزف عليها فقط في المهرجانات الشعبية السياحية والثقافية كآلة موسيقية يجب الحفاظ عليها لمكانتها التاريخية والتراثية كإرث فني ثقافي مهم، وعلى الرغم من وجودها في المسلسلات البدوية كضرورة لا غنى عنها في مجالس وبيوت الشَّعر... إلا أنَّها ما زالت ترافق (الشعّار) ومُطربي البادية والريفيين في دول الخليج العربي وبعض الدول العربية كالأردن وسوريا ولبنان، خاصةً في المضافات وجلسات السهر، كما أنَّ العزف عليها يُعطي نكهةً خاصةً لتلك الجلسات يرتبط معها عبق الماضي بالشعر النبطي العريق، بسكون البادية الجميل في ليالي الصيف المقمرة. وكما أنَّ هناك عازفين مازالوا يعزفون على الربابة ويؤدون الأغنيات الحزينة الشفافة؛ فإنَّ هناك أيضاً مصنعين لهذه الآلة التي تحتاج لإتقان وخبرة في تصنيعها، خاصةً تلك التي تُصنّع بشكل يدوي. ومن يمارسون هذا العمل أصبحوا قلةً لصالح تصنيعها بشكل آلي وتجاري، بحيث يمارس هذه الصناعة (آلات الربابة المقلَّدة) الغجر المنتشرون في عدد من المدن العربية، ويبيعونها بأسعار منخفضة قياساً للمصنعة بشكل يدوي وحسب القواعد العريقة لتصنيعها. وتُباع بالتالي هذه الأنواع الرخيصة الثمن في الأسواق السياحية والشعبية والتراثية، حيث يشتريها هواة جمع الأدوات التراثية ويعلقونها على جدران صالوناتهم كمنظر تراثي جميل، أو يشتريها سائحٌ ليأخذها معه إلى بلده كتذكار من الشرق وعبق البادية. في حين يحرص المغنون و(الشعّار) على شراء الآلات الثمينة والمصنّعة من قبل حرفيين ذوي خبرة قد يكونون توارثوها أباً عن جد.

ولكن ماهي الربابة تلك الآلة الموسيقية العجيبة التراثية التي تعطي المستمع لألحانها شعوراً بالحزن والاسترسال والتحليق في الخيال؟. يجيب على هذا السؤال

الباحث السوري الدكتور إبراهيم فاضل في حوار سابق لي معه قائلاً: "هي آلة موسيقية شرقية وهي آلة موسيقية(عجوز) ترافق غناء كل من القصيد والعتابا الشرقية، وتنسب الربابة أو (الرباب) إلى "هوميروس"، وهي عبارة عن جلد غزال أو جدي أو ذئب مدبوغ ومبشور يُرطّب ثم يُلف على هيكل خشبي رباعي الطواح مستطيل الشكل، يمرُّ بمنتصف قاعدته في السطح المقابل لها محورٌ طويلٌ، ينتهي بقبضة مدرجة مثقوبة. يقوم على هذا الثقب مقبض آخر أرفع منه له ثقب أدق، وفي هذا الثقب الأخير يُعقد طرف الوتر، والوتر عبارة عن مجموعة من شَعر الحصان، يمتدُّ هذا الوتر من فوق الجلد الملفوف إلى نهاية المحور السفلي، ويتصلُّ بها بواسطة ماسك من الجلد بالتداخل والربط، ويُرفع الوتر عن سطح الجلد بجسم من الخشب أو العظم على شكل هرم مقطوع مرقق من الجانبين محصور القمة ليسهل ارتكاز الوتر عليه، وهناك القوس: وهو عود الخيزران أو ما يشابهه محني على شكل قوس تشد بين سمتيه أو نهايتيه مجموعة من شَعر ذيل الحصان مثبتة في أدناه ومربوطة ربطاً مباشراً، وفي أعلاه بواسطة امتداد من الجلد ليسهل ضغطه باليد.. أمَّا طريقة العزف على الربابة فيكون بجرِّ القوس على شَعرها المشدود مع تلاعب أصابع اليد القابضة على أعلاها بتواتر الشعر، ويقابل الإبهام الأصابع الأربع بالضغط والتنغيم، وليس للربابة نوتة موسيقية والعزف سماعي".

كما يعرّفها آخرون بأنَّها "آلَةٌ مُوسِيقيَّةٌ مِنَ العائِلَة الوَتَرِيَّةِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ صُنْدُوقٍ مُجَوَّفٍ، لَهُ إطَارٌ خَشَبِيٌّ، عَلَيْهِ قِطْعَةٌ مِنَ الجِلْدِ، فِي أَعْلاَهُ مِفْتَاحٌ وَاحِدٌ، وَيَتَضَمَّنُ وَتَراً وَاحِداً يَعْزِفُ عَلَى الرَّبابِ".

أمَّـا عن كيفيــة تصنيع الربابــة والمراحل التي تمرُّ بها فيجيب عــلى ذلك أحد مصنعيها القدامى (الحرفي المخضرم أحمــد الآغا) في لقائي معه قائلاً: "يســتغرق إنجــاز الربابــة الواحدة أســبوعاً كامــلاً.. وذلك بعد تحضــير المــواد الأوليــة وتجهيزهــا يدوياً؛ فــأول ما نفعله هــو تحضير الهيكل الخشــبي عن طريق شراء خشــب(دف)؛ زان من المنشرة بطول 55 ســم، ونقوم بنــشره يدوياً، ونضع على طرفيــه حجرين، وننقعه في برميــل من الماء لمدة يوم كامــل حتى يترطب ويصبح قابلاً للتقوس، بعد وضع حجر ثالث في وسطه، بعدها نعمل على أذينات على أطراف الهيكل على قياســات 1 ســنتيمتر من كل طرف، وفي الوســط نقوم بالقدح بوضــع العوارض الخشــبية مع نشر الزوائــد، بعدها يصبح شكل القفص الخشــبي جاهزاً لاستقبال الجلد. وفي المرحلــة الثانيــة نــأتي بجلد(جدي) وســابقاً كنا نســتخدم جلد (الغزال)عندما كانــت الغزلان متوفرة بكثرة في الباديــة، ونبدأ مرحلة تطويع الجلد وتمويته؛ فنضعــه في وعاء حتى يُحْمَى، ثم نقوم بملســه ليصبح أملس، ونبشره بعد ذلك بواســطة الماء، ونزيل جميع الشروش والمخلفات منه؛ فيصبح شــكله كالبلور، نقوم بعد ذلــك بتعليقه بشــجرة حتى (ييبــس) ولا يبقى فيه(روح)، بعد ذلك نعيد وضعه بالماء حتى يَطْرَى من جديد ويصبح مثل(القماش المبلل)، ونقوم بشدّه على الهيكل الخشبي الجاهز بحيث نثبته على العوارض من الجهتــين، بعد ذلك تأتي المرحلة الثالثة لتهيئة الشَــعر وهــو مأخوذ من ذنب (الخيــل)، وبعد تركيب الرقبة نــأتي بقطعة جلد ونمزّقها من الطرفين ونضعها بســيخ ونضع بها الشَّــعر، ونَعْقِدُها من طرفي الربابة بشــكل فني ليعطي الصوت المطلوب. أمَّا المرحلة الرابعة فهي تحضير القوس: وهو من الخشب الزان أو الجوز حيث نربطه من طرفيه بشــعر الخيل الــذي كنا قد جهزناه ســابقاً، فتصبح الربابة جاهزةً بعد ذلك للعزف عليها

عــن طريق تمرير القوس على شــعر الربابة؛ فيرد جلد الربابة الألحان والمعزوفات.

يجــدر بالذكــر، هنــا، أنَّ أحد المهتمين الســوريين بالموســيقى والآلات الموســيقية وهو الراحــل( إدوارد شــمعون) كان قبل عدة ســنوات قد تمكن من اختراع آلة موســيقية جديدة أطلق عليها اسم (العروبة) عن طريق دمج آلتــي الربابة والعود بحيث تســهم هذه الآلة الموســيقية الهجينة في المحافظة على(الربابة)من الانقراض.

**الناي؛ شجنٌ وإحساسٌ مرهفٌ**

أمَّــا الناي وهــو من الآلات الموســيقية الشــعبية البســيطة فيُعرّف على أنَّه آلة موسيقية شرقية الهوية والجــذور، ارتبــط صوتــه وإيقاعه الشــجي الحزين بالذاكرة الشــعبية وذاكرة الأجداد؛ لأنَّها آلة موسيقية قديمــة عَرَفَهَا البابليون والمصريــون القدماء، وانتشرت لاحقاً في معظــم البلدان العربية، وللمطربة الشــهيرة فيروز أغنية معروفــة من قصيدة للكاتب جبران خليل جــبران، تذكر النــاي فيها وتقــول في مطلعها: (أعطني النــاي وغنّ فالغناء سرّ الوجود.. وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود).

يُصَنَّع الناي من نبات القصب البري، وهو عبارة عن قصبة جوفاء، مفتوحة الطرفين، ويتكون من 9 عُقَل بها 6 ثقوب على اســتقامة واحدة، وثقب آخر من الخلف يتحكــم به الإبهــام. يصدر النــاي النغــمات بـ(تون) ونصــف التون وثلاثة أرباع التون بدقة كبيرة. وتُعدُّ آلة الناي من الآلات الموســيقية الأساســية في فرق(التخت الشرقــي) التي تتألــف من القانــون والعــود والناي والكمان والدف والموشــحات والدور؛ وسُمّيت بالتخت الشرقي حيث من المعروف أنَّ مطربين وموسيقيين أيام زمان مثل صالح عبد الحي وغيره، كانوا يجلســون على مقاعد(كنبايات)، ويؤدون مواويل لساعات طويلة( 6 ـ 7 ساعات)، كما كانوا يؤدون القوالب الغنائية الشرقية والقوالب الموســيقية، وهــو كل شيء مغنّى كالقصيدة والمــوال والدور والموشــح والطقطوقة، أمَّا الموســيقية فمنها السماعي واللونغا والبشرف والتقاسيم.

كــما ألهمت آلة النــاي كبار الملحنــين بمقطوعات موســيقية غايــة في الجمال والشــجن، وكانت أساســاً لألحانٍ خالدةٍ قدمتها أم كلثوم وفريد الأطرش وغيرهما من المطربين الكبار.

وقــد عمل أحــد الباحثــين العراقيــين وهو(غازي يوســف إبراهيم) المقيم في ألمانيا على دمج آلة (الناي) مع آلة(الفلوت)الغربية، فقدّم آلة جديدة أطلق عليها اســم(نايلوت)، قــال عنها في حوارٍ لي معــه قبل فترة: "اختراعي الموسيقي الجديد الذي جاء بعد بحثٍ مضنٍ استمر لعدة سنوات في ورشتي بألمانيا هو آلة(النايلوت) التي تجمع خصائــص آلة (الناي)الموســيقية الشرقية، وآلة (الفلوت)الغربية؛ أي مشــتقة منهما، وهي قصبةٌ أو أنبوبــة مصنعة من الألمنيــوم ومن الممكن تصنيعها مــن الفضة أو الذهب، والمهم هنا أن يكون المعدن ذو مواصفات فيزيائية وكيميائية خاصة. والجديد في هذه الآلة الهجينة أنَّها تســتطيع إصــدار 24نغمة مختلفة، وهي أرباع النغمة الموسيقية العربية، وهذا ما نحتاجه في النســيج الموسيقي العربي المعاصر، فالمعروف أنَّ آلة النــاي العربية تصدر 7نغمات فقــط، ونحن نحتاج لـ 24نغمة؛ وعلى هذه الأســاس نحتــاج إذن لزيادة عدد الثقوب في الناي لزيادة عدد النغمات، وســيطرنا عليها بآلية الغطاء المســتعارة من الفلــوت الغربية، وحصلنا عــلى مــا نريد من خــلال "النايلــوت"، وتم تســجيل

الاختراع باسمي في ألمانيا، وفي مؤسسة براءات الاختراع المصرية بالقاهرة، كما شاركت في مؤتمرات للموسيقى العربية في القاهرة والجزائر، وعرضت "النايلوت" على المشـاركين من موسيقيين وخبراء عرب، كما تم عرضها على مجمع الموسيقى العربية".

ويتابع إبراهيم متحدثاً عن اكتشـافه الذي اعتبره مثيراً حيث لم يكن هناك في السابق آلة موسيقية نقرية هوائيـة تصـدر 24نغمـة في الأوكتاف(وهي الوحدة النغميـة القياسـية في علم الموسـيقى كالمـتر والميل والكيلوغرام وغيرهـا من وحدات المقاييس المعروفة) وبالتالي جميع البحـوث التي جرت في العالم للوصول لمثـل هذه الآلـة الطبيعية غـير الإلكترونية(فالأخيرة موجودة)، ولكن الحاجة كانت لآلة موسيقية طبيعية يصنع العازف الإنسـان فيها الصولج؛ ومن هنا انطلق في أبحاثه التي مرت بثلاثة مسارات؛ الأول: البحث في جميع آلات النفخ الهوائي ومنها الناي من خلال دراسة تشريحية علمية، وليس كعزف فقط. والثاني البحث في الدراسـات السابقة التي تناولت هذه الأمور، والثالث خطـوات البحث التي قـام بها من منطلق السـؤال والجـواب، والمشـكلة والحـل، واسـتمر ذلك خمس سنوات في ألمانيا حتى جاء اكتشافه لآلة "النايلوت".

وغـازي إبراهيـم الذي هاجـر إلى ألمانيا في بداية الألفية الجديدة، وأسّـس هناك مؤسسةً علميةً بحثية في الموسـيقى حيث تفرغ للبحث العلمي وللمشاركة في مؤتمرات علمية دولية، كان قد عَمِلَ قبل ذلك خبيراً للموسيقى العربية في (المعهد الوطني للموسيقى) في الأردن، ومع مؤسسة (نور الحسين).

عبده موسى

فرقة دمشقية.. يظهر عازف الناي عنصرا رئيسا في الفرقة

# البوذيةُ والروحانياتُ الجديدة

سمر الفوالجة*

شــهدت البوذيّة مؤخرًا انتشــارًا وقبولًا واسعًا، ويُلبي هذا الانتشارُ مصالحَ الأنظمة السياسية، وطبيعة العــالم الذي يُمارس العلمنة في طرائــق الحياة ومختلف جوانبها. وتنتشرُ ثقافــة البوذيّة في وطننا العربي كأسلوب رياضيّ وفنّي.

وقد اشــتهرت البوذية ب"اليوغا" ورسوم "الماندالا" اللتين أُفرغتا من مضامينهما الدينية، ونجد أنَّهما يشكلان الآن نوعًا من الاسترخاء للجسد وشكلًا من أشكال الجمال.

ولم تتوقف الثقافة البوذية في الانتشار في ثقافتنا العربية في الجانب الفني بل كذلك في أسلوب الرياضة ودورات التنمية البشرية. فهل هذا تبشــير بالبوذية والأديان الشرقية؟ أم أنَّها باتت ثقافةً معولمةً وأفكارًا دنيوية أُفرغت من مضامينها المقدسة؟

* كاتبة وباحثة أردنية

**من هو بوذا؟**

ولـدَ بوذا في (كاييلا فاسـتوا) على حـدود نيبال سـنةَ (650) ق. م مـن أسرةٍ نبيلـةٍ، إذ كان والده رئيس قبيلة (سـاكيا) ولمّا شبّ زهد في نعمةِ والدهِ وأخذَ هذا الزّهد يزداد شيئًا فشيئًا حتى ألقى حُلله الفاخرةَ جانبًا واسـتبدلها بثيابٍ خشـنة مُرقّعة ثمّ هجرَ منزلَ أسرته إلى الغابات والأحراشِ[1].

ولبوذا عدّةُ أسـماءٍ اشـتُهرَ بها ومنهـا "جوتاما" ولعلّـه اسـمه الأوّل، ومـن هـذه الأسـماءِ أيضًـا (ساكياموني) وهو نسبة إلى قبيلة "ساكيا" التي منها أسرتـه، وهذان الاسـمان وردا في الأسـفار المكتوبةِ باللغة السنسكريتيّة. ومنها أيضًا (تاتا جاتا) ومعناها الذي جاء، ومنها (باجات) ومعناه السعيدُ، وهذان الاسمان قد أُطلقا عليه حينَ بدأَ الدّعايةَ إلى مذهبهِ، ومنها أيضًا (سـيدارتا) ومعناه المـشرفُ على النّورِ. وقـد أُطلقَ عليه قبـلَ وفاته (بـوذا) ومعناهُ الذي وصلَ إلى قوّة السمو[2].

وإنّ الذين تعرّضوا لكتابةِ حياةِ بوذا سردوا كثيرًا مـن المعجزاتِ والخوارقِ، وخلطـوا الواقعَ بالخيالِ حتّـى يصعبَ على الباحثينَ تمييز الحقّ من الباطل. فيذكـرُ المؤرخـون أنّ أم بـوذا حـين وضعته أتت الملائكـة لتسـاعدها، وخطا الوليدُ إلى الأمامِ سـبع خطواتٍ، وصاح قائلًا: "إنّني سـيّد الكونِ، إنّ هذه الحياة هي آخر حيـاةٍ لي." وظهرت اثنتان وثلاثون علامةً في السّـماءِ والأرضِ، منها انتشار النّور في كلّ مكان، واستعادة الأعمى بصره[3].

وماتت أمُّه في الأسبوعِ الأولِ من ولادته فحضنته خالته "مهاياباتي" وشـبّ الطفلُ في هذا النّعيم كما يشـبّ أترابه من أبنـاءِ الملوك والسّـلاطين، ووجدَ الدّنيا تحت أمرهِ، والنّعيم رهنَ إرادته، وقد سـارعَ أبوه فزوّجه من ابنة أحد الأمراءِ واسمها "سودهرا"، ولم يطل الوقت حتّى وُلِد له ابن سمّوه راهولا[4].

وقد اتّسم بوذا بحسب ما رُوي عنهُ بقوّة الإرادةِ إلى حـدّ بعيدٍ، ولكن هذه القوّة وُجّهت إلى النّضال الدّاخـلي، فبينـما كان ظاهـره يدلّ عـلى الوداعةِ وخفضِ الجناحِ، كانت نفسه تحوي في داخلها عراكًا قويًّا ضد الشهوات والرّغبات[5].

كان بـوذا مفكّرًا في طبيعته، وكان يُحبّ الجلوس والمكـوثَ تحت شـجرة الإجاص الكبيرةِ في بسـتانِ والده ملاحظًا دروب العالم ومسترسلًا في التّأمل[6].

إنَّـه قدرٌ معيّن مـن المعلومـات المُتعلقة بحياة بوذا محفوظ في قانون بالي[7]، ولم توجد أي محاولةٍ لجمعِ هذه التفاصيـلِ معًا في عملٍ سرديّ متواصلٍ إلا بعد رحيلِ بوذا بخمسمائة عام.

**العزلةُ والتقشفُ أم النهمُ والرأسمالية؟**

لجـأ بـوذا إلى العزلةِ والتّقشـفِ، وخلـعِ ثيابه، واكتفـى برقاعٍ أو أوراقِ شـجر يسـترُ بهـا عورتهُ، وألقى بجسمهِ بينَ الأشواكِ والحصا، وأهملَ الطّعامَ والشّراب والمـلاذ، ويُقال إنَّه كان يتناول أحيانًا حبّة مـن الأرز في اليوم، واتّخذَ ذلك طريقًا لتُكشـف له أسرارُ الحياةِ[8].

لقد قرّر بوذا التّخلي عن العالم بحثًا عن الحقيقة، فما فائدة هـذا النّعيم الذي يعيـشُ فيه طالما أنَّه سـيتعرّضُ حتمًا لآلام الإنسـانيّة، فلا بدّ من العثورِ على الحقيقة التي سـتخلّص العـالمَ - وفقًا لرأيه - من كلّ الآلام، فكان لا بـُدّ أن يعيشَ حياةَ النّساكِ بالعيشِ في البريةِ ناسكًا صائمًا متسوّلًا، لا يُشغل قلبه في الدّنيا[9].

وعندما خـرجَ بوذا من القـصرِ رأى على البوّابة الكبيرةِ الشـيطانَ الذي أوقفه، وأخبره أنَّه سـيكون ملـكًا خلال سـبعةِ أيامٍ، وسـيّدًا للقـارّات والجزر المتاخمةِ لمملكته، إلا أنّ بوذا رفضَ البقاءَ وأخبره أنّه سيعملُ على إسعادِ النّاسِ. وطبقًا للأسطورةِ البوذية فإنَّ الشـيطان تعرّض لبوذا أكـثر من مرّة، إلا أنّه لم يستطع أن يُثنيه عن رحلةِ البحثِ عن الحقيقة[10].

سـتّ سنوات تلتْ تلك الحادثة بذل بوذا خلالها طاقتهُ لتحقيق هدفه، ولم يكن هذا البحثُ سـهلًا، حيث يقول:

"كم هو شـاقٌّ أن يعيشَ الإنسـان حياةَ ساكن الغابةِ الوحـداني، أن يُمارس الوحدة. حقًّا إنّ وطأة الأيـكِ الصّامتة ثقيلة جدًا على الرّاهب الذي لم يفزْ بعد بثبات وقرارِ العقل".

ولقـد بيّن بـوذا لمن أرادَ الدّخـول في النظام أن يتنـازل عن أمواله وعقـاره، وفي الوقت ذاته أوضحَ أنّـه من جمع الثّروة وأنفقها في سـبلٍ صحيحة، ولم تنجـذب النّفس إليها لتصبحَ هدفًـا له، فإن الثّروة حينذاك تُصبحُ نعمةً وبركةً[11].

ومـما يتصل بالثروة رأيه في العمل والبطالة، فقد كان واضحًا من سياسة الكشكول[12] والسؤال أنَّ بوذا يتّجه للبطالة؛ ولذلك سـأله أحـد الجينيين[13] مرةً: "هل أنت تدعو إلى ترك الأعمال، وهجر الأشـغال"؟ فأجابـه: "إنّي أدعو إلى تـرك كل عمل قبيح يجر إلى الشّرورِ، ولكنّي بجانب هذا أدعو إلى القيام بكل ما هو حسـن للجسد واللسـان، والفكر، وكذلك أدعو إلى الإقبال على كل عمل يؤدي إلى الخير والسعادة". ولكن سـلوك بوذا على كل حـال كان يناقض حب العمل[14].

وطريـق النرفانا وهي أقـصى غاية البوذي تكون عندما يمرُّ بالزهدِ والتغلب على الأهواء والشهوات، فالزاهـد هو الذي يتغلب عـلى كل رغبةٍ محتقرة، فإنَّ من يتغلب على الشهوات ويتحرّر من الكبرياء والعظمةِ، ويذلّ رغباته، ويلين جانبه، يشعرُ بغبطةٍ نفسيّة فيسـلك حسـنًا في هذا العالم. الذي يعرف طريـق النرفانا لا يحتدُّ ولا يغضب، بل يكون طاهر القلب، صافي النّية، حسـن السيرة، مبتعدًا عن الشرّ قولًا وعملًا[15].

**بوذا المعلم**

لقد ظلَّ بوذا يدفعُ عجلة الشّريعة إلى الأمام أكثر من أربعين عامًا حتّى وصلت سـنّه الثمانين، واختار حياة المبشّر المتسـوّل مع كلّ ما تشـتملُ عليه من صعوبـات وحرمان، وسـخرية ومقاومـة، ولم يكن بـوذا وحده هو الذي يدعو "للنظام"[16] وإنَّما اختار نخبةً من أتباعه ليقوموا بالدعوةِ لها، وتدلّنا المراجع الرئيسـة على أنّ بوذا كان يختبرُ الذين سـيقومون بالدّعوة اختبارًا دقيقًا قبل أن يُرسلهم لهذا الغرضِ. وكان يودّعهـم ويقول لهم: "اذهبوا وانشروا النّظام في البـلاد رحمةً بسـائرِ الخلـقِ، وإيثـارًا لمصلحة الكثيريـن على راحتكم، ولا يذهـبن اثنان منكم في طريقٍ واحدٍ، بل يسـلكُ كل واحدِ سبيلًا غير سبيلِ أخيه، بشّروا بهذه الدّعوة النّبيلة في مبدئها، النبيلةِ في وسطها، النبيلةِ في غايتها". وبهذا الإصرارِ من بوذا ومريديه استطاعت الدّعوة أن تنجح[17].

ويصف "ديورانت" طريقة بوذا في التّعليم بكونه كان يقفُ دائمًا عند مدخل قرية من القرى، ويضربُ خيامـه في حديقةٍ أو غابـة أو على ضفة نهر؛ وكان يُخصّص سـاعات العصر لتأملاته، وسـاعات المساء

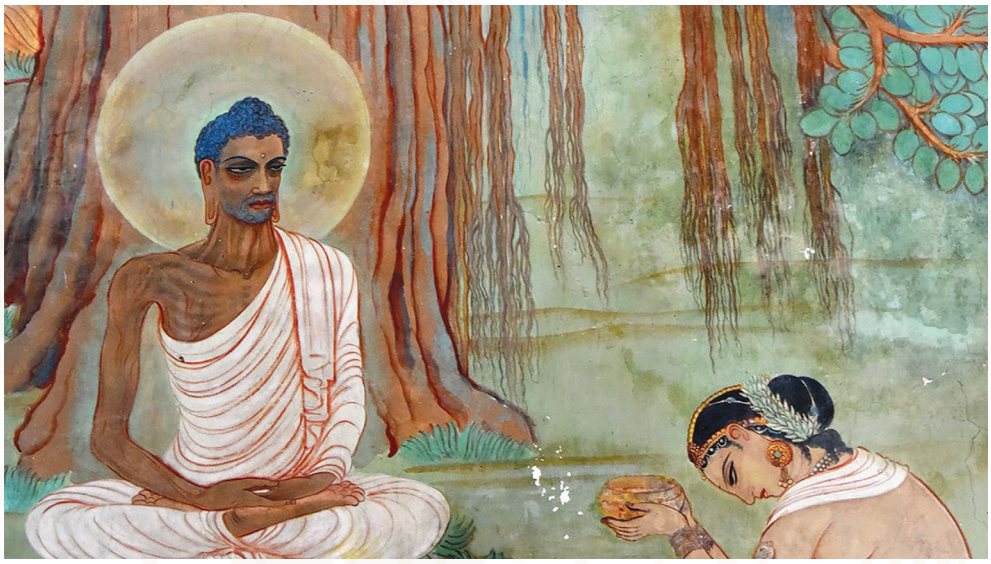

للتعليم؛ وكانت محادثاته تجري في صورة سقراطية من الأسئلة وضرب الأمثلة الخُلقية والتّلطف في الحوار، وكان يسوق تعاليمه في عبارات مقتضبة يرمي بها إلى تركيز آرائه تركيزًا يجعلها في صورة من الإيجاز والترتيب بحيث تقر في الأذهان[18].

**البوذيةُ من المقدس إلى المدنس**

شهدت البوذيّة مؤخرًا انتشارًا وقبولًا واسعًا، ويُلبي هذا الانتشار مصالح الأنظمة السياسية، وطبيعة العالم الذي يُمارس العلمنة في طرائق الحياة ومختلف جوانبها. وتنتشرُ ثقافة البوذيّة في وطننا العربي كأسلوب رياضيّ وفنّي.

ويُسمّي طه عبد الرحمن هذا النّمط من التّدين المتوافق مع نزعةِ التّنوير بالروحانيات الدّهرية أو المحايثة أو روحانيات التسيد؛ حيث تسعى إلى تسيد الإنسان بديلاً.، ويعمل أصحابها على فصل الأخلاق عن الدين، وبالتالي فلا بدَّ أن تفقد أصلها الروحي وتغدو روحانيات نفسية قائمة على مبدأ النسبية[19].

فمن الطّقوس البوذيّة التي فقدت عنصرها الرّوحاني أو المُقدّس وباتت أمرًا عاديًا يمكن أن يمارسه أي شخص هي رسوم الماندالا، والماندالا تعني: فنّ رسمٍ روحيّ كان يتمّ تدريسه من قبل شخص يُدعى "شاكياموني"، وهو بحسب البوذيين يُشعر الشخص بالسّلام على مستوياتٍ عديدةٍ، فيخلق جوًّا مُحببًا، ويُقلّل التوتّر والعنف، يتمتّع بقوّة شفائيّة مذهلة. كما ويدّعي البوذيّون أنّ الماندالا تحمي من الشر والأشباحِ والأمراضِ المفاجئةِ[20].

ومن الطّقوس الدّينية التي باتت رياضة عالميّة "اليوغا"، وتعني لغةً: اسم مُشتق من المعنى السنسكريتي "يوغ" الذي يدور على معاني الاتّحاد،

والاندماج. والمعنى الاصطلاحي: نظامٌ روحانيَ نشأ في الهندِ، يهدف إلى الوصولِ إلى "الاستنارةِ" والوحدة بين الإنسان والله[21].

ويُمارس البوذيون اليوغا باعتبارها طقوسًا روحانيّة واعتقادًا دينيًا، وتُعتبر من الشعائر المميّزة للهندِ، فهي عند البوذية مقدّسة، أمّا عند بعض الغربيين لا تعدو من كونها رياضة ترفيهيّة وصحّيةً.

وهنالك العديد من الممارسات التي يتبعها الإنسان اليوم وهي في حقيقتها طقوس دينيّة شرقيّة، على سبيل المثال: الفنون القتاليّة في أصلها فنون دينيّة كان الرهبان يُمارسونها لأمور اعتقاديّة، وكذلك النظام الغذائي "المايكروبوتيك" الذي يُقلّل من الدهون ويُكثر الألياف في الجسم في أصله نظامٌ غذائيٌّ زهدي للرهبان الطاويين. وإنّ ممارسة هذه

الفنون واتباع هــذا النّظام الغذائي أصبح له هدف دنيويّ بعيد عن أصله الرّوحاني.

لقــد انتقلــت هــذه المنظومــات الشرقية من أصولها المقدســة لتغدو أفكارًا دنيوية محضة كما عبر "مارسيل غوشــيه"، وتعجب من ذلك الراهب النحيل ســقيم الجســد الذي يزهد بــكل ما يملك ليصل إلى حالة روحانية وســلام مع نفسه؛ ليصبح راهبًا يُرهب أطفال بورمــا، أو راهب علماني يقوم ب"اليوغا" ليحسّــنَ مزاجه ويحافظ على تناســق جسده!

**الهوامش:**

(1) عويضة، كامل،(1994)، بوذا والفلسفة البوذية، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت، ص 135

(2) المرجع نفسه، ص 134

(3) انظر:محمد، عبد العزيز، قصة بوذا، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ص 10، ص11

(4) شلبي، أحمد، أديان الهند، ط11، مكتبة النهضة، القاهرة، ص 131

(5) عويضة، كامل، بوذا والفلسفة البوذية، ص 141

(6) أبو السعود، صلاح، البوذية عقيدة دينية أم دعوة إصلاحية، ط1، دار طيبة: الجيزة، ص 38

(7) أقدم مجموعة منهجية للأدبِ البوذي

(8) شلبي، أحمد، أديان الهند، ص 135

(9) انظر: أبو السعود، صلاح، البوذية عقيدة دينية أم دعوة إصلاحية، ص 46

(10) انظر: أبو السعود، صلاح، البوذية عقيدة دينية أم دعوة إصلاحية، ص 49

(11) انظر: شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى،ص 168

(12) وعاء يجمع فيه المتسول رزقه.

(13) الجينية: ديانة منشــقة عن الهندوســية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها مهافيرا.

(14) ص 222 كتاب الأديان الوضعية جامعة المدينة - من تعاليم البوذية - المكتبة الشاملة الحديثة

(15) السحمراني، أسعد، الهندوسية، البوذية، السيخية، ص 81

(16) اشتهرت دعوته بتسميتها بـ"النظام" أو "عجلة الشريعة"

(17) انظر: شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، ص 141، 143

(18) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج3، ص 75

(19) عبد الرحمن، طه، (2014)، بؤس الدهرانية، ط1، الشبكة العربية للأبحاث: بيروت، ص 153

(20) المدني، محمد نمر، الديانة اللاميّة -بوذية التبت الخفيّة-، ص 51

(21) الرشــيد، هيفاء ناصر، تقرير موجزُ حول ممارســةِ اليوغا من المنظور العقدي، نســخة إلكترونية، ص 6

كوفي مصاحف

# تنميقاتٌ على زي الحرف العربي

محمد أبو عزيز*

نمّقتُ الكتاب تنميقاً: حسَّنتهُ وجوَّدتهُ. نمّقته: نقشته وصوّرته.

لقد جاء تطوّر الخطِّ العربي نتيجة جهود بذلها العربُ المسلمون لخدمة قضاياهم؛ الأمر الذي جعلهم ينهضون بعملية الجمع للقرآن الكريم زمن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، إثر استشهاد سبعين من الصحابة من حفظة القرآن في واقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة؛ بإشراف الخليفة وتنفيذ الصحابي زيد بن ثابت، أمَّا تدوين القرآن الكريم فكان من قبل عثمان بن عفان ( رضي الله عنه ) عام (25) للهجرة. وذلك مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ومع تعدد لهجات القبائل العربية واختلافها، حينما اختلط العرب بالأعاجم، وكذلك خوفاً من أن يتطرق التحريفُ إلى النصِّ القرآني، وخوفاً أيضاً من الوقوع في اللُبس، لذا دخل الرسم العثماني في مراحل وأدوار عديدة حتى بلغ ذروته إلى يومنا هذا.

* كاتب وفنان تشكيلي أردني

**الإعجام (النَقْط)**

قال أبـو مالك الحضرمـي: "أي قلم لم تُعجـم فصوله، اسـتعجم[1] محصولـه[2]". ومـن المعـروف أنَّ المصحـف العثـماني كان يخلو مـن الإعجام، وقـد روي أنَّ من نقط المصحف " أبو الأسـود الدؤلي" بصفة فردية من تلقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب (كرم الله وجهه ) ومن تلاميذ الدؤلي: يحيى بن يعمر العدواني، ونصر بن عاصم الليثي[3]. أمَّا عبد الملك بن مروان فهو أول من نقط المصحف بإيعاز إلى نـصر بن عاصم الليثي _ أحد قراء البصرة. أو يحيى بن يعمر العدواني _ قـاضي مرو _ ولكن بصفة عامة، ذاع بين الناس[4].

قال الوزير أبو علي (محمد بن مقلة): وللنقط صورتان: إحداهما شكل مربع والأخرى شكل مستدير[5].

**الشَّكْل**

الشـكْل: تقييد الحروف بالحركات. فالعرب في عهدهم الأول لم يعرفوا الشـكل _ شـكل الحروف والكلمات _ لما كانوا يتمتعون به من سلامة اللغة، وصفاء السليقة، وذلاقة اللسان، الأمر الأكثر إغناءً[6].

ويذكـر الزبيدي في "تـاج العروس" أنَّ هذه التسـمية أُخذت من شـكل الدابة، أي " شد قوائمها بحبل". والسبب في ذلك أنَّ الحروف تُضبط بالشـكل فلا يلتبس إعرابها كما تضبـط الدابة بـ "الشِّـكال" فيمنعها من الهـروب، وذكر أيضـاً أنَّ الشـكل جاء من إزالة الإشـكال. أي عدم الوقوع في اللحن عند القراءة، ويقصد باللحن: النطق على أسلوب مخالـف للمألوف، كما يُراد به طريقـة التعبير بوجه عام؛ وفي هذا المعنى يقول ذو الرمة: "في لحنه عن لغات العرب تعجيم"[7].

أول من قام بشـكل المصاحف هو أبو الأسـود الدؤلي (المتوفى سنة 90 هـ) على إثر سماعه قارئاً يقرأ قوله تعالى: ( إنَّ الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام في ( رسولِه ) فأفزع ذلك الدؤلي، وقال: "عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله". ثـم ذهب إلى البصرة وكلّم أمير المؤمنين بذلك، حتى انتهى به الاجتهاد إلى أن:

-جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف.

-جعل علامة الكسرة نقطة أسفل الحرف[8].

-أمَّا علامة الضمة فجعلت نقطة آخر الحرف.

وروي أنَّ أهـل المدينـة في قديـم الدهر وحديثه قد اسـتعملوا في نقط مصاحفهم الحمرة للحركات والسـكون والتشـديد والتخفيف، وأمَّا الصفرة فللهمزات خاصةً. كما روي على لسان أبي الأسود أنَّه قال: "وقد استأذنتُ علي بن أبي طالب أن أضع نحو ما وضع فسمي بذلك نحواً [9]". ثم أخذ مظهر شكل القرآن الكريم، مما جعل المبادرة في وضع الشكل أمراً ضرورياً. أمَّا من الناحية الصوتية وتمييزها فقد كانت نقاطاً صغيرة وغير ملونة وسـمتها عدد تلك النقاط، وتميزت فوق الحروف وتحتها من قبل الحجاج بن يوسـف الثقفي، وربما عندما شـكلت الحروف بالنقاط الملونة، مما أدخل اللبس بين نقاط الحروف ونقاط الشكل.

وقد اسـتمر اسـتعمال هذا النمط من الشـكل حتى جـاء عبـد الملك بـن مـروان فـأراد أن يفرق بـين نقاط الشـكل ونقاط الحروف نفسها[10]. فكان الخليل بن أحمد الفراهيدي ( 175هـ ) _ إمام العربية في زمانه _ أول من صنف النَقْط، ورسـمه في كتاب وذكر علله، وأول من وضع علامات التحريـك ( ضمة، وفتحة، وكسرة)، وكذلك الهمزة والتشديد والروّم والإشمام[11].

يقول أبو الحسـن بن كيسـان: "الشكلُ الذي في الكتب مـن عمل الخليل، وهو مأخوذٌ من صور الحروف، فالضمة (واو) صغـيرة في أعلى الحرف لئلا تلتبـس بالواو المكتوبة، والكسرة (ياء) تحت الحرف، والفتحة (ألف مبطوحة) فوق الحرف[12]".

وأضـاف الخليلُ إلى هـذه العلامات (الضمـة والفتحة والكـسرة) خمسَ علاماتٍ أخرى هي: السـكون والشـدة

والمـدة وعلامة الصلـة وعلامة الهمـزة. وجعل علامة السـكون دائرة صغـيرة وهي رمز الصفـر عند الهنود؛ دلالةً على خلو الحرف من الحركة، وكان حذّاق الكُتّاب يجعلونها جيماً صغـيرة تكتب فوق الحرف بغير عراقة / أي بغـير كـمال؛ لأنَّ الجيـم هي أول حـروف كلمة (جـزم) التي هي اسـم السـكون، وقيل إنَّها ليسـت جيـماً، وإنَّما هي الميم آخر حروف الكلمة تُرسـم بغير عراقة. أمَّا الشـدّة فجعلوها شـيناً صغيرة تُرسـم فوق الحرف بغير نقط ولا عراقة، والشـين مأخوذة من أول كلمة (شـدّة)، ورسموا علامة الصلة صاداً لطيفة إشارة الوصل، واختاروا للهمزة العين بلا عراقة لقرب مخرجها. (صبح الأعـشى (3/164_170 ). وبهذه الطريقة أمكن أن يجمـع الكاتبُ بين الكتابة والإعجام والشـكل بلون واحد، واسـتعمل الخليل هذه الطريقة في كتب اللغة والأدب دون القـرآن؛ حرصـاً عـلى كرامة أبي الأسـود وأتباعه، واتقاءً لتهمة البدعة في الدين[13].

للخطاط المصري صلاح عبدالخالق

للخطاط السوري منير الشعراني

**الهوامش:**

1_ استعجم: أي استبهم واستغلق على الفهم ( اللسان _12/388-389) .
2_ صبح الأعشى ( للقلقشندي )/ الفصل الثالث من 147.
3_ محاضرات في علوم القرآن / المؤلف خالد الفتياني _ دار عمان _ الطبعة الثانية 1996.
4_ المرجع السابق.
5_ صبح الأعشى.
6_ محاضرات في علوم القرآن / مرجع سابق.
7_ أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي / المؤلف : د. سهيلة الجبوري _ جامعة بغداد _ 1997.
8_ محاضرات في علوم القرآن / مرجع سابق.
9_ المرجع السابق.
10_ أصل الخط العربي وتطوره / مرجع سابق.
11_ محاضرات في علوم القرآن.
12_ الخط والكتابة في الحضارة العربية / د . وهيب الجبوري / دار الغرب الإسلامي _ بيروت ط1 _ 1994 ( ص 108 ).
13_ المرجع السابق.

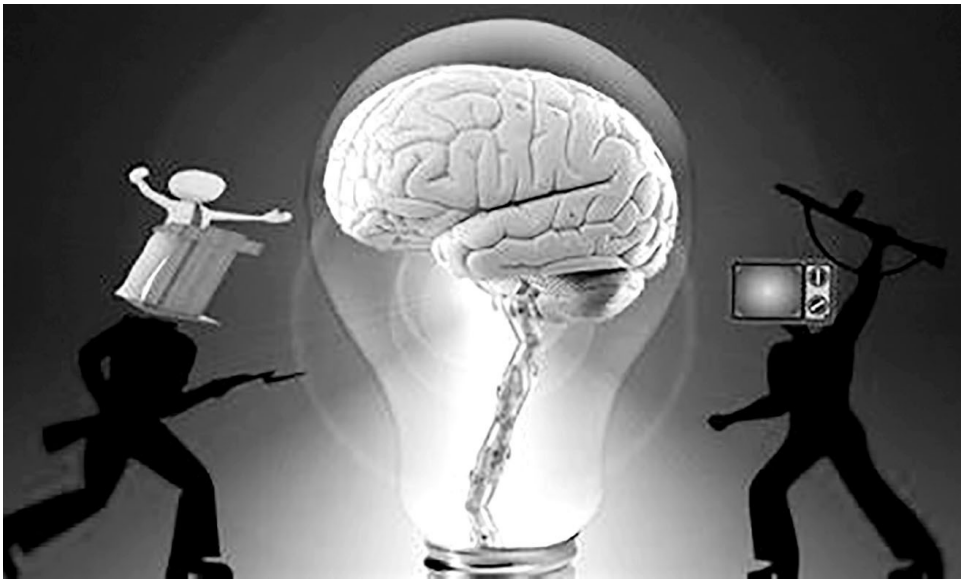

# نحو نظريةٍ فلسفيّةٍ في مواجهة التطرف والعنف والإرهاب

د. أماني غازي جرار*

لعلنا اليوم أحوج ما نكون لعالم يقوده السياسي البنّاء في وقت يرعاه التربوي الذي يتبنى نظام تربوي يراعي القيم الإنسانية كقيم الأخوة والمحبة والحرية والعدالة والتسامح والسلام. إنَّ مواطن اليوم الذي يجب أن نسعى إليه هو مواطن متسامح يبتعد عن الكراهية والعنف ويحارب التطرف، ويسعى لتمثل قيم الوسطية والاعتدال ويحارب التطرف والإرهاب. وهنا يأتي دور وزارات التربية والتعليم والتعليم العالي والثقافة والتنمية السياسية والإعلام، التي يقع عليها عاتق التربية الاجتماعية، والسياسية للمواطنين، حيث يجب أن تقوم بوظيفتها بشكل أفضل من حيث عملية تكوين آراء المواطن وأفكاره ومعتقداته وسلوكه وقيمه.

* أكاديمية وباحثة أردنية

ويؤكد كثيرٌ من الباحثين والمنشغلين بالعلوم الفلسفية أنَّ الطريق الأمثل والأنجع للقضاء على فكر الإرهاب والتطرف يتمثل في إحياء الفلسفة، وإعادة اعتبارها، وتجديد مكانتها في التعليم الأولي بالمدارس، فـ«الفلسفة كتعبير عقلي منطقي قادرة على مواجهة كل أشكال العنف والتطرف لكونها تزخر بالقيم الإنسانية التي تهدف إلى تحقيق نوع من التناغم بين البشر»، وهي أداةٌ مهمةٌ في علاج سعار الإرهاب الذي ابتليت به المنطقة العربية. ولا يتحقّق إنقاذ الأجيال القادمة من التأويل المنحاز للتراث إلّا عبر إعادة تأهيل الفلسفة في النظام التعليمي العربي .

هذه النقطة حول الفلسفة والحقيقة المطلقة هي منحى مهم؛ لأنَّ (الدوجماطيقية) التي تعني «الاعتقاد الجازم واليقين المطلق، وإنكار الآخر ورفضه باعتباره على باطل مطلق» هي عاملٌ مهمٌ في تكوين الإنسان المتطرف المتشدّد، وسمة لازمة لكل عقائدي متزمت. فهل الفلسفة في موضوعاتها، وتاريخها كانت خالية من الدوجماطيقية حقاً، ومناقضة للحقيقة المطلقة على الدوام؟.

ولا بدَّ من الوقوف على واقع الحال في العالم العربي عموماً لما يشهده اليوم من تطورات سلبية للأحداث المريرة التي تواجه العالم عموماً نتيجة الإرهاب الفكري والعملي.

ونحاول هنا تقييم واقع حال العالم العربي عملياً الذي يشهد حالة من الفوضى والتراجع في القيم الأخلاقية، حيث يعجُّ عالمنا العربي بالتطرف والعنف والإرهاب. ومحاولة تقييم الوضع القائم ووصفه، ومن ثم التصدي للسؤال: كيف نعمل على مواجهة التطرف والعنف والإرهاب الفكري السائد في واقعنا العربي من خلال إصلاح نظمنا التربوية؟.

تطرح الدراسة سؤالين واضحين، الأول: كيف نقيم نظمنا التربوية في عالمنا العربي عموماً؟ أمَّا السؤال الثاني فهو كيف يمكننا مواجهة التطرف والعنف والإرهاب الفكري تربوياً؟.

نلمس اليوم في عالمنا العربي حالةً متدهورة تربوياً وخلقياً تتطلب منا العمل بحذر لحل مشكلات التطرف والعنف والإرهاب من جذورها الأصلية ألا وهي الجذور الفكرية له.

ولفهم النظرية الفلسفية لا بدَّ من تناول المصطلحات التالية بالتفكير:

ثقافة السلام: هي الثقافة المتعلقة بمفاهيم السلام الذي يستند إلى المبادئ الإنسانية وإنهاء العنف والتشجيع على محاربته من خلال التربية والحوار.

قيم الحرية: وتشمل حرية التعبير والرأي والمعتقد والاتصال والاجتماع، والاختلاف واحترام الرأي الآخر، والإبداع، واختيار نوع التعليم، والتفكير أو الفكر، والانتقال والتنقل، وقيم المساواة وتشمل عدم التمييز على أساس الجنس واللون والدين والعرق أو اللغة والعشيرة أو المركز الاجتماعي والاقتصادي والمنطقة الجغرافية، والمساواة بين الجميع أمام القانون وفي المرافق العامة.

قيم العدالة: وتشمل العدالة في تطبيق الأنظمة والتعليمات وفي توزيع الموارد التعليمية وفي توفير الفرص التعليمية، وفي فرص القبول للتعليم، وفي توزيع الكفاءات العلمية، وفي توفير البنية التحتية للتعليم.

الكرامة وحقوق الإنسان: وتشمل الحق في التعليم المدرسي، وفي التربية المستدامة وفي الكرامة الجسدية، وفي المسكن وكرامة العيش، وفي التمتع بجنسية واسم، والظروف الصحية الجيدة، وفي التنمية الشخصية، وفي بيئة سليمة ونظيفة، وحماية الأطفال من الاستغلال والأذى، والحق في الحفاظ على الهُوية الثقافية، واحترام الخصوصية الفردية، وعدم التدخل في شؤون الآخرين، والاعتزاز بالذات الإنسانية، والتمسك بحقوق الإنسان.

التضامن والتسامح الإنساني: ويشمل رفض العنف ونبذ الحرب وتقبل الاختلاف والتنوع اللغوي والديني والعرقي، ومناهضة العنصرية، والتضامن مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وحل النزاعات بالطرق السلمية الإرادية واحترام الثقافات الإنسانية المختلفة، والتعاون أثناء الظروف الاستثنائية وتقديم المساعدة، والاهتمام بالبيئة والمصادر الطبيعية.

التطرف: من المفاهيم التي يُصعب تحديدها، أو إطلاق

تعميمات بشأنها نظرًا لما يشير إليه المعنى اللغوي للتطرف من تجاوز لحدِّ الاعتدال، وحدُّ الاعتدال نسبيٌّ يختلف من مجتمع لآخر وفقًا لنسق القيم السائدة في كل مجتمع. ويُعرف التطرف بأنَّه: الغلو في عقيدة أو فكر أو مذهب أو غيره مما يختصُّ به جماعة أو حزب

الإرهاب: أي عمل يهدف إلى ترويع فرد أو جماعة أو دولة بغية تحقيق أهداف لا تجيزها القوانين المحلية أو الدولية، وتقوم به جماعات منظمة أو غير منظمة لتحقيق مآرب خاصة بها .

خطاب الكراهية: يهدف إلى إهانة شخص أو جماعة والإساءة إليهم أو تخويفهم بسبب بعض السمات (مثل العرق أو الدين أو المعتقد السياسي أو الأصل القومي أو الإعاقة)، أو حتى بسبب الاختلاف في الرأي .

**الأدبُ النظريُّ**

يشكل القول بمبدأ التربية لمواجهة التطرف والعنف والإرهاب في السلوك الإنساني حاجة ملحة في العالم العربي، لا سيّما وأنَّ التربية هي الأداة الفضلى لذلك.

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أثر التربية عموماً في السلوك الإنساني، فقد امتاز فلاسفة التربية كالمفكر (كومينيوس) (1670) بفكره وكتاباته المفعمة بحب البشرية التي تعكس الأمل الذي يضعه في قابلية التربية على خلق الإنسان المحب للإنسانية كما ورد في كتابه (فن التعليم العظيم). وقد أشار فيه إلى تعليم الفرد النظرة الإنسانية التي لا تتقيد بحدود الوطن أو الدين.

ودعونا نستعرض هنا بعض آراء الفلاسفة والمفكرين بشأن التربية ودورها في إعلاء قيم الحرية والتسامح ومواجهة الإرهاب. فقد كان (روسو) مثالياً في فكره حيث اهتم بأن تعيد الحرية المدنية إنتاج الحرية الطبيعية. ولا ننسى هنا عبارة (جان جاك روسو) الذي نادى بالحرية "عودوا إلى الطبيعة"؛ فكانت دعوته التربوية متممة لدعوته السياسية لإصلاح المجتمع كما ورد في كتابه (العقد الاجتماعي)، وكما جاء في كتابه (ايميل أو التربية). ونذكر هنا المفكر (فروبل) مؤسس رياض الأطفال، حيث تناول التربية ودورها في تطوير الإنسان وتقدمه، وأكّد ذلك في كتابه (تربية الإنسان). ويرى كانط أنَّ التربية تبدأ بالترويض، أي ترويض الإنسان باعتباره ترويضاً لما هو إنساني فيه أي الارتقاء فيه. وقد بين كانط في كتابه (تأملات في التربية) أنَّ الضبط يرتكز على قهر الوحشية، وأنَّه يسبق الترويض.

وقد تناول المفكرون التربويون تعليم الأخلاق التي تكفل التصدي لكثير من المشكلات، وتمكننا من مواجهة التطرف والعنف والإرهاب. وينبغي قبل كل شيء غرس الفضائل الأساسية وهي الفطنة والاعتدال والثبات والعدالة، وينبغي اكتساب الفطنة بتلقي تعليم جديد وبتعلم الفروق الأساسية بين الأشياء والقيمة النسبية لها، وينبغي تعليمهم مراعاة الاعتدال، ويجب أن يتعلم الثبات باخضاع النفس وكبح الرغبة في اللعب وكبح الملل وعدم القناعة والغضب، وينبغي أن يتعلم الصغار ممارسة العدالة؛ وذلك بعدم إيذاء أي إنسان وبإعطاء كل ذي حق حقه، وبتجنب الخداع والكذب.

أمَّا في الفكر المعاصر، فقد تم تناول تلك الفضائل، مثل مبدأ العدالة الأساسية والحرية السياسية وحرية التعبير وحرية الفكر والضمير والحرية الشخصية، فجميعها تؤلف معاً الحقوق المتساوية للجميع وفق مبدأ العدالة لدى المفكر (رولز). ونستذكر في هذا الصدد عبارة المفكر (ألبير جاكار) الشهيرة: "كل الدول في حاجة إلى مدرسة السلام".

وبيّنت دراسة (ستيرنبرج) (2001) بعنوان "لماذا على المدارس أن تعلم من أجل الحكمة: نظرية توازن الحكمة في البيئة التعليمية" أنَّ أهمية تعليم الفلسفة يتيح بيئة تعليمية تعزّز التربية على المبادىء المناهضة للعنف والكراهية.

وأكّدت دراسة خليف (2019) بعنوان "الإرهاب الفكري والتدافع الحضاري" أنَّ موضوع الإرهاب الفكري واحدٌ من أهم المواضيع التي تهدّد الأمن والنظام العام في المجتمعات، وصوره واسعة وآثاره كثيرة الحدوث في حياتنا اليومية من فتن وحروب طائفية، وانتشار التطرف والأفكار المتطرفة، وكذلك التحريض على العنف، الذي أسهمت

به وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وكذلك مناهج التعليم والمحاضرات والخطابات الدينية، كما كان للمذاهب والرموز الدينية المتشدّدة دورٌ في اندلاع نيران الإرهاب الفكري أو في إخمادها، لما لهم من تأثير بارز في حياة الأفراد وسلوكهم.

إنَّ دعاة التجديد في الفكر التربوي يعتبرون التعليم (صناعة اجتماعية) تتم من خلالها إعادة صياغة الإنسان في صورة يتم فيها التوافق بين ما يرغب فيه الفرد ويقدر عليه، وبين ما يطلبه المجتمع ويتيحه وفق المنظومة الخلقية. وبهذا تعمل التربية المستقبلية، التي نريد أن نخطط لها كتربويين، على خلق إنسان المستقبل وفق اتجاه أصحاب فلسفة التطور؛ وعلى رأسهم (سبنسر) الذي يؤكّد على حرية الإنسان وفاعليته في وضع مستقبله. فالتربية تبقى القوة الثورية وأساس النهضة.

ولضمان تنشئة مواطن صالح وتربيته بعيداً عن العنف والتطرف والإرهاب؛ وجب على التربويين اعتماد منهجية علمية مدروسة تتصدى لذلك، وفق منظومة تربوية مقترحة لبناء وخلق مواطن إنساني النزعة، مسالم يتمثل القيم والأخلاقيات ويسعى لتحقيق مبادئ السلام، يحارب التطرف والإرهاب ويظلُّ محباً للإنسانية جمعاء. وتتكون هذه المنظومة من مكونات رئيسية تقوم على منظومة التربية على قيم السلام.

ويمكن تحقيق قبول الفرد للتنوع وتنظيم الاختلافات في ميدان التربية المعرفية من خلال التصرف وفق تعليم الفرد على مجموعة من المبادىء أهمها: احترام الآخر والتنوع والمغايرة، زرع التنوع، وخلق فضاءات للإنصات، اعتماد مقاربات متعددة من خلال استراتيجية الانفتاح وقبول (الآخر) الغيرية والتجديد، وتعليم الفرد السلوك السلمي والاعتدال، ورفض كل أوجه التطرف والعنف والإرهاب.

إنَّ تربية التعايش مع الآخرين والسلام مفهومٌ ضروري في زمن تغزوه الحروب، ولا سيّما في العالم العربي، حيث عجَّ بما سُمّي بالفتوحات، وكذلك الاحتلال بأشكاله. فالتاريخ العربي كان وما يزال يغصُّ بمعاداة السلام، ولعله يصرخ مستنجدا الأنا المقهورة عبر التاريخ التي ترعرعت وعانت من معاداة الآخر، من حروب خاضها العرب ربحاً وخسارةً.

ولا يفوتنا هنا أنَّ حق الفرد بالأمن خطوة ضرورية لتحقيق الأمن المجتمعي، فالدولي، وصولاً إلى مرحلة تضمن السلام السياسي العالمي، ويتجسّد "حق الأمن" في أشكال عدة أبرزها حق العيش الآمن، ومبدأ السلام العالمي، ولعل تاريخ العرب يظهر احتياجنا للاهتمام بتحقيق شروطها.

وتظلُّ العقلانية مطلباً أساسياً في أي حراك عربي راهن أو مستقبلي. فالعالمُ العربيُّ يحتاج إلى فعل تضافري من قبل جميع النظم الثقافية والأيدولوجية والسياسية.

ولعلنا هنا أكثر ما نكون بحاجة إلى إعادة بناء العقل العربي الذي ينشد العقلانية، وسبل الخير والمحبة والسلام، ويحارب أشكال الكراهية وخطابها ويواجه التطرف والإرهاب.

من هنا كان لزاماً علينا السعي (نحو ميثاق مواطنة عربي) كما ذكر سمو الأمير الحسن بن طلال، حيث قال: "من هذا المنطلق لا أقبل بمقولة صراع الحضارات؛ لأنَّ الحضارة العالمية واحدة متصلة"، وهذا ما يمكن أن يُؤطر في إطار حضاري متسامح بعيداً عن العنف وسفك الدماء.

فوقفة جريئة على واقعنا (العربي) تحديداً تتطلب منا التفكر العقلاني. فالمواطنة العربية تتطلب منا بلا أدنى شك إعادة بناء الذات من أعمق الأعماق؛ بل إعادة هندسة الكينونة العربية من أجل أن نكون جزءاً من المواطنة العالمية بإنسانيتها الكلية، وبحيث ننطلق من خصوصيتنا وهُويتنا نحو الإنسانية المشتركة الواحدة. ففي ضوء دعوة سموه الموصولة فكرياً وعملياً إلى نظام إنساني عالمي جديد، فلا بدَّ أن يُؤسس قانون عالمي للسلم.

ولبناء نظرية فلسفية عربية في مواجهة الكراهية والتطرف والإرهاب على مستوى العالم العربي، فإنَّه لا بدَّ من توافر جملة من المقومات:

- إعادة بناء المنظومة العربية الجديدة في إطار إنساني متكامل مع العالم.
- اعتماد الأسس العقلانية والضمانات القانونية لإحلال

الأمن والسلام في الدول العربية.

- احـترام التنـوع وحقوق الإنسـان وحرياته العامة في العالم العربي وعالمياً.

- الالتزام بقيم التسامح والمساواة والحرية والديموقراطية والسلام في النموذج التربوي لدى الدول العربية.

ولبناء نظرية فلسـفية في مواجهـة الكراهية والتطرف والإرهاب كذلك؛ علينا العمل مع الآخرين من أجل تحقيق ما يُسـمّى بإمبراطوريـات (الاحترام)، ومـن الطبيعي أنَّه يصعب بناء دولة عقلانيـة تماماً قبل إلغاء كل الاختلافات وإزالة الحدود القومية بين البشر.

فإن أراد العرب تحقيق انتصار فلا بدَّ لهم أن ينسـجموا مع الأمـم الأخرى ثقافيـاً وحضارياً، ولا بـدَّ للمواطن أن يسـتوعب الاختلافات والأيدولوجيات والقوميات الأخرى، فيرفـض العنف وممارسـات الظلـم والعبوديـة والحرب، ويعـود إلى الخطـاب الإنسـاني العقلاني. وهكـذا تبرز لنا كعـرب ومفكرين أهمية مراجعة القيم الثقافية السـائدة لدينا وضرورة إنتاج قيم جديدة لنعمل على تغيير القوالب الأيديولوجية التي وضعنا بها طوال السنين.

نحتاج إلى العقلانية وتبني النهج الإنسـاني لنتمكن من مواجهة التطرف والكراهية. وقد بيّن سـمو الأمير الحسـن بـن طلال في مؤتمر حول الحوار بين الشرق والغرب ضرورة العمل من أجل معالجة القضايا الإنسانية، وهذا لن يكون بدون التواصل الإنسـاني والتقارب بين الثقافات والشعوب المختلفة بشـكلٍ يُعنى بالقضايا الإنسـانية فوق القطرية، وبحيث يتقبل الإنسـان العربي الاختـلاف والتنوع اللغوي والديني والعرقي والحضاري.

## المصادر والمراجع


-الأشقر، رباب رمضان، 2019، دور مواقع التواصل الاجتماعي في ترويج التطرف الفكري وآثارها علي الأمن الاجتماعي، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب جامعة طنطا، مصر.

- بوجمعة، رضوان، 2016، قاموس الحقـد والكراهيـة في وسائل الإعلام التونسيـة. اوكسفام. تونس.

-جـرار، أماني، 2015، إرهاب الفكـر وفكـر الإرهاب. دروب ثقافية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى. عمان، الأردن.

-خليف، محمود، 2019، الإرهاب الفكري والتدافع الحضاري. المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب جامعة طنطا، مصر.

- شتيـوي، موسى وأبـو رمان محمد، 2018، سوسـيولوجيا التطرف والإرهاب في الأردن: دراسـة ميدانية وتحليلية. مركز الدراسـات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية. عمان، الأردن.

- الطيـار، صـالح بـن بكـر.(2013.(الإرهاب والمواثيـق الدوليـة المعنيـة بمكافحـة الإرهاب. مركـز الدراسـات العربية الأوربية: باريس.

-عبـد الفتـاح، نبيـل، 2014، الـرؤى الملتبسـة بين الإعـلام والإرهاب، المركـز العربـي للبحـوث والدراسـات: القاهرة.

-الرشيـد، عبـدالله، 2016، هـل تدريس الفلسفـة يحمي مـن التطـرف والإرهاب. العربية: (https://www.alarabiya.net)

.Benesch, S. (2014). Defining and diminishing hate speech. State of the World's Minorities and Indigenous Peoples, 2014, 18-25

.Bright, J. (2018). Explaining the emergence of political fragmentation on social media: The role of ideology and extremism. Journal of Computer-Mediated Communication, 23 (1), 17-33

.Jongman, A. J. (2017). Political terrorism: A new guide to actors, authors, concepts, data bases, theories, and literature. Routledge

.Schmid, A. P. (2011). The definition of terrorism. In The Routledge handbook of terrorism research (pp. 57-116). Routledge

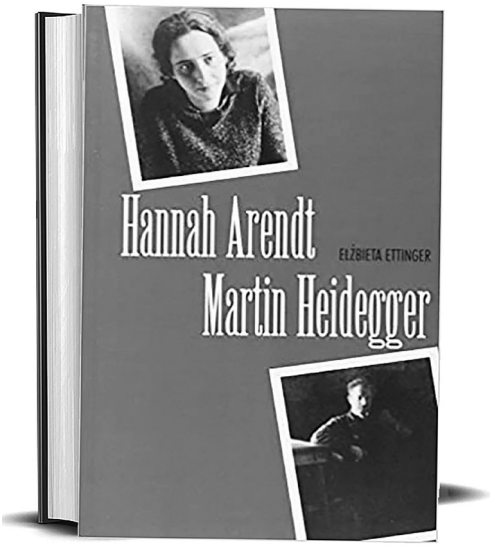


## رسائل بين: "هانا أرينت" و"مارتن هيدجر" 1925 - 1975م ترجمة: د. حميد لشهب

قراءة: جميلة عمايرة*

كان من الممكن أن تبقى هذه الرسائل بين " هانا أرينت" و"مارتن هيدجر" في سباتها الطويل بالأرشيف الأدبي الألماني بمدينة "مارباخ"، لو لم تذكر"إليزابيث يونغ بروهل" في كتابها المعنون" للحب في العالم"، هذه العلاقة الغرامية التي كانت معروفة للعموم. وذكرت "إليزابيث" بأنَّ تبادل الرسائل بينهما موثقٌ وموجودٌ، لكنَّه محتفظ به وبسرية تامة في هذا الأرشيف. بعد ذلك نحجت" إليزابيتا" في العام 1995، وكانت تكتب كتاباً عن حياة "أرينت".

نجحت في معاينة هذه الرسائل، بل وقرّرت أن تُنشر، وفي السنة نفسها نُشرت في سلسلة "بابير" بالألمانية بعنوان" هانا أرينت - مارتين هيدجر: قصة".

وبما أنَّ الصورة التي رسمتها في هذا الكتاب عن "هيدجر"، كانت سيئة للغاية، فإنَّ ابن" هيرمان" الوارث الشرعي لحق التصرف في الإرث الفكري لوالده، قرّر أن يضع هذه الرسائل، كما تقول "أرسولا أودتس" في متناول الجمهور.

* كاتبة أردنية

يتعلق الأمر إذن ب119 رسالة، وبطاقة بريدية، وأخبار قصيرة منه لها، وبعض القصائد التي نُشرت بالكتاب، وب 33 رسالة منها له، إضافةً إلى بعض الرسائل الأخرى، ليست لها قيمة كبيرة، بما في ذلك بعض أشعار "هيدغر".

لم يقيض لأي كتاب ل"أرينت وهيدغر" أن يعرف هذا الاهتمام الواسع الانتشار بل الكاسح، مثل هذا الكتاب الذي نُشر "تبادل الرسائل" بينهما على الصعيد العالمي، وفي مدة قصيرة جداً. فقد حظيَ باهتمام السينما والمسرح، والندوات الثقافية، وحلقات الدراسة والصحافة المتخصّصة، وتلك الموجهة لجمهورٍ عريضٍ من القراء.

**اللقاءُ العاصفُ**

بسبب عطش "هانا أرينت" الفلسفي، والإشاعات التي كانت رائجة حول إمكانية" تعلم التفكير"، في جامعة "كونيكسبريغ"، قرّرت الذهاب لهذه الجامعة في خريف 1924، لتدرس فيها على يد فيلسوف شاب يسمى "هيدغر". ولم تكن تعرف في ذلك الوقت، أنَّ الحبَّ والفلسفة سيجمعهما إلى أن يفرقهما الموت، بالرغم من سنوات النازية التي فرقتهما عن بعضهما البعض فكرياً وفيزيقياً.

في هذا الإطار يُطرح سؤالٌ جوهريٌّ بحجم العلاقة التي جمعتهما: ما هي القوة الخارقة التي سمحت لهما بإعادة ربط العلاقة وهي "اليهودية الملتزمة" مع مفكّر يؤمن بأنَّ دور النازية بالتربية من شأنه أن يحقّق إنساناً جديداً؟ أكان هو الحب؟ الفكر؟ الفلسفة؟ أم هو شيءٌ أعمق وأثقل من هذا؟ وما عسى أن يكون هذا الشيء؟ أيمكن أن نكتفي بالجواب الذي تقدمه" أنطونيا غرونينبيرغ" إنَّه الحب في كل نطاق تنوعاته: الإيروتيك، الاندهاش، الوفاء، الخيانة، الشغف، الروتين، التصالح، التذكر والنسيان...الخ.

ما جمعهما فكريّاً هو وعيهما بضرورة القطع مع التراث الموروث كل بطريقته؛ (أرينت) بدفاعها عن فكرة ضرورة وصول أو نزول الفكر إلى العالم والاهتمام بالإنسان في ضعفه وتجاربه ومحنه، أي فلسفة سياسية جديدة بينما اختار (هيدجر) الخطاب الفلسفي في اجتهاده منقطع النظير من أجل إنقاذ الفلسفة من براثن تقليد ميتافيزيقي أضرَّ بها أكثر مما خدمها.

**الهروبُ من حبّه وكارثة النازية.**

هربت منه بعد سنتين تقريباً من (ماربورغ) إلى (هايدليبرغ) لكي تثير رغبته أكثر، لكنَّها تعود إلى (مالبورغ) كلما طلب منها ذلك وناداها بالاسم المستعار الذي أطلقه عليها "حورية الغابة"، وكأنَّها مجرورة مغناطيسياً إليه، وهي كانت تناديه ب "قرصان البحر" بعد ذلك أرادت أن تثير غيرته عندما أخبرته بأنَّها تنوي الزواج من أحد تلامذته "غونتر شتيرن"؛ إلا إنَّه لم يحرك ساكناً بل تمنى لها السعادة، ومع ذلك استمرت العلاقة بينهما إلى أن انقطعت لمده سبع عشرة سنة تقريباً، بعد أن انظم "هيدجر" للحزب النازي قبل أن يغادره من جديد.

**مفهومُ الحب عند "هيدجر" و"أرينت"**

إنَّ تبادل الرسائل بين "هانا أرينت" و"مارتن هيدغر" يشبه إلى حدٍ ما طريقاً سيّاراً يدور حول مدينة كبيرة، ولهذه المدينة مداخل عدة آهلة بالأفكار والعواطف. حاولت تخصصات فكرية وإبداعية عديدة أخذ المَخرج الذي يلائمها لسبر أغوار هذه المدينة، وظلت الفلسفة غريبة نوعاً ما عنها. لم يتجرأ على دخولها لحد الآن أي فيلسوف. اللهم بعض الشذرات من هنا وهناك.

عندما يتمعن المرء بهدوء أسلوب "هيدغر" في رسائله "لأرنيت" فإنَّه يكتشف بأنَّه يعطي لمفهوم الحب معاني كثيرة لها علاقة بموقفه الفلسفي الأساسي: حب الآخرين، الحب كإرادة عاقلة، حب الكينونة، الحب كحدث، الحب كسماح بالكينونة.

يتأسس مفهوم الحب عند "هيدجر" حسب "كريستيان

هانا أرينت" و"مارتن هيدجر"

سـومر" في الكينونة والزمن على تعاليم "أرسـطو ولوثر" وعـلى مصـادر العهد الجديـد. ونلمس هذا في دراسـة "هيدجر" حول "أرسـطو" و"أغسطين" بين 1920و1926، وهـي دراسـة تسـمح بفهم جيد بـأنَّ الأمـر يتعلق في الكينونـة والزمن بمفهـوم الحب. ومـع أنَّ "هيدجر" لا يسـتعمل كلمة حب مباشرة وصراحة، فإنَّه يشـير إليها ضمنياً بمصطلحات مثـل الاهتمام والعناية، والوجود مع الآخر، والممتاز.

أمَّـا (أرنيت) فقد اهتمت عند تعرضها لمفهوم الحب بما اهتم به (هيدجر) أيضاً، وأعطته معنيين باحتمالين، أن يعنـي هذا، أريد أن تكون كما هو أنت: بالفعل/ بالواقع /حقيقـة. بحيث إذا كنت أنت في جوهرك فإنَّ هذا ليس حباً، إنَّه إدمان على الرغبة في التسلّط بما يعني هذا: أريد أن تكون كما كنت. يعني عارفاً، ثقةً.

**تبادلُ الرسائل كتتمة لفهم فكر "هيدجر"**

إذا سلمنا بذلك فإنَّنا نكون في عمق ما يمكن أن نتعلمه من تبادل الرسـائل بين "هيدجر" و"أرينت" عن فكر كل واحد منهما وبالخصوص تكميل معرفتنا ب"هيدجر". ما نستشـفه بهـذا الفكر هو أنَّه لا يمكـن قبول أي شيء في ومن الزمن الذي نعيشه دون تأمل الخط الذي يفرق بين العالم القديم والعالم الجديد،

وطبقاً لهيدجر يجـب تركيز التفكير على خط التماس هذا وليـس على ما ورائه أو ما تحتـه، وهذا التركيز هو الذي يضمـن لنا عدم التخطي هذا الخـط الفاصل... لا يتعلـق الأمـر إذن بفاصل زمكاني لكـن بتعيين الحدود، فالكينونـة لم تغـب وتضمـر في تاريخ التفكـير على مرِّ العصور كما غابت في عصرنا.

وهذا الخطُّ الفاصلُ هو العدمية كما يقول (هيدجر): "إنَّ ميدان العملية المكتملة يرسـم الحدود بين عصرين للعـالم، لم تكن القـوة في العالم القديم تقـود إلى الهدم والمراقبـة، وفيه تطـوّرت أعمال الجـمال والحقيقة، أمّا العالم الجديد حيث تطـوّرت الأخلاق النفعية وخضعت لعقلنه حمقاء؛ فإنَّه تحقّق في الهدم".

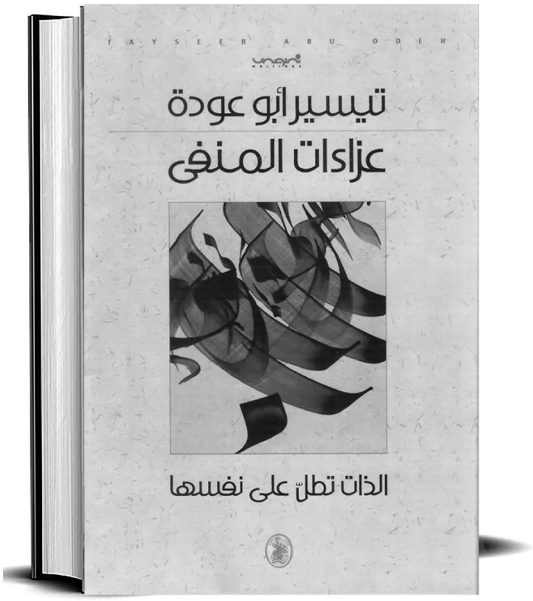


## قلقُ المنفى وأطيافُ الكتابة في "عزاءات المنفى" لتيسير أبو عودة

ابتسام الحسبان*

تطالعنا أولاً لفظة (عزاءات)، فتثير فينا تلك الألفة الحميمية للمواساة، الرغبة في أن نتخفف من حزنٍ أو قلقٍ أو وجعٍ نكابده وحيدين، فنبحث عما قد يكون عزاءً وسلوى وراحةً لنا. ما إن نرتاح لتلك الألفة حتى تواجهنا اللفظة الثانية للعنوان (المنفى)؛ بكل ما يقترن به من مشاعر الاغتراب والبعد والوحدة والحنين، فتتشوش إدراكاتنا، ويثار فضولنا؛ هل من عزاء في المنفى؟ يحيلنا العنوان إلى نصٍ سابق: (عزاءات الفلسفة) ل"آلان دو بوتون"، الذي يفتح باباً لفلسفة (سينكا وشوبنهاور ومونتين...) وغيرهم، لتعزّي إحباطاتنا وعجزنا وانكسارات القلب المتوالية، إذن.. يحذر النص قارئه: ما ستجده ها هنا هو بشكلٍ أو بآخر فلسفةٌ من نوعٍ ما.

* باحثة وكاتبة أردنية

تتجــول بعد ذلك عينــا القارئ على الغلاف بحثــاً عن العتبة الثانية، التي تشــير إلى جنس أو نــوع العمل، فهو يودُّ أن يعرف مسبقاً نوع المغامرة التي سيخوضها، هل هي شعر، نثر؟ هل هي رواية؟ قصة؟ ســيرة ذاتية؟ لكن النص يحذر القارىء مرةً أخرى: هــذا نصٌ مخاتل، لا يعترف بالأنواع ولا يضع حدوداً بين الشــعر والنثر، بين السرد والقص، فإن لم تكن مســتعداً يا قارئي للتشكيك بمسلماتك عن الكتابة؛ فهذا الكتاب ليس لك!!.

لكــن الكاتب لا يتركنا دون دليلٍ نهتدي به في رحلتنا، فيُهدينا عنوانــاً فرعياً علّــه ينجينا من الحيرة (الذات تطل على نفســها) لكــن كيف يمكن للــذات أن ترى ذاتها؟ كيــف يمكن للوعي أن يعــي وعيه؟ نحــن إذن أمام تأملاتٍ للوعي قد تشــابه يوميات "ســلفيا بلاث"، أو سيرة ذاتية سردية تشابه "رأيت رام الله" لمريد البرغوثي.

يدخل القارئ إلى النص وهو يظنُّ بأنَّه ســيكون وحيداً هناك في المنفى، مع تلك الذات التي تطلُّ على نفســها؛ لكن ما إن يلج الباب حتى يجد نفســه يتجول مع: أفلاطون وشكســبير والمعري ومحمود درويش والسروجي وأفروديت وشهرزاد وبروميثيوس.. ويتعرف بأقارب وأصدقاء تلتقيهم الذات الساردة في تأملاتها.

في الكتاب مئة وسبعة وعشرون نصاً تتأبّى على التصنيف، فإذا كانت النظرية الأدبية تســعى إلى تقنين النص الأدبي وتجنيســه؛ فهناك دوماً (نص جامع) بتعبير "جيرار جينت"، قادر على مواكبة تطــورات وخصوصيات عــصره ومانع لأي تصنيــفٍ نهائي. وهذا مــا نجده في نصوص "تيســير أبو عودة"، المنفلتــة من التصنيف والانضمام إلى نوع محدد.

قد يجد القارئ نصاً يبتدئ بالنثر، شبيهاً بسردٍ تأملي؛ لينعطف به في نهايته نحو الشعر الذي يتداعى في صور تعيد كتابة السردي بأســلوبٍ شــعري، كما في نص (حدائق المنفى) و(فاكهة صوفية) أو قد يظن أنَّه يقرأ شــيئاً من سيرة ذاتية، ليكسر النص توقعاته، ويُفاجــأ بأنَّه أمــام قصة قصيرة، كما في نــص (مئذنة عمران) أو (شبح في رام الله).

وقد يجد نفسه أمام نصٍ يرفع يديه مستسلماً، ويعترف بِدِعَةٍ: أنا قصيدة، كما في (مجاز النافذة) و(عودة مســتحيلة). أو يواجه نصاً مخادعاً، لايعرف أين يضعه، فهو ليس شعراً بالمعنى العادي، هو سردٌ شــعري أو شعرٌ مسرود إن جاز التعبير، فالمكون المهيمن هــو الــسرد، لكنّــه سرد ذاتي انفعــالي، يعتمد التكثيــف والرمز والانزياح، وينقل الانفعالات والعواطف تماماً كما يفعل الشــعر، مثل نص (الكتابة وشرفة المعنى) و(رقص وهاوية).

ثمة نصــوص يحــارُ أمامها قارئهــا، فهل هي قصة؟ شــذرة؟ ومضة؟ مثل (مدينة متوحشــة) و(شجرة قديمة)، لكنَّه لن يقف طويلاً هناك، فأمام الجمال.. هل تهم حقاً المسميات؟ وكما يقول "هوغو": "الفكر تربة عذراء خصبة، تريد إنتاجاتُها أن تنمو حرةً.. من دون أن تصنف نفســها، من دون أن تنخرط في صفوف كأنَّها باقاتٌ في بســتان كلاســيكي". وربما، يكون لجوء الكاتب إلى هذا التهجين والتداخل في الأجنــاس، متولدٌ من طبيعة الموضوع بحد ذاته؛ فالشــعر أساسه صراع الإنســان مع ذاته ومع الطبيعة من حولــه، فإذا أضفنا عنــصر المنفى، الذي يقتضي الــسرد والتأمل؛ وجدنــا أنَّ هذا التهجين هــو طريقة المبــدع في محاولة تخطي واقعه المتشابك.

تتعــدد الموضوعات في ثنايا النصــوص، فيرتحل قارئ عزاءات المنفــى بــين الوطــن والحــب والأم والوجــود والفقــر والمنفى والليبرالية والحلم ولقاءات الصدفة والكتابة والموسيقى والسردية الفلسطينية ومشردي نيويورك... كما يشعر بذلك الوجود الكثيف للمــكان وللزمان، فيتنقل بين فلســطين وعمان ومأدبا ودمشــق ونيويورك وتونس وإنديانا وحيفا واسطنبول والمسسبي...

يلجأ تيســير أبو عودة إلى التنــاص مع كل ما كتب على لوحة العالم الأزلية، لتشــكل معاً فسيفســاء "كريســتيفا" المثالية، فهو ينهل مــن تراثات متعددة، إســلامية ويونانية وســاميّة وبوذية وعربية، فيلتقي قارئه بالمعري وبروميثيوس وابن عربي وشكسبير وهيلــين وبوذا وأنكيدو (كلكامش) وســيزيف والحلاج وأبي عبد اللــه الصغير- آخر ملــوك الأندلس- وأوفيليا وإدوارد ســعيد في مــكانٍ واحد، دون أن يشــعر بالغرابة، كأنَّه لم يغــادر المكان أو الزمان.

وتُحســب له هذه القــدرة على التوليف بين فلاســفة وأدباء ونقّاد وصوفيين وآلهة وشــخصيات أدبية، دون أن يشعر متلقيه بالفذلكة الثقافية، أو بالضيق من كثرة التناصات، التي أتى بعضها مقتبســاً أو مضمناً أو على شــكل محاكاة، كــما في قصة (جديلة نسيبة وسيف نويدرة) في محاكاتها لأسطورة شمشون ودليلة.

ثمة حضــور كثيف أيضاً للعلامة الســيميائية، الدال والمدلول وعلاقتهما بالذات الســاردة، وخلفيتها المعرفية وخبرتها الحياتية. إلا أنَّ العلاقة بين شــقي العلامة ليست ثابتة ومنضبطة؛ بل هي متغــيرة متعددة، تُــشرك القارئ في اللعب والانخــراط في " فتنة الــدال وشــهوة الكتابة" بتعبير "بــارت". أحد تلك الــدوال التي تكررت في "عزاءات المنفى" هي (اللون الأزرق) الذي ظلَّ يتفلت مــن مدلولــه على طول الكتــاب، "فثمة لغــز سري في الأزرق لا يفصح عن نفســه" كما يقــول أبو عودة، هو لــون ميتافيزيقي،

بِركة زرقاء، وسقف أزرق، وخيال أزرق وطاحونة زرقاء والأزرق الغامض والشرق الأزرق ومتاهة زرقاء.. ويمكن للقارئ تتبع دوال أخرى مثل القهوة والمنفى والرائحة، تنفلت من دوالها وتدخل في لعبة الدلالة والمعنى اللانهائي.

فإذا خرجنا مـن الجمالي نحو الثقـافي والأيديولوجي؛ إذ إنَّه لا أدب بـدون أيديولوجيـا ولا نقد بلا سياسـة كما يقول "تيري إيجلتـون"؛ فـما بالنا بنص تكتبـه ذات لها جذور فلسـطينية، وهُوية عربية تعيش في منطقة تقع على فوهة بركان منذ عقود، وتعاني ما تعانيه اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً. ربما يدرك الآن القارئ اختيار المنفى كمنطلقٍ للنص؛ فالمنفى اغتراب، مكاني ونفـسي، والمنفى مواجهة للذات وللآخر، وعبر الآخر تتمكن الأنا من الإطلال على نفسها، ومراجعة معتقداتها والتشكك بمسلماتها. لذلك للمنفى القدرة على إعادة تشـكيل الهُوية بطريقةٍ ما، إمّا بهدمهـا وإعادة بنائها، أو بجعلها تعـود إلى جذورها، تبحث في سردياتها ومعطياتها.

يتتبع تيسـير أبو عودة تشـكلات هُويته، التي يحدس قارئه بإيمانه باتساعها، ليكون الإنسـان أكبر من هُوية ضيقة منغلقة. تعـجُّ النصوص بذكريـات الطفولـة والأمكنة وبدايـات الوعي الوجودي، وتلَمّس موقع الأنا في هذا العالم، يقول في نص (الذات تطلُّ على نفسـها): "عليك أولاً أن تكتشف أنَّ ذاتك التي تعرفها ليست الوحيدة لديك. المهم أن تجد ذواتك الأخرى، وتتحرر من وهم ذاتك الوحيدة"، ويقول في (مكنسة الجغرافيا): "الهُوية هي الخسـارة. هي الهروب من الذات الحالمـة إلى الذات المهزومة"، ورغم هذا الانعتـاق؛ نحدس رجوعاً مسـتمراً إلى بؤرة مركزية، وجوهر هُوياتي لا يتغير.

ثمة عودة دائمـة إلى جذرٍ أبعد، وانتماءٍ أوسـع، إلى (كنعان) يـتردد صـداه في النصوص، ربمـا في محاولة من الـذات لتتصل بماضيها الإنسـانوي المتسـع أكثر مـن اتصالها المحـدود بوطن وحـدود ضيقـة، حيث يمكن للـذات أن تتحرر مـن إرث ثقيل تحمله على أكتافها، قد يعيق تقدمها في الوجود، ويجعل الفضاء مـن حولها أرحب لتتقبل ذاتها وتتفهـم سردية الآخر عنها وعن ذاته أيضاً، في جغرافيا متفجـرة بالحروب والصراعات العنصرية العرقية. وربما يكون فيـه أيضاً نوع من إثبات الوجود التاريخي في وجه السردية اللاهوتية المضللة، التي تنفي حق الفلسـطيني بالإقامة على أرضه.

(المـاضي نص مفتوح على التأويل) كما يقر بذلك نص (مديح النسـيان) لذلك على المثقف البحث عـن الحقيقة والدفاع عن سرديتها؛ فللأدب قدرته الاسـتثنائية على إعادة كتابة السرديات وما نقوله عن أنفسـنا، وله القدرة على مواجهة الظلم والمقاومة وتحدي الأيديولوجيات السائدة، لا سيّما في عصرٍ باتت فيه الآلة الإعلامية والفضاءات المفتوحة، مُسـخَّرةً لتشـويه صورة الواقع، وتغييـب الحقيقـة بكثرة الكذب كما نبهت "حنـا آرنت"، حتى يصبح التشكيك وعدم الإيمان بأي شيء هو الحقيقة الوحيدة.

تجـولُ نصوص (أبو عودة) في خبايا "الـذات المهزومة فينا... الـذات المنكسرة، وهي التـي صارت منذ عقود سـلعة رخيصة يتاجَر بها في سوق الوطنية الفجّة وشعاراتها الهشة التي لا تقوى عـلى مقاومة قرار واحد من الناتو" بحد تعبيره في نص (الحدائق والمنفى). يقابل القارئ هذه الروح المنهزمة بأشكال متعددة، كما في (شـبح في رام الله) و(حارس المقبرة) و(صدى البترا) و(خرائط الموت)، التي تلاحق انكسارات الهُوية العربية والفلسطينية.

ونصـوص مثـل (مئذنة عمـر) و(محاولـة انتحار فاشـلة) و(سـارة بنت الريح) و(مليح وأحفاد بروميثيوس)، التي تلاحق هيمنة السـلطة الدينية والسياسية والأبوية على تفاصيل عيشنا اليوميـة، وتُظهر ذلـك الضعف الكامن فينا وعـدم قدرتنا على مواجهة وتحدي تلك الهيمنـة المفروضة بالقوة حيناً وبالنعومة السـائلة أحياناً أخرى. هي نصوص كُتبت بلغة شـعرية مكثفة ودلالات حاضرة غائبة، وإن كان يؤخذ على بعض النصوص لغتها الاستسلامية، وخلوها من شـخصيات تمتلك القدرة المبهجة على تعاطي الأمل، فالواقع قد يكون العكس فمن واجب الأديب على الأقل الإعلاء من تلك الروح المقاومة.

في نصوص مثـل (معجم الضحيـة) و(مدينة إنديانا وشـبح الهنود الحمر) يتسـاءل تيسـير أبو عودة عن الحكاية الأمريكية مع الهنود الحمر، والإبادة الجماعية للسكان الأصليين، والاستعلاء المرَضي للرجل الأبيض. في إشـارةٍ مقارِنة بين الماضي والحاضر؛ إذ إنَّ من ارتكبوا تلك المجازر بالأمس هم أنفسهم من يبارك الإبادة والمجازر الإسرائيلية التي تُرتكب بحق الشعب الفلسطيني اليوم، محاولين تزييف التاريخ بخطاب القوة الإمبريالي.

وقبل أن يخرج قارئ "عزاءات المنفى" ويغلق الباب وراءه؛ قد يشـعر بالخديعة، فقد دخل وفي نفسه فكرة مسبقة عن ماهية تلك العزاءات، كأن تكون تلك العزاءات مادية محسوسـة، فكرةٌ مأخـوذةٌ من تجربته اليومية والواقع المعيش، في عصرٍ رأسـمالي مجنون، طغى عليه التشـيؤ، والاختزال، إلى أبعدِ حد؛ ليدرك بأنَّ ما لم يقله أبو عودة صراحةً، هو أنَّ تلك الأشياء البسيطة: ضحكة طفل، ذكرى أم، لمسـة حبيبة، رائحة وطـن، لعنة صديق، كوب قهوة، زرقة لازوردية؛ وتلك في الحقيقة عزاءاتنا الأجمل في منفانا اليومي.

# إبداع

- عبدالحكيم أبو جاموس
- حسام الرشيد
- مازن شديد
- حنان باشا
- صهيب العوضات
- محمد زين العابدين
- علي عودة

عبدالحكيم أبو جاموس
* شاعر فلسطيني

# السابعُ الميمونُ

ألا لَهْفي على زُغْبٍ صِغارٍ ... حَرامٌ ما يحيقُ بهم حَرامُ
على بَحرٍ من الآلام باتوا ... وفوقَ رؤوسِهمْ حِممٌ ضِرامُ
وتحتهمُ سياطٌ من لهيبٍ ... وأشلاءٌ يضمّخها السّخامُ
وأهلوهم قضوا ذبحاً وحرقاً ... يحطّمُهم ويسحقُهم ركامُ
دماؤهمُ أُريقتْ مثلَ نهرٍ ... تلظّى في الرّمالِ له قَتامُ
ترى القصفَ الرَّهيبَ قَضى عَليهمْ ... وأمْعَنَ فيهمُ قَتْلاً لِئامُ
فَلَيْسَ لِجُرْحِهمْ أبَداً شِفاءٌ ... وليسَ لهُ دَواءٌ والْتِئامُ
فَهُمْ صَرْعَى تُخالِطُهم حَياةٌ ... وَهُمْ في لُجّةِ الدُّنيا حُطامُ
فماجت فيهمُ الأنواءُ قهراً ... فما سَلِمَتْ لَهُم في الحربِ هامُ
ألا لَهْفي على شعبٍ أبيٍّ ... يحارُ المرءُ فيهِ والكلامُ
تَكالَبت الجيوشُ عليهِ ظُلْماً ... فما ضَرّته في الهَيجا سِهامُ
تَخَندقَ في ثنايا الأرضِ طُهْراً ... وليسَ يضيره فيها حِمامُ
تَحصّنَ فيهِ لا يَخْشَى المَنايا ... هو المِقدامُ والبطلُ الهُمامُ
ترى الشّجعانَ قد بَزَغوا كَفجرٍ ... وصلّوا في غياهِبِه وصاموا
على جَمرِ الغَضا يَقضونَ بَرْداً ... وغَيرُهُمُ بِدِفءِ العيشِ ناموا
أيُعقلُ أن يُبادَ بنو أبينا ... وأن تغدو منازِلَهُم خِيامُ؟
ولا يَجِدونَ ماءً أو طَعاماً ... وليسَ لَهُمْ مَقَرٌّ أو مُقامُ
تُشرِّدُهُم رياحُ القَهرِ قَسْراً ... فَلا أمْنٌ يُظِلُّ ولا سَلامُ
لنا في غزّةَ الشّهداءِ بابٌ ... وَمِحْرابٌ وثُوّارٌ كِرامُ
قَذائِفُهُم على الأشرارِ نارٌ ... تُحَرّقُهمْ وَذُلٌّ وانْهِزامُ
فَعودوا يا بَني أُمّي لِتَبْقوا ... سُيوفاً ليسَ تَنْبو أو تُضامُ
كفاكمْ فُرْقَةً تودي بِشَعْبٍ ... وَيَنْخَرُكُم شِقاقٌ وانْقِسامُ

مازن شديد*
* شاعر أردني

# بينَ لؤلؤةٍ ولؤلؤةٍ... أراكْ!!

فوق ضفَّتكَ الجميلة
جلستُ بين غيمتينْ
وحدي جلستُ كي أراكْ
ولا أُريدُ سِواكْ!.
***
أغسلُ شعريَ الطويلَ بعدها
من نبعِ يديكْ
يا فارسي الجميلُ أنتَ،
يا قمرْ
يا برقَ كلِّ العُمرْ!!.
***
آهِ لو تعلمُ كمْ
عندما أراكَ جانبي
يغمرني منكَ نَداكْ
تَهتزُّ كلُّ أغصاني
وأُحسُّ أنَّني
طفلةٌ عاشقةٌ
تطيرُ مع طيورها إليكْ
فوق موج البحرْ...!!
***
لاتكتئِبْ..
أرجوكَ لا تذهب بعيداً،
في مرايا الحُزنْ
فعمرنا
ليس سوى سحابةٍ
تسيلُ مِنّا حولنا
تغيبُ في المدى
ولا تعود أبدا...!!
***
أرجوكَ انتبه
لما بين يديْنا الآنَ منْ؛
موجٍ وأصدافٍ..
تُزيّنها ورودُ البحر والمحارْ...
لأنّها؛
بعدما تذهب عنّا
لنْ تعود أبداً
ويختفي عنّا النّهارْ...!!
***
ظلَّ معي إذنْ
أيّها النَّسرُ الذي
جمّلَ الغابــاتِ والوديانَ في
عُمري،
وأحياني معهْ
وأعادَ لي ظِلّي ولوْني
خلّصني من جمر حُزني
ظلَّ معي بجانبي
وخلّيني معكْ
قُبّرةً تطير في مداكَ،
لتحرُسكْ...
وبعدها أقولُ لكْ :
بأنَّني في كلّ يومٍ
بين لؤلؤةٍ ولؤلؤةٍ أراكْ
وأرى بهاءَ سناكْ
وجمالَ وجهِكَ الجميلْ
وأُعاهدكْ
أن أكون خيمةً تُظلّلكْ
يا نسريَ الأصيلْ
ولا أُريدُ غير أنْ
يتوقفَ الوقتُ معكْ
لأظلَّ جانبكْ
وأمسح عندما تنام
إن سالتْ عليكَ
أدمُعك...!!

صهيب العوضات*
* شاعر أردني

# الألوانُ ثقيلةُ الظلِّ

1

تأخذ كُلَّ هذا الموت وترحلُ وحدك
لا شيء تفعله سـوى أن تعدَّ غابات العدم
من جديدْ
الألوانُ ثقيلةُ الظلِّ تتحرّك باتجاه خاطئ،
شارعٌ طيّبٌ ينعى اسمهُ اللامفهوم،
عشرُ لغاتٍ آبقة تُكبّر خلف "سدوم"
فماذا ينكر الحجرُ في آهة وجودنا؟
وأيّ وعدٍ يتقدم علينا؟
إنَّ تداعي الأجراس في حضرة النهر
صِفةُ حيواتٍ مائلـة،
جنون مركّز يخدم ما بعد الحقيقة،
مراكبُ عمياءُ تعطلّت فجأةً،
حقائقُ خفيّةٌ تشبه شجرة يقطين.
بالأمس كانت الحياةُ كأرنبٍ بريٍّ يركض في
مشاعٍ أسود
واليـوم حقيبـة مجهولة تُركـت عمداً في
المطار،
وعلى البُعدِ ضوءٌ متوجّسٌ...!

2

سِحْـر الغـريـب
شأنك الآن
ذكريـاتٌ مالحـة
أنينُ لحظات الفرح المؤجَّل
أملٌ للبعيـد
غربةٌ للقريب
وهكذا حتى النهاية.
وأذكرُ في الكتاب
يوم مالت عليك الغريبةُ
لمّا تجرّأتَ على حزنكَ
وفتّحت مساماتِ النـدى
حينها كان وجهك يشبه الماء
وأكثر احمراراً من وردة العاشق النبيل!!.

*ماري لؤيسه كاشنيتس
ترجمها عن الألمانية: علي عودة**
** قاص ومترجم أردني

# المعجزة

تكمن عقبةُ التواصل مع "دون كريسنزو" في صممه، إنَّه لا يسمع أقلَّ شيء، وهو فخورٌ بقراءة شفاه الناس. مع ذلك ليس من السهولة بدء الحديث معه لأنَّه يكتب ما يريد على ورقة. حين سألتُ "دون" كيف كان عيد الميلاد، كان يجلس على كرسي خيزراني صغير على مدخل فندقه، الساعة تشير إلى السادسة، وقد تفرّقت جموعُ قوافل الظهيرة.

ساد هدوء تام، اقتعدت كرسياً خيزرانياً صغيراً آخر، تماماً أسفل "البارومتر"، مع صورة إعلان لخط سير سفينة، سفينة بيضاء في بحر أزرق. كررتُ السؤال، فرفع "دون" يديه صوب أذنيه وهزّ رأسه بأسف. من ثم سحب دفتراً صغيراً وقلمَ رصاص من جيبه، فكتبت كلمة "ناتاله"، وأنا أتطلعُ إليه بترقب. سأبدأ في الحال الحديث عن قصتي بعيد الميلاد، التي هي حقيقة قصة "دون كريسنزو" ولكن قبل ذلك عليّ أن أقول شيئاً عن "دون". على قرائي أن يعرفوا، كم كان فقيراً، وكم كان غنياً هو الآن. إنّه سيّدٌ لأكثر من مائة مستخدم، له بساتين كرمة وحمضيات واسعة وسبعة منازل.

عليكم أن تتخيلوا وجهه، الذي يزداد طراوةً مع مضي كل سنة على صممه، وكأنّ ما يشكل الوجوه ويحدّد ملامحها هي الخطابات الدائمة والردود عليها. عليكم أن تشاهدوا أمامكم، كيف يتجول وحيداً بين نُزلاء فندقه، يقظاً، حزيناً مرعوباً، بعدئذٍ عليكم أن تعلمو أيضاً، أنّه يتحدث عن حياته برغبة عارمة، دون أنْ يعلو صوته في تلك الأثناء، بل يتكلم بنبرة هادئة.

غالباً ما كنت أصغي إليه، وقد كنت بالطبع على علم بالقصة. عرفتُ أنَّها بدأت ليلاً، حين أتى الجبل، أجل، هكذا كتبوا: يأتي الجبل، فخطفوا الطفل من السرير وساروا على طول الطريق الصخري الضيق. كان عمره آنذاك سبع سنوات. كان "دون" يرفع يديه إلى أذنيه وهو يقصُّ ذلك، ليفيد أنَّ هذه الليلة هي المذنبة حقاً في معاناته الآن. أُصبت بالحمى وعمري سبع سنوات، قال "دون" ورفع يديه إلى أذنيه كذلك هذه المرة. كانوا جميعاً يرتدون قمصان النوم، وهذا ما تبقى لنا أيضاً بعد ما هوى الجبل ببيتنا إلى البحر، القميص على الجسد، ولا شيء غيره.

استقبلنا أقاربنا، وبعد حين منحنا أقارب آخرون هذه الأرض، وهي ذاتها التي يقوم عليها المطعم. وقبل حلول الشتاء بنى والديّ بيتاً هناك. قام والدي بأعمال البناء، وحملت أمي الطوب بأكياس عبر المنحدر، كانت صغيرة الحجم وضعيفة، وحينما كانت تعتقد أن لا أحد في الجوار، تجلس لحظةً على الدرج وتتنهد، ودمعها ينهمر على وجهها. عند نهاية العام كان البيتُ مكتملاً، فافترشنا الأرض، نلتحف الأغطية

وقــد تجمدنا من البرد. ثم جاء عيد الميلاد، قلت ذلك وأنا أشــير إلى كلمة "ناتاله" في أعلى الورقة. أجل، قال "دون" من ثم جاء عيد الميلاد، في هذا اليوم كنت بمنتهى الحزن، لم أعش مثله في حياتي، كان أبي طبيباً، غير أنّه واحد من أولئك، الذين لا يطلبون الحساب.

كان يذهــب ويعالج الناس وحينما يســألونه بكم يدينون له، يقــول: عليكم أولاً شراء العلاج ومن ثم اللحم للحساء، بعد ذلك قد يقول لهم: كم يريد. غير أنَّــه لم يفعل ذلك أبداً. لقد حاول ذلك مرةً، قبيل عيد الميلاد، في اليوم، الذي أوقدنا فيــه آخر قطعة حطب في هذا المســاء أحضرتْ والــدتي كومة مــن الأوراق البيضــاء إلى البيت، ووضعتها أمــام والدي، ثم ذكــرت له مجموعةً من الأسماء. كتب والدي الأسماء على الورق، وفي كل مرة كان يضيف بعض الأعداد. وعندما أنهى ذلــك نهض ورمى الأوراق في الموقد، الذي كانت نيرانه تخمد للتو. كانــت النيران رائعة الوميض، وقــد سرني ذلك، غير أنّ والــدتي ذُعرت وراحتْ تنظر إلى والدي بحزن وغضب. وهذا ما تم فعلاً، ففــي الرابع والعشرين مــن كانون الأول لم يعد لدينــا حطــبٌ ولا طعامٌ أو ملابــسُ لائقةٌ بقدر كاف، لنذهب بها إلى الكنيسة.

أعتقد أنَّ والديّ لم يفكرا بذلك كثيراً، البالغون، الذين يقع لهم مثل هذا، هم على قناعة بتحسن أوضاعهم ثانية، وأنهم ســيتمكنون فيما بعد من الأكل والشرب وشكر الله، كما كانوا يفعلون غالباً على مر الزمن. أمَّا بالنسبة لطفل فالأمر مختلف تماماً، طفل يجلس هناك وينتظر معجزة، وإذا لم تأتِ هذه المعجزة، فكل شيء سينتهي ويتلاشى.

انحنــى "دون" للأمــام عنــد تلفظــه هــذه الكلمات، ونظر خارجاً إلى الشــارع، وكأنَّ هناك شــيئاً لفت اهتمامه. غير أنَّه كان حقيقة يداري دموعه فقط. بذل جهده حتى لا يجعلني انتبه، كيف ذلك وما زالت ســموم الخيبة تنفذ إلى كل خلايا جسده لليوم. احتفالنا بعيد الميلاد..، واصل القول بعد برهة، مختلف بالتأكيد عما تحتفلون به في بيوتكم، إنَّه احتفالٌ بهيج جداً وضاج جداً.

في الموكــب يُحمل الطفل يســوع في صندوق زجاجي، وتُعزف الآت الموســيقى، ويطلق مدفع صغير طلقات لساعات طويلة، كانت أصداء هذه الطلقات ترتد عن الصخور، بحيث يشــبه وقعها معركة عنيفة. تصعد الألعاب النارية إلى الفضاء وتنفتح على شكل أشــجار النخيل العملاقة، ثم تعــود كالمطر المنهمــر من النجــوم إلى الوادي. الصبيــة يُعــدِّون مفرقعاته الصغــيرة، والفتيات يجهزّن الأكاليل ويُنظِّفن الأســماك الفضية، التي أحطن بها كتفي تمثال مريم العذراء.

جلســتُ على الســلّم وتطلعتُ إلى الشــارع خارجاً، حيثُ كان يعبر الناس وحيث كانت تظهر وتختفي ثانية العربات بأضوائها الزيتية الخافتة. حينما جلســتُ هناك كنت أتابعُ كلِّ عربة حتى تختفي في الثقب الأســود للنفــق، ثم أدير رأسي ثانية مترقبــاً حافلة جديدة. ولمــا أطبق الهدوء على الشــارع، اعتقدتُ بوجوب بــدء الاحتفال، ربما أحظى بشيء من الألعاب النارية والاســتماع إلى صيحــات الحماســة والســعادة. لكنّني لن أسمع شــيئاً أكثر من صوت البحر، الذي يرتطم

بالصخــور. وصوت أمي وهي تصلي وتطلب مني أن أنشــد معها. فعلتُ ذلك أخــيراً بلا تدبر تماماً وبروح معانــدة. كنتُ أتضور جوعاً وأردتُ تناول طعامي، لحماً ودبســاً، لكن قبل هــذا أردت أن يكون لي احتفالي، احتفالي الرائع.

بعدئذٍ، وفجأةً تغيّر كل شيء بصورة عصية على الفهم. ليــس هناك من يمــرُّ، وتوقفت العربات، شاهدنا على ضوء المصباح كيساً ممتلئاً، تمّ قذفه في حديقتنا، وســلةً وضعت على حافة الشــارع. وتدحرجت على الدرجات حمولة خشب وأغصان يابســة، وعند تلمسي الســلّم بحذر، عثرتُ فوق السور الصغير المنخفض على صحون وزبادي بيض ودجــاج وســمك. دام برهةً حتى هــدأ الصوت، وأمكننا التدقيق، كم صرنا أغنياء دفعةً واحدة.

حينئذ ذهبت أمي إلى المطبخ وأشــعلت النار، وأنا أقف خارجاً وأستنشــق عميقاً الشذى، الذي نتج عــن خلط الزيــت الحار مــع البصل ولحم الدجــاج المفروم وحصى اللبــان. لا أدري في هذه اللحظة بما أحسّ والدي، أي، هل اتفق مرضى أبي، المدينون القدامى مع بعضهم على إســعاده بهذه الطريقة. بالنســبة لي هبط كلُّ شيء من السماء، البيــض، اللحم، نور الشــموع والموقــد والمريلة الجميلة، التي أخرجتها من بين مجموعة ملابس، وقمت بارتدائها بأسرع ما يمكن.

"هيّا"، قالت أمي، فهبطتُ الشارع جرياً، عابراً النفق الطويــل المعتم، الــذي توهجت وتلألأت الأضواء الملونة في نهايته. حينما أتيتُ إلى المدينة، رأيتُ عن بُعد المظلة الحمراء المذهبة، من تحتها كان الأسقف يصعد الدرج المنحدر. سمعتُ صوتَ الدفوف وقرعَ الطبول وهتافاً "ليحيا" وهو يزمجر بأعلى صوته، بعدئذٍ بــدأت الأجراس الضخمة في أبراجها المشرعة بالتأرجح والدويّ. نظرتُ إليه، ثم تناولــت الدفتر الصغير، قائلاً ينبغي عليك الكتابة "دون"؛ كتابة مذكراتك.

-أجل، قال "دون" هذا ما عليّ فعله.

للحظة طويلة وقف منتصباً، وكان بمقدور المرء ملاحظة عدم استخفافه بقصة حياته، كالذي ورد في العهد القديم أو الأوديســا. هزَّ رأسه فيما بعد وقــال: عليّ فعل الكثير. وأدركتُ بغتةً، ماذا قصد بأعماله في إعادة البناء أو بإقامة الأبنية الحديثة... أراد أن يحمي أطفاله من الجوع ومساءات أعياد الميلاد الحزينة، وذكرى أم كانت تســحب كيســاً مملوءاً بالحجارة، تجلس وتبكي.

***ماري لؤيسه كاشنيتس:**

**تنتمــي إلى عائلــة الزاســية نبيلــة. ولدت في "كارلــزروه" عام 1901 وترعرت في "بوســتدام" و"برلين". اقترانها بعالم الآثار "غويدو كاشــنيتس فاينبــيرغ" جعلها تنتقــل إلى إيطاليــا واليونان وشــمال أفريقيــا وتركيا لســنوات عــدة. تركت المواجهــة مــع الحضــارات القديمــة وخصوصاً الرومانية طابعها على أعمالها.**

**من أعمالها الشعرية:**

**- رقصة الموت / شعر 1947.**

**- أشعار حول العصر / شعر 1947.**

**- موسيقى المستقبل / 1950.**

**المصــدر: أُخــذت هذه القصة مــن مجموعة (الظــلال الطويلة)، الصادرة عن سلســلة كتاب الجيب عام 1964.**

# الحوارُ مع الموتى لا يُجدي

حنان باشا*
* قاصة أردنية

سمعتُ الخبر.. رأيتُ المنظر!

سقطتُ في مكاني، رأسي يعمل مثل مِطرقة نجّار نشيط لا يكلُّ ولا يملُّ، صوت صراخ من آخر شريان في إصبع قدمي. أودُّ الركض ولكنَّني جاثمةٌ على كومة حزن لا يشتعل فيه عودٌ واحدٌ؛ ولكنَّني محترقة. رعشات خاطفة تملكتني، لففتُ نفسي بغطاء ثقيل: هل حلَّ الشتاءُ صدفةً؟!. آه يا رأسي!!، دموعي لا تسعفني، دفنتُ وجهي علَّ الصورة تغادر ذاكرتي، ليتني أغرق بالنوم!، جاهدتُ كي لا أبتلع أقراصًا عدة. لكنَّني منهكة ولا فائدة، معدتي تتوق لإفراغ ما فيها. برد.. حرارة.. صداع وغثيان. الأبهر يزعجني بدبيبه؛ وكأنَّ سرب نمل يدغدغني. مثل دودة قزٍّ كورتُ جسدي وغرقت بعرقي. قد يكون النومُ رحيمًا. أيتها الأمهات خذن غفوةً وعدن للصحو، لم يمت أحد لقد كان كابوسًا. أم لعلَّ الخبر حقيقة؟ إذن كيف السبيل لإسكات كل هذا الوجع، وما زال المجرم يمدُّ لسانه ساخرًا:

-سأخرجُ، سأقتل المزيد من فلذات أكبادكن، وأبتر وأفقأ وأتباهى بأوشامي وأوقعُ أنا أدناه: ضعن على القهوة السادة سكرا.

صوت خرخشة علا من تحت جهاز الحاسوب ربما، كنت مشغولةً بالطباعة فلم أنتبه، لكن الصوت عاد ثانيةً فبحثت لأتأكد أي شيء هذا! وصلات الكهرباء كما هي، شيء ما لامسني، قفزتُ بعض الشيء لعلّه عنكبوت أو حشرة صيفية. تحسستُ ذراعي وكدت أهلع! كدمة من أين جاءت؟ كأنَّ أحدهم يدفعني.. أنا وحيدة أكتب رواية وأشرب القهوة، غارقة في التفاصيل مأخوذة بالسرد. لكن ثمة ما يحدث ولا أدري ماهيته. عدتُ للكتابة ثانيةً: السفّاح الذي أخذ على عاتقه تطبيق قوانينه الخاصة، وتحقيق العدالة من وجهة نظره، سمح لنفسه استلال الأرواح واحدةً تلو الأخرى، وقام بالتوقيع على كل جثةٍ. وألقاها في... لاااا، مرةً أخرى. هناك وشوشة، "خرخشة"، شيء ما يجري!! أعودُ للبحث مجدّداً، أدفعُ الكرسي وأقف متلفتةً حولي، أسير نحو الباب: لا أحد. أقتربُ من النافذة علّه أحد الجيران يتحدث هاتفياً، أو لربما صوت تلفاز من بعيد.. لكن؛ هل هناك ساهرون مثلي؟. أضرب كفيَّ ببعضهما، وأفتحُ ذراعيَّ وأستقبلُ بزوغ الشمس... لا شيء أنا الآن أهذي! أرحتُ ظهري على المقعد وحاولتُ الاسترخاء، مددتُ يدي لفنجاني الثالث، ولم أصدق!: الفنجان حيٌّ ومنه تنبعث الضوضاء، وكأنَّ أبطالي سقطوا فيه من حلقي!

# بعد فواتِ الأوان

حسام الرشيد*

* قاص وروائي أردني

الأمرُ لا يحتملُ التأجيل!

بيدٍ مرتعشة أمسكتُ بسماعة الهاتف واتصلتُ بـه، كنت أودُّ لقاءه على وجه السرعة، في الطريق إلى المقهى كانت الدقائق تتحجر في قلب الساعة، وخطاي ثقيلةٌ؛ كأنَّ قوى خفية تجذبها إلى الأرض. ترددتُ كيف سـأنقل إليه الخبر، هـل أدع الأمر لغـيري؟ لا أدري ماذا سـيكون وقـوع هذا الخبر عليه، لم أحسم أمري بعد، ولكن في نهاية المطاف لا بدَّ من علمه، طال الزمان أم قصُر.

مـا إن وصلتُ إلى المقهى حتى قذفتني قدماي إلى الهاتف، سأحسـم الأمر بنفسي، لن أنتظر أكثر مـن ذلـك، ربما إن قام سـواي بذلك، أبـدو كأنِّي أدرت ظهري لصاحبي الذي لن يغفر لي ما فعلت، نهضـت عن الكرسي وواصلت خطـاي صاماً أذني عـن أصوات روّاد المقهى التي لا تهدأ، كأنَّها خليةٌ مـن النحل، فكرتُ بالتراجع وأنـا أنظر من خلال سـحب الدخان السـابحة في فضاء المقهى كغيوم رماديـة، إلى باب المقهى المـشرع، عشر خطوات ربما وأخرج مـن هذا المكان، أنـسى الأمر برمته، لو أخبرت صاحبـي دخلت في متاهة كبيرة، يغدو الخروج منها ضرباً من المستحيل.

بصوت متحشرج قلتُ له:

- أرجوك لا تتأخر. معاليه في الطريق!

كنت قد اسـتجمعت قواي، صاحبي الآن ربما يتقلب في فراشه، لم يبق أمامي الكثير من الوقت، وسرعان ما أدرت القرص، جاءني صوته خافتاً كأنَّه آت من بئر عميقة، قائلاً لي بصوت حاد النبرة:

-من أنت؟

قلت له مدارياً غضبي:

-أ .....

دون أن أكمـل كلامي، أغلق سـماعة الهاتف في وجهي. خمنتُ أنَّه ربما خرج للسـهر مع شـلة الأنس ليلة البارحة، ولعبت الخمر برأسـه، ذاع في المصلحة أنَّ رفاقه من رواد الملاهي ولاعبي القمار الذين يُشار لهم بالبنان، لا تنفض سهرتهم إلا مع انطفاء آخـر ذبالة لليل، نصحته مـراراً بالابتعاد عنهم، ولا سيّما أنَّه صار يأتي إلى الدوام متأخراً كل يوم. إلا أنّه كان يطنب بمديحهم. ضارباً بنصيحتي عرض الحائط .

تمنيـتُ لـو كان واقفاً أمامي، ربمـا انقضضتُ عليه، أمسكتُ بياقته المنشاة وصرخت في وجهه: أيّها اللعين كيف تفعل هذا؟. منذ أن تعرفت إليه في الشركـة قبل أعوام، كان نعـم الموظف المثالي، مواظب على الدوام، يؤدي عمله بتفانٍ وإخلاص، يهبُّ لنجدة زملائه في العمل. وما زلتُ أذكر كيف أنَّ الساعي في المصلحة قبل أشهر سُلبت محفظته في طريـق عودته إلى بيتـه، في اليوم التالي اعترت ملامحه صفرةٌ كامدة، لم يتكلم...

لمحت صاحبي وهو ينسلُّ على رؤوس أصابعه إلى تلك الزاوية المهملة أسفل الدرج، ربت على كتف الساعي الذي كان يقتعد كرسياً من القش، وقد خلع قبعته المهترئة الأطراف ووضعها على حجره، مطوحاً برأسه يميناً وشمالاً...، من جيبه استلَّ صاحبي أوراقاً نقدية وضعها في جيب قميص الساعي المجعّد، الذي سرعان ما هبَّ واقفاً وانحنى على يده يود تقبيلها. مع مرور الأيام، أواصر الصداقة انعقدت مع صاحبي، رغم التنافس ما بيننا على الترقية القادمة. وحدث ما لم يكن بالحسبان؛ ففي ذلك الصباح خرجتُ من البيت إلى المصلحة مبكراً، كانت نسائم الخريف الباردة تتسلل إلى وجهي، ثمة أوراق صفراء تتساقط على الأرصفة، في السماء تتجافى الغيوم عن صفحتها المائلة إلى الرماد. كنت أتأبط جريدة الصباح، عندما أصل إلى المكتب يعدُّ لي الساعي قهوتي الصباحية، وأبدأ بتصفح الجريدة، عادةً ما أبدأ بصفحة الحوادث، تستهويني أخبارها الموغلة في عالم الجريمة والغموض، أشرب قهوتي على مهلي، ثم أطوي الجريدة وأتابع قراءة باقي صفحاتها في البيت.

ما إن دخلت إلى مكتبي مستعداً لطقسي الصباحي المعتاد، حتى جاءني الساعي وهمس في أذني، أعطاني قصاصة من الورق وقال لي بصوت خافت:

-هذا هو رقم هاتفه.

رميتُ الجريدة جانباً ونهضت واقفاً، أخبرت الساعي ألا يخبر أحداً بقدومي مبكراً إلى المصلحة. تركت قهوتي وجريدتي على الطاولة، وغادرت مسرعاً.

بعد أن عدت إلى مقعدي في المقهى، على يقين أنَّ العاقبة ستكون وخيمةً، ولا بدَّ من تدارك الأمر: هل أعاود الاتصال به مرةً أخرى، بعد أن أقفل السماعة في وجهي؟ هي محاولةٌ أخيرة، قلت في سري مدمدماً، "على نفسها جنت براقش".

خاوي الوفاض عدتُ متأخراً إلى المصلحة، أدراج الرياح ذهبت محاولاتي في الاتصال به. لما وصلت متأخراً إلى المصلحة بنحو ساعة، ثمة سيارات فارهة أمام البوابة، أيقنت أنَّ معالي الوزير قد وصل مبكراً وقام بجولة تفقدية على الأقسام، أي كارثة ستنتظرني وصاحبي؟!. صارت ترقيتي إلى الدرجة الأعلى أشبه بحلم تبخر...

متثاقل الخطى دخلتُ إلى مكتبي، كان صاحبي جالساً في مكانه على غير عادته، كل صباح يأتي متأخراً، أي حظ جاء به هذا النهار ليكون في مكتبه مبكراً؟!، وهو على أهبة الاستعداد لاستقبال معاليه، ساعي المصلحة في الأثناء وضع قهوته على طاولة صاحبي وتبادل معه نظرات ذات مغزى.

ارتميتُ على مقعدي من فرط التعب، وما لبثت أن أخرجت القصاصة من جيبي، وأنا أمسح العرق المتصبّب من على جبيني. كورتها بقبضة يدي ورميتها في الهواء، وقد أدركت ولكن بعد فوات الأوان، أنَّ الاحتفاظ بقصاصة من الورق مكتوب عليها رقم هاتف لا يعود لصاحبي. هو ضربٌ من الجنون!

ترجمة:
محمد زين العابدين*
* شاعر ومترجم مصري

# "نظـرةٌ عـابرةٌ" للكاتبة الإنجليزية: إيزابيل بروم*

عندمـا انطلقـتُ مـن المنزل، كانـت خيوطُ الفجر ترتسِـمُ مَسـحتُها الخفيفة في السـماء؛ لم تكن سـوى مسـحةٍ ذهبيـةٍ باهتة على السـماءِ المُتّدثـرة بالليل. تصاعدَتْ أنفـاسي من حولي في الهواءِ البارد، ودسَسْـتُ بعمقٍ يدَّيَ المكسـوتين بالقفـازات، في جيوبِ معطفي الشـتوي الدافئ. كانـت هناك كراتُ الثلج على الممر؛ التي تكَّسرَتْ تحت حذائي ذي الرقبة، والغبار المتلألئ الذي بدَّلَ المشـهد، وبثَّ حياةً جديـدةً في كل تلك العناصر التي ألقيـت عليها نظرة عابرة، لكنَّني لم يسـبق لي رؤيتهـا؛ الجـدار الحجـري المنخفـض بطرازهِ الطحلبي، وجذوع الأشـجار الملتويـة، والقضبان الفضية لبوابة التقبيل** التي علا صريرُها الصارخ بالتحية عندما مررت.

طوال الوقت، كان هناك البحر، وصوتٌ هامسٌ مُلِّـح؛ لا يتحـدثُ عـن الماضي فحسـب، بل عما سـيأتي أيضاً؛ أو هكذا تمنيت. كانت لسـعةُ البردِ قد وصلـت إلى أذني، تحت ثنايا القبعة المحبوكة. وفكَّرْتُ بشـكلٍ عابـرٍ وبلهفـة؛ في سريرِنا القابعِ تحت إفريزِ النافذة؛ عُش من البطانيات، مُتَّسِع بما يكفي لشـخصين؛ لتدفئةِ أصابع أقدامِهما الباردة. لقد اسـتلْقَيْتُ هناكَ بمفردي، خلالَ الليالي السبع الماضية؛ أحَّـدِقُ في الزوايا، حيث تتدّلى شـبكاتُ العنكبوت. وشعرتُ بأنني لست وحيدة فحسب؛ بل أمضي في حيـاتي على غيرِ هُدى، حطاماً يبحثُ في المحيطِ عن هدفِه.

لقد غسـلتني الحياة على هذه الشواطئ منذ فترة طويلة. ومـع ذلك، كنتُ مُتَّجِهـة للتحديقِ عبْر البحر، أراقب وأنتظر، ويداعبنُي الشـوق. أمّا أولئكَ الذين يتحدثون بطريقةٍ خيالية عن الحب؛ فيُشـبِهونَ الشـعورَ بالدُوار، والفقـدانِ المفاجئِ للعقل؛ وهـم يُقدِمونَ قلوبَهم. لكِّنَ الأمرَ لم يكنْ كذلكَ بالنسـبةِ لنـا. لطالما فضَّلـتُ أن أنظرَ إلى تعميقِ المَوّدَة؛ على أنهُ انتشارٌ للجذورِ عبْرَ الأرض، أسـسٌ وُلِدَتْ من الطبيعة، والتّفت وتفّرعت إلى روابط ضيقة.

لم يكن عليّ أن أفقد أي جزء من نفسي لإفساح المجال للآخر؛ لقد كبرتُ ببساطة، وجدتُني أواجِهُ رياحـاً هوجـاء عندما وصلتُ إلى حافـةِ الجرْف، وتوّقفـتُ للحظـةٍ لامتصاصِ قوتِها. ظلّ انتشـار المياه أسـفلَ مني بعيداً عنيداً، باسـتثناءِ الأمواجِ المتصاعدة. وقد صدمتنـي رغبة ملِّحة في الصراخِ برسـالةٍ عابرةٍ للأمـواجِ المتلاطمـة، ومكونةٍ من كلماتٍ هوائية؛ كانَ سـيتمُ نقلُها إليهِ بطريقةٍ ما. اخـترتُ بدلاً من ذلـكَ أن أهمـسَ: "تعال إليَّ في المنزل."

السـماء التي كانتْ تُنْذِرُ بالسـوء؛ بدأتْ أخيراً في الإشراق. وعـلى الرغمِ من أنَّ الشـمسَ كانت مغطاةً بالغيـوم؛ إلا أنَّها تمَّكنتْ مـن غَمْرِ بزوغِ النهارِ بالألوان. رأيتُ الألوانَ الوردية والبنفسجية والزرقـاء والبيضاء؛ وتعَّجَبْتُ مـن عظمةِ العالَم، من كلِ هذا الجمال الممنوحِ لنا بدونِ مقابل. لقد

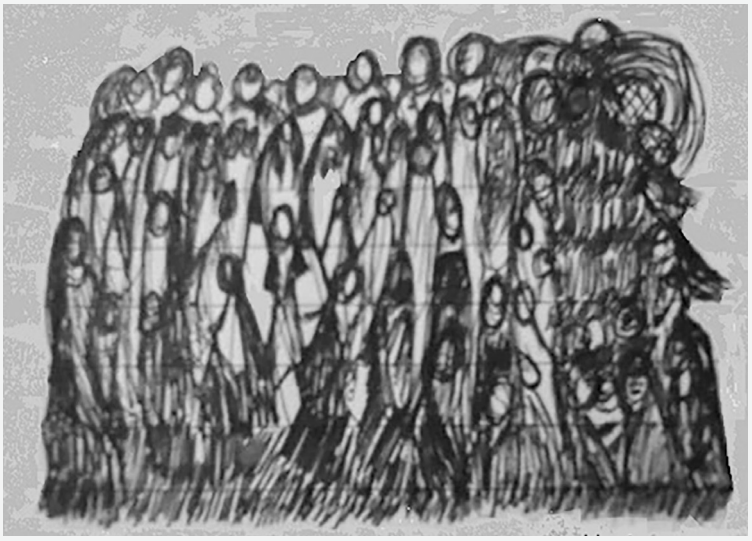

فهمت ما جعلَهُ يرحلُ بعيداً عنِّي، ولماذا لم يتمكنْ مــن الالتزامِ بــدور؛ فقد جــاءَ بجدرانِــهِ وطاولتِهِ الملتصقةِ بهِ. ومع ذلك، فإنني ما زلتُ أشعرُ بالأسفِ لخوفي الذي كان يطــاردُني في كلِ مرة، الرهبةِ التي تتحدثُ بلغةِ الحُطامِ والأطــلالِ والأحزان. القبضة التي أزالت عن قلبي الضيق؛ وحبســت أنفاسي في ســماعِ الصــوتِ الوحيد الحنون. كنتُ ســأرى تلك العيون الرمادية الباهتة مرةً أخرى، وأتشــبثُ بتلك الأيدي المُجعدة بسببِ المخاضِ الذي يتم بداخلي... غمرني الارتياحُ مثل موجِ المدَّ، وابتســمتُ شــاكرةً بمنتهى الرضا؛ لأن رغبتي قد تحققتْ.

***إيزابيــل بــروم(Isabelle Broom): كاتبــة إنجليزيــة، ولــدت في(كامبريــدج) في بدايــة الثمانينيات. ودرست فنون الإعلام في جامعة غرب لندن؛ قبل أن تبدأ مســيرتها المهنيــة في الصحافة الإنجليزية. صدر لها ثماني روايات رومانســية؛ تقع أحداثها جميعاً في مواقع رائعة حول العالم. أحدث أعمالهــا: رواية(الهروب)؛ التــي تتجه أحداثها إلى مدينة(هافار) بكرواتيا، مــع بطلة الرواية(كيت)؛ التي تأمل في الفرار من تداعيات الحياة المنهارة.**

****بوابــة التقبيل: هي نوع مــن البوابات التي تقــام في إنجلترا وبعــض دول أوروبــا. وهي تقام وســط الحقول والمراعي التي تربى فيها الحيوانات في الريــف غالباً. وهي تشــيّد مــن قضبان فضية اللون، غالباً على شــكل مســتطيل، أو حرف(V). ويأتي الاسم من لمس الشــخص المار للبوابة ذاتية الإغلاق عند مروره منها. (المترجم)**

المصدر:

مجلة:(The Simple Things)-الإنجليزية-عدد فبراير 2022.

# نوافذ ثقافية

محمد سلّام جميعان *

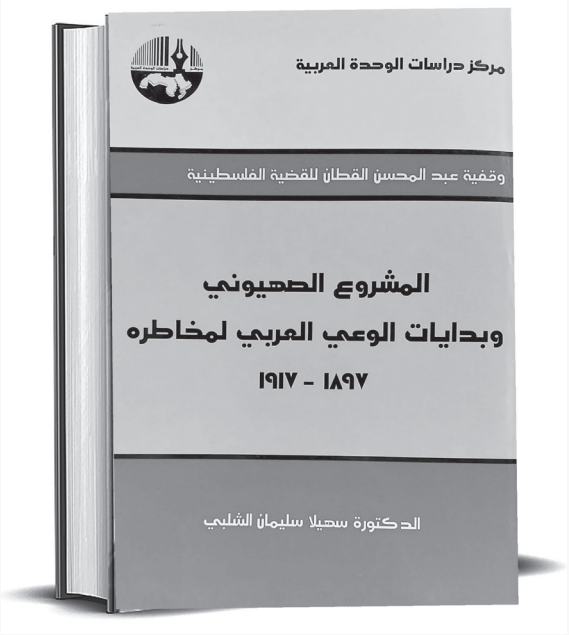


## ثقافة عربية

### المشروع الصهيــوني وبدايات الوعي العربي لمخاطره(1897-1917)/ د. سهيلا الشلبي

تكمن أهمية هذه الدراســة من كونها تتناول الوعي العربي وترصد بداياته، وكيفية تطوّره مع تطوّر المشروع الصهيوني، والظروف السياسية الدولية التي رافقت هذا التطور، والآليات والوســائل المستخدمة في التعبير عن هــذا الوعي في مواجهة هذا المــشروع الذي انطلق مع عــام 1897 وانعقاد المؤتمر الصهيــوني الأول الذي صاغ المشروع في إطار مؤســسي وتحوّله من أفكار ورؤية إلى صورة عملية، تبنتها المؤتمرات الصهيونية المتعاقبة التي جدّدت في بنائه المستمر من حيث الآليات التي رفدته.

وتعتمد هذه الدراســة البحثيــة الرصينة على عدد مــن المصادر كالصحف المعاصرة للفترة المبحوثة، لتنوّع معلومات الصحــف ومصادرهــا المعلوماتية، واتّخذت الباحثة من صحيفة المقتبــس وصحيفة الكرمل والمنار وفلســطين. واعتمدت كذلك على المذكرات الشــخصية للزعامات العربية والصهيونية.

وجاءت الدراسةُ في خمسة فصول غنيّة بإيراد الكثير من الاقتباسات من الكتابات أو الأشخاص الذين عاصروا مرحلة الدراسة، والهدف من ذلك التعريف بروح العصر وما رافقه من أحداث، فتناولت الباحثة في الفصل الأول الوعــي العربي للصهيونية كفكــر، في حين تحدث الثاني عن الوعي العربي لخطورة الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني، وجاء الثالث ليلقي الضوء على الوعي العربي لخطر استيلاء الصهيونية على الأراضي. أمَّا الرابع فتناول

* كاتب وباحث أردني

الوعي العربي لهدف الصهيونية إقامة دولة مستقلة في فلسطين، وبحث الفصل الخامس في الوعي العربي للخطر الاقتصادي للمشروع الصهيوني.

وقد أشارت الباحثة إلى إحجام بعضهم عن تزويدها ببعض المعلومات أو المصادر التي احتاجتها، التي اعتمد عليها هؤلاء في دراسات سابقة لهم، داعية إلى تضافر كل الجهود على اختلاف أشكالها وأهميتها للوقوف في وجه المشروع الصهيوني وإفشاله.

## فلسطين في الشعر العربي القديم/ د. عبد الحميد المعيني

يسعى المؤلف من وراء تأليف هذا الكتاب إلى إثبات أنَّ فلسطين بلاد الإبداع الشعري القديم، ومن حقها أن تكون حاضرة شعرياً، وموطناً أدبياً، ويكون لها تاريخ شعرها الأدبي الخاص بها، مثل غيرها من الحواضر والمواطن الشعرية العربية القديمة.

وأنجز الكتابُ ديوان الشعر الفلسطيني جمعاً وتوثيقاً، وقرأ أهمية وقيمة هذا الشعر الذي كان البدايات الأولى والأصول الصحيحة الصالحة لهذا الإرث الإبداعي الثقافي الحضاري، وكتب قصائد الديوان الشعراء الكبار من أبناء فلسطين، ومن الوافدين عليها، وفي مقدمتهم: المتنبي والبحتري وأبو تمام والفرزدق والغزي والتهامي والعاملي وغيرهم، مؤكداً أنَّ فلسطين سيدة الإبداع الشعري، وأنَّها هي التي اقترحت على عشاقها من الشعراء تناول أماكنها وشخصياتها في قصائدهم الشعرية وتجاربهم الأدبية، فأنشدوا لها أسرار حبهم، ونثروا ورود قصيدهم على امتداد مدنها ومناطقها.

ويأتي الكتابُ ضمن مشروع السردية الفلسطينية القديمة التي نسجت نهار السنين في الدفاع عن فلسطين، ومقاومة

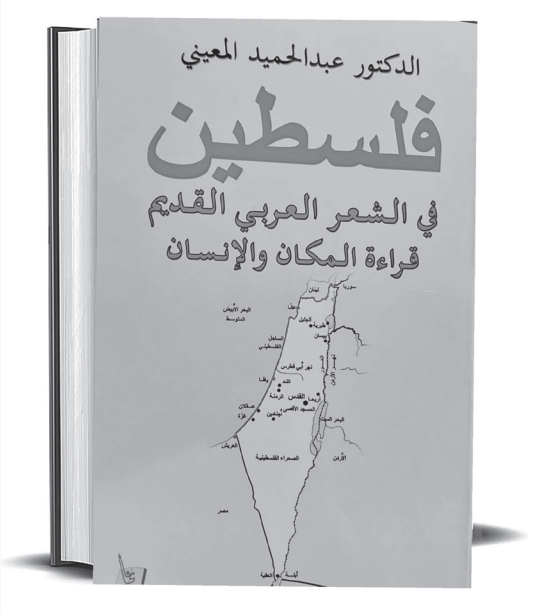


الأعداء المحتلين، وتحريرها من البحر إلى النهر. والكتاب بالإضافة إلى أهميته التاريخية والتوثيقية فيه استبصارٌ جديدٌ؛ فلسطين من حيث الاسم والتاريخ والموقع والزمان، وفيه قراءة معمَّقة لمناطق الإبداع الشعري في مناطقها الثلاث: المنطقة الداخلية، والمنطقة الغورية، والمنطقة الساحلية، وهو الأمر الذي يضع التاريخ أمام القارئ في صورة الإلمام الوافي بالشعراء العرب الذين توافدوا على فلسطين في مختلف العصور التاريخية والأدبية، ويفتح آفاقاً أمام الدراسين والباحثين لتدوين صورة فلسطين الحضارية.

# نوافذ ثقافية

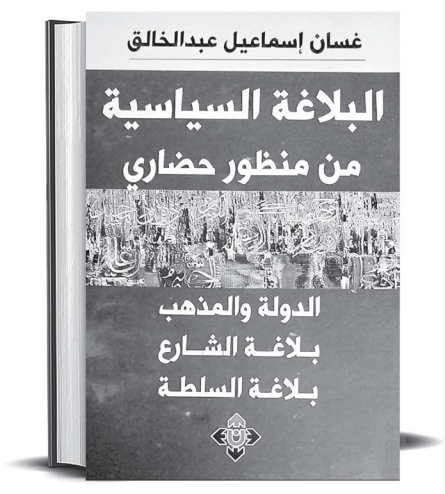


## البلاغة السياسية من منظور حضاري/ د. غسان عبد الخالق

في هـذا الكتاب يجـد القـارئ امتـزاج الأدب والتاريخ والفلسـفة والسِـيَر والأعلام، ومجموعـة من المُثُـلِ والقيمِ والأفكار النّاظمة لمنهجيّة المؤلف البحثية في حِسّـها العقلاني، وتأكيدهـا لعروبيّـة الروح والوجـدان المُتمثّلـة في القضايا المبحوثـة ضمن عصورها التاريخيـة المختلفة، بلا تفريط في أزمنتها الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل، فقد صاغ المؤلف مقولاتـه وآراءه في هـذا الكتاب بوعي الإنسـان وحرِّيَّته بما يمتلكه هو شـخصياً من قابليات فكرية وروحية، مما شـكّل حوارية داخليّة مع ذاته ومع قارئه.

وتدور الفكرة الكلّية في هذا الكتاب حول السلطة والثقافة وحركة المجتمع العربي الإسلامي سياسـياً واقتصادياً وثقافياً، والوظائـف والأدوار التـي لعبها كلٌّ من السـياسي والفقيه والأديـب/ المثقف في تكريـس شرعية السـلطة ومشروعية ممارساتها في مواجهة العقائديات والمذهبيات.

فتأمل المـسرودات الحكائية في عنوان (بلاغة الشـارع)، ليسـت حديثـاً نظرياً تأمليـاً، وإنَّما هو فكـر عملي وحياتي معيـش، من خلال المعجم البلاغي الشِّـفاهي الذي الباحث رصد أيقوناته ومفرداته.

للقارئ أن يتصـور كيف يعيد التاريخ نفسـه من الزمن العبّـاسيّ والراهن العربيّ، في زمن ما يُسـمَّى بالربيع العربي، فكل ما يحتاجه من استرجاع الحدث التاريخي في زمن القوة والفعل هو تبديل الأسـماء فحسـب، أمَّا الصـورة الدرامية التراجيدية فهي نفسها.

وفي موضوع "بلاغة السـلطة" يقف المؤلِّف على مُقدِّمات كتبٍ لأعلامٍ أسهموا في إبداعيَّة الثقافة العربية، هم الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، وابن قتيبة في كتابه "أدب الكاتب"، وإبراهيم الصولي في رسائله، وكيف تجلَّت الصراعات المذهبية وتصاعدت في آفاق أسـاليب الكتابة العربية بفعل النَّزعات المذهبية. وبالقدر الذي تكشف فيه هذه الكتب التي تناولها المؤلِّفُ بالتحليل عن تحولات الثقافة العربية؛ فإنَّها تكشـف كذلك انحيازهـا للمذهب العقائدي لكاتبيها، واسـتمالتهم للسُّـلطان وتغريدهـم في سربه، كونها انحازت لشـكلانيتها المفرطة التي سـادت أسـاليب الكُتّـاب بتوظيفهم لبلاغتهم بمعناها السـياسي والفني الأدبي، وكيـف أنَّ الثقافة والتاريخ العربيين تَحوّلا من غاية التأهيل الحياتي والتهذيب الإنسـاني والإبداع الفكري، إلى أزمة سـلبية شـاذة سلبت الوعي العام للإنسـان مزاياه وخصائصه الذاتية، وجوهر كينونته كإنسان، وجعلته مستلَباً للسُّلطة. وهذا ما يفسِّر أزمة الإنسان العربي قديماً وحديثاً؛ أزمته مع ذاته وأزمته مع ثقافته وتاريخه.

# ثقافة عالمية

## إسرائيل: التكوين- (ترومان) واليهود الأميركيون/ (جون ب جوديس)، ترجمة: عامر شيخوني

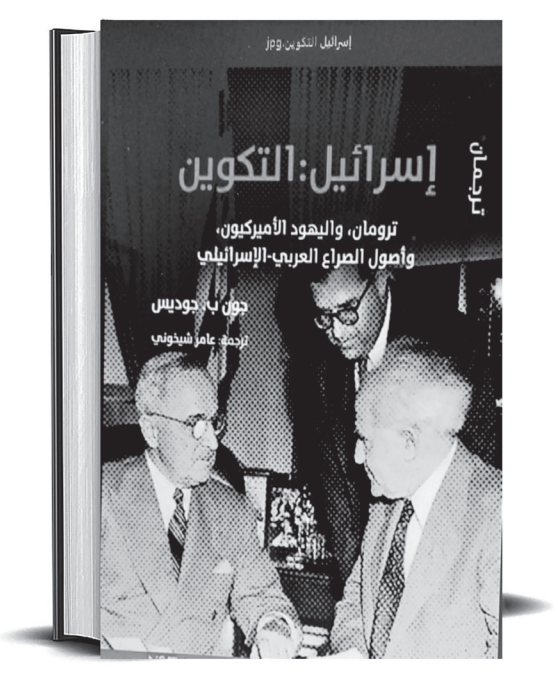


ينطلق المؤلف في كتابه "إسرائيل" - التكوين، من الهجرات الصهيونية الأولى إلى فلسطين ووصول الاستيطان الروسي في تسعينيات القرن التاسع عشر وتأسيس "اتحاد الصهاينة الأميركيين" عام 1898، ثم الصهيونية الأوروبية والصهيونية الأميركية، وصولاً إلى تبلور القومية العربية الفلسطينية بالتزامن مع تسلّم الرئيس ترومان الرئاسة في عام 1945، قبل ثلاث سنوات من قيام "إسرائيل.

ويكشف المؤلفُ مدى خوف السياسيين الأميركيين من معارضة اللوبي الإسرائيلي القوي والوقوف في مواجهته، ويبحث مشكلة كبيرة مستعصية في السياسة الخارجية الأميركية، وهي شبه الاستسلام لرغبات "إسرائيل" فيما يتعلّق بالصراع العربي - الإسرائيلي والاحتلال والمستوطنات، متّخذاً من فشل الرئيس (هاري ترومان)، في حلّ الخلاف بين اليهود والعرب نقطة انطلاق، مُبرزاً اهتمام ترومان بالبعد الأخلاقي، المتمثّل في العدالة التي لم تتحقّق لعرب فلسطين والتعاطف الشديد مع الناجين من (الهولوكوست) والسماح لأعداد منهم بالهجرة إلى فلسطين، وأنّ قراره الاعتراف بـ "إسرائيل" كان منسجماً مع قناعاته برفض فكرة الدولة الدينية، كون ديانات الدول كانت سبباً لقرون من الحروب في أوروبا. فلم يعتقد أنّ دولة يجب أن تعرَّف بشعب معيّن أو عرق أو دين.

ويقف المؤلّف أمام إشكالية نقص الرؤية التاريخية في معالجة الصراع بين اليهود والعرب، بفعل مطالب اللوبي اليهودي المؤيّد لـ "إسرائيل ـــ الدولة" التي تتجه أكثر فأكثر نحو اليمينية والتطرّف.

# مدارات البوح

د. محمد مقدادي

# من سيرة المشّاءْ

د. محمد مقدادي*

سأبدأُ ممّا اختصره الشاعر والأديب المكسيكي "أوكتافيو باث"، حيث لا سيرة حياتية للشعراء، سِيَرُهم هي قصائدهُم"

يقودني هذا إلى العمل في إطار ثنائية الشعر والحياة، فالشعرُ لا يتدلّى من الفضاء، ولا تتنزّل القصيدة من الغيم وإن ثقُلت موازين محمولاته، فالشعر مصباح الحياة، ينكسر بانكسارها، ويندفع باندفاعاتها، ويرقى برقِيِّها، ويعتَلّ وهي عليلة، ويمتلئ بهجة حينما تحمل له قليلاً من حلواه المشتهاة.

يُعدّ التلاحمُ بين حياة الشاعر وكتاباته، تلاحماً فطرياً وامتثالاً لقوانين التفاعل بين الفاعل والفعل والبيئة التفاعلية التي تحدّد ما سيكون عليه المنتج الإبداعي في مستوى الشكل والمضمون، وهو ما يعكس فصول التجربة الحياتية العميقة للشاعر على مجمل ما يفوز به، أو يتحقّق له، من كتابات. نصُّ الشاعر هو حياته التي تبدأ بأول نصٍّ كتبه، وتنتهي مع آخر نصٍّ سيكتبه.

* أكاديمي وشاعر أردني

البحــثُ عــن المعنى يبدأ بطــرح الأســئلة الأولى التي قد تبــدو خالية من المعنى أو غريبة عنه، وتحشر نفســها فيما لا يعنيها...!:

-من ذاك الجالس خلف الغيمة الزرقاء؟

-من يقبض على الشمس والقمر كي لا يغادرا مواقعهما، والنجوم؟

-ماذا تخبــئُ تلك المرأة وهي تعقد صرّةً ضخمةً فوق رأسها الصغير؟

- ومــا ذلك الــشيء الــذي يتدلّى من خــصر الصياد الــذي أمضى ليلاً طويــلا في ملاحقة الطرائــد الماكرة وهــي تتقــن دورهــا في التَّخفّي والمداورات؟

أجمل مــا في الحياة انثناءاتها وانحناءاتهــا وتوتراتها ونتوءاتها وطوبوغرافيــة خروجهــا على التوقعــات، ويضيــف الشــعر للحيــاة توتُّــراً إضافياً؛ لأنَّه يشــكّل تمرّداً على الســائد وخرقاً للقواعــد المتعارف عليها، وابتكاراً لنــصٍّ غير مألوف، وحين لا تســتجيب الحياة لمتطلّبات الشــعر، يراودها الشعرُ، ويلتفّ من حولها ويحاورها ويســتلّ الحكمة مــما تخبِّئ تحت أزِرَّة قمصانهــا، ومما يتفلّت مــن أكمامها. يقتحــم الصمت الذي يناديــه من بعيــد، الصمت الذي يشــير إليه ويمدّ له لســانه الطويل الذي لا يقولْ.

إذا كان "دستوفســكي" يقول: " كلّنــا خرجنا من معطف " غوغل ". فمن أيّ معطفٍ خرجتُ، وأنا أُدشِّنُ على هذه الأرض طقوسيَ الأولى؟

خرجتُ من معطف أبي، ذلك الفلاّح الذي تمرّس في معاركه النبيلة مــع الأرض والحيــاة، كنت أنتصــبُ بقامتي الصغيرة ملتفّــاً بأطراف معطفه، بينما ينــزُّ من أردانه ما فاض من ماء الغيــث العميم...لم أكن غريباً عن مواجعي، فالغربة، كما قال لي صاحــب المعطف الذي أثقله المــاء: أن تطرقَ باباً في الليلِ، ولا يفتح لك أحدٌ من القاطنين، أو يسألُ: من أنت؟. وقد كنتَ قديماً، تمتلك مفتاحين لهذا الباب.

يا بني... كــن حارســاً للمعنى الذي تريــد.. قد يقــودك المعنــى إلى الحافة، لا بـــأس، إنّ جُــلّ الذين لم يصلـــوا إلى اللــه - عز وجل - ســقطوا في الطريق الشــائك الطويل... حــرّاس المعنى يتعثّرون بــين الخرائــط والقائمين عــلى أبوابها، وحين يخذلــك من نــصرت، ويُعرّيكَ من كسَــوت، ويُفقِرُك مــن أغنَيت، ويخونُــك من ائتمنت، ويبيعُــك من اشــتريت، ويخرِجُــك من آويت، ويُمرِضُك من داويت: تكون على الطريق المؤدية إلى الله.

يا بنيّ:

ضــع قدميك على الطريــق، فمن آثر البقــاء في الظِّلِّ، لن يكون له ظلٌّ أبداً.

لا تنتظر الضوء، بل امض إلى معاقِلِهِ، خذه من يده إن هو تأبّى، فالواحد الوحيدُ هو صانع الضوء، ومُطلِقُ الفراشات التي يسكرها الرقص من حوله قبل أن تذوب، كما يصنع المريدون.

يا بنيّ:

النافــذة في الجــدار، الجدار أصــم وكفيــف، لكنَّه مكتظٌّ بأطياف الغائبين، بحثت، فلم أجد، من مارّةٍ هناك، من عابرين متسلّحين بالعرق المالح والغبار.

أكمــل ما كنت بدأتــه، لتظلَّ بشراً ســويّاً.. وتظلّ أحلامك

طازجة وقابلة للتجدّد...

قلتُ: من فم السـيل يولد الزّبد، ومن زاوية قاتمة في السـماء الزرقاء، سآتي بقبس كي أعبئ كؤوس الليل التي أفرغها العاشقون على حين وَلَهٍ وانكسار.

من عويلٍ يتوارى خلـف غابات البلُوطِ العـذراء، يتدفّق نبع الموسـيقى، حـارّاً... ومُجدّفـاً على قوارب النجـاة، يرحل على أسنمة الموج العالي ليقيم خيمة بلا عمَد نراه. ومن حديقة بلا أسـوار، من قلبٍ لا يصـدأ، مـن رملٍ تعلّـقَ في حقائب الغربـاء وعـلى أجفانهم، مـن ماء في بئر معطّلةٍ، ومـن غياب لا ينتهي فيه الغيـاب، تأتي الفراشـات، ومن غـير أن تجرح شـفة الفجر، توقظ خاصرة الغفوة، وتخرجُنـي عارياً إلاّ من شظايا الغناء الذي قطّعته سكاكينُ العتمة المباغتة.

***

ها أنا ذا... أستحضر أوراقي الثكلى

أوراقي التي أراق العمر عليها ما ارتجاه من الغيب

أوراقي التي حملت بالسرِّ أسماءكم، وحلّقت بأحلامكم إلى سدرة المنتهى.

أستحضرُ أوراقي التي تكدّس عليها غبارُ الأرصفة المهجورة العرجـاء، وأنا أدفع بعربة الحياة، وأحمل فاكهة المعنى لأحطَّ بها على موائدكـم. وأغوي الطير لتبتني أعشاشـها على أكفّ طفولتكم البيضاء .

لم أكن غبياً وأنا أحمل أطيافكم في شِـغافي.. وأخشى عليكم إذا شقشـق النور خلـف النوافذ، أن يرشُـقَ الضّوء أجفانكم ويخرجَكم من سكينة الكرى.

وأخشى أن يخدش زهر اللوز وجناتكم، وأن يتحرَّش النّدى بأصابعكم الطّريّة الملساء، وأن تستحمَّ الفراشات في بابكم العالي.

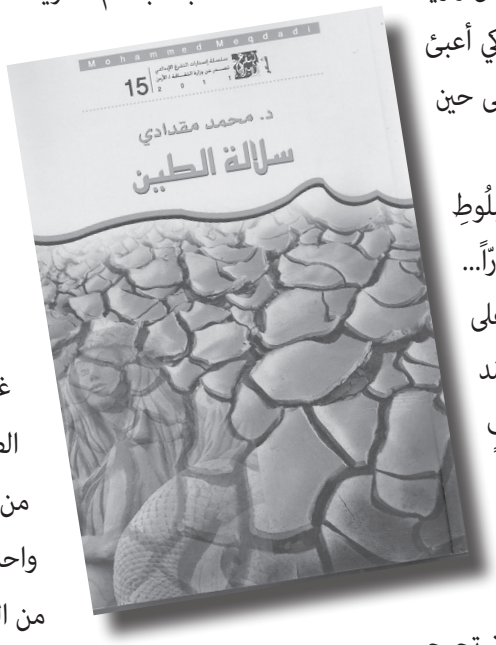


وأخـشى مـن الصمـت في صمتكـم، ومـن وجعـي حـين تغفون على أنيني وشـكواي، ومن حلم يخترق المسـافة بين حزني عليَّ وغفـوة العمـر المتآكل عـلى عتبات غربتي وغيابي، كنت أخشى إذا شقشق الضوء أن يتسـلّل بين الوسائد، فتفرُّونَ من سطوة الشـمسِ، أحملكم، واحداً... واحداً، كي تُكملون الأناشـيدَ، أو تنسجون من الحلـم بيتاً تملؤونه بما أولَمَ العمر من جسـدي على موائد المسافات التي قطعتها في الشوارع المأهولة بالصمت والخراب.

"ليـس ثمّـة مصيبـة أعظـم مـن أن تكـون أعمـى في غرناطة...".هكـذا قال: "دي لاكازا" الأندلسي!! نُقِشـت هذه العبـارة على لوحات تصادف الزائريـن في أغلب أزقّة المدينة الفارهة.

أيهـا الجبل، كُن لي وطناً يعصمني من الماء، ألوذ بخضرته.. وبكارة صباحاته، أبني عُشّـاً، في الظلام، تأوي إليه الطيور من مسغبةٍ وارتباك.

أيّهـا الصقر الذاهـب في الآفاق، هب لي مـن جناحيك ما يحمل صمتي الحبيس إلى غيمٍ يصيغ للريح صلوات المتعبين.

أيّها الضوء المتواري خلـف جفنيها الوادعين، امنحني بهواً من الظلّ كي أرتِّب جثّتي إلى جوارِ من أحببتْ.

وأنت أيّها النّبع، من غير أن تملأني، لن تفوز بالشرّاب!.

اللوحة للشاعر والفنان التشكيلي/ حسين نشوان

• • • أفكار 433/2025

وزارة الثقافة

مطبعة الفنار